

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم التاريخ الإسلامي

النُّظُمُ في خلافة معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنهما

رسالة علمِّية مقدَّمة لنيل درجة العالميَّة (الماجستير)

إعداد الطَّالب

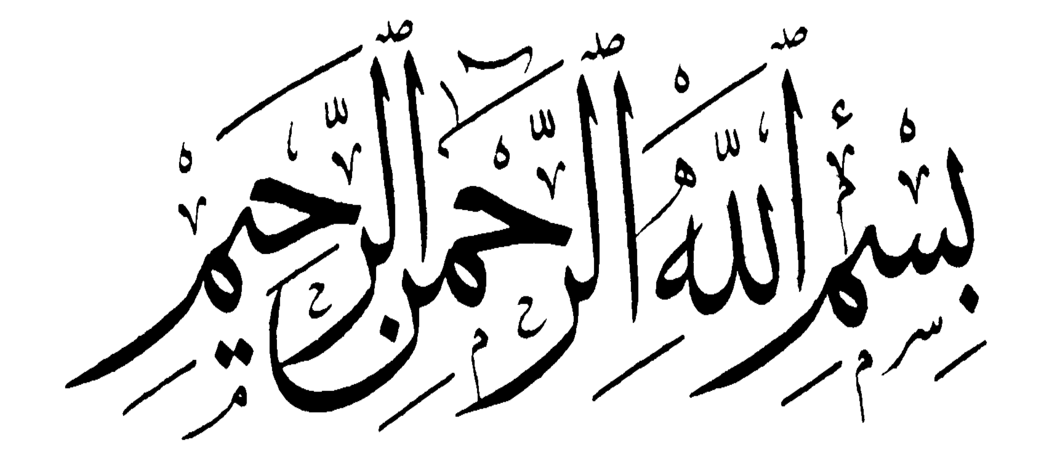
حامد عبد الله إدريس

إشراف

د. سالم بن عبد الله الخلف

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

العام الجامعي ١٤٣٤ - ١٤٣٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمد عبده ورسوله المبعوث رحمة للعامين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد.

فإن الدولة الإسلامية التي قادت الأمم في القرون الأولى وأصبحت مثالا للتنظيم، والعدل، والإدارة المنظمة، قامت على أساس واضح ومنهج متكامل، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، وترك أمته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، وسار خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم على منواله، وفق المنهج الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلا ذلك العصر، عصر الخلافة الأموية ورغم بعض الأحداث التي صاحبت تلك الفترة فهي أقرب إلى ذلك العصر، ومهما يكن فهو من القرون المفضلة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1].

وتميز عهد معاوية رضي الله عنه على عهد من جاء بعده، كونه أقرب إلى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وكون معاوية رضي الله عنه من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ومن كُتَّاب الوحي الذين قادوا الأمة في ظرف كان من أصعب الظروف، التي مرت عليها الأمة، وكونه من دُهاة العرب، فقد قاد الأمة، وشهد عهده تنظيما إداريا، واقتصاديا، وعسكريا، وسياسيا، استفاد فيه ممن سبقه وأضاف إليه بعض الأمور التي رآها مناسبة، واقتضاها عصره ودولته، فكان حريا دراسة تلك الأساليب والنظم التي استحدثها وطورها أن تكون موضوعا للبحث والدراسة، وأن يُدرس النظام الذي قاد به الأمة، ويكون محل اهتمام الباحثين؛ ولما من الله علي بالقبول في مرحلة الماجستير في قسم التاريخ الإسلامي في الجامعة الإسلامية أردت أن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدئ الوحي برقم٦٤٢٨. ومسلم باب فضل الصحابة برقم ٦٦٣٨ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

يكون بحثي في ذلك وبعد مشاورات وعرض على بعض مشايخي اخترت أن يكون عنوان بحثي

((النُّظُم في خلافة معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما –)) .

والنظم في اللغة: النون والظاء والميم، أصل يدل على تأليف شيء وتأليفه[1]، ونظمت الخرز نظما، والنظام: الخيط يجمع الخرز[2].

واصطلاحا:"جمع نظم وهي كلمة تطلق على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانسجام، والإرتباط وهي بهذا الاعتبار تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها ببعض"[3]، وإن الإسلام يشتمل إلى جانب العبادات جوانب أخرى تتصل بالحياة الدنيا والحياة الآخرة فهو دين ودنيا، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، سياسة ودولة، خلق وسلوك، وهو دستور قويم يجمع بين طياته نظما متعددة مترابطة متداخلة كترابط الإنسان وتداخله في كيان واحد[4].

ولهذا فإن النظم من أهم متطلبات الحياة عند الشعوب والدول حتى تسير أمورهم على أكمل وجه، فما من دولة إلا ولها نظم تسير عليها، وقد تختلف تلك النظم من دولة إلى دولة ومن عصر إلى عصر، وكان عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، يقوم على أسس ومبادئ ونظام محكم، ففي هذا البحث إبراز للشخصية القيادية التي قادت الأمة الإسلامية، في عصر من العصور المفضلة.

---

(١) قال محقق معجم مقاييس اللغة في الهامش كذا وردت هذه الكلمة، ولعلها "وتكثيفه".

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٤٣/٥، باب النون والظاء وما يماثلها.

(٣) حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلام، ص: د.

(٤) مفرح القوسي: مدخل لدارسة النظم الإسلام، ص: ١٢

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- كونه يتعلق بدراسة سيرة الصحابي الجليل خال المؤمنين وكاتب رسول رب العالمين وأول ملوك المسلمين وصاحب تجربة طويلة في العمل السياسي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- وذلك من خلال :

❖ إبراز أهم النظم في خلافة هذا الصحابي الجليل في قيادة الدولة الإسلامية .

❖ التعرف على الإضافات التي أضافها معاوية-رضي الله عنه- ورآها مناسبة واقتضاها عصره من النظم العامة للدولة.

٢- لأن معاوية – رضي الله عنه – من الشخصيات الموهوبة في الإدارة والقيادة فهو من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب تجربة طويلة في الفتوحات ، ثم في الإمارة على الشام لمدة ٢٠ عاما تقريبا، ثم خليفة للمسلمين ٢٠ عاما أخرى، فهذه الأمور وغيرها جعلت منه كنزا يستفاد من خبرته وموهبته لمن يأتي بعده.

٣- كون عهد الخليفة معاوية - رضي الله عنه -أقرب إلى عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وبعهده بدأ عهد جديد جمع جلالة الخلافة وسمات الملك.

٤- كون معاوية رضي الله عنه قاد الأمة في وقت مرَّت فيه الدولة الإسلامية بتغيرات في الدولة والمجتمع مما جعل استحداث أنظمة جديدة وتطوير الأنظمة القائمة أمرا ملحا وضروريا، وبعد أن استقرت له الأمور وضع نظاما إداريا استطاع به أن يعيد للدولة هيبتها ومكانتها، لتواصل مشوارها في نشر الإسلام.

٥- حاجة الأمة الإسلامية إلى النماذج التطبيقية الناجحة في السياسة والحكم التي طبقها سلفنا الصالح فقادوا بها العالم،وأذعن لهم بها سلاطين الدنيا؛ فالدراسة تقدم نموذجاً إسلامياً راشداً طُبِّق في خير القرون لتكون أنموذجا يحتذي به وتعيد الأمة إلى مجدها بتطبيق حكم ربها وتستفيد من الممارسات الحياتية للدولة الإسلامية في عهد معاوية-رضي الله عنه- وعهود القرون المفضلة عموما.

٦- عدم وجود دراسة مقاربة لهذه الدراسة- حسب علم الباحث- على الرغم من جلالة معاوية –رضي الله عنه- وأهمية الحقبة الأموية التي أسسها في التاريخ الإسلامي. وعليه فإن هذه الدراسة تعتبر إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية بما تأمل أن تقدمه فيها من حقائق وما تتوصل إليه من نتائج.

٧- من الأسباب التي دعتني إلي دراسة هذا الموضوع أيضا أن عصر معاوية رضي الله عنه كان مليئا بالأحداث السياسية وقد اهتم الباحثون بهذه الأحداث سواء بالنيل من ذلك الجيل، أو بالرد على هذه الشبهات والذب عن الصحابة رضي الله عنهم، ولكن دراسة النظم التي سار عليها معاوية رضي الله عنه وقاد بها الدولة الإسلامية لم تحظ القدر الكافي من البحث، فكان هذا من أسباب اختياري لهذا الموضوع.

الدارسات السابقة:

بعد بذل ما استطعت من الإطلاع والبحث في المراكز العلمية مثل مركز الملك فيصل، والبحث على مواقع الجامعات السعودية، والبحث في مؤشر (قوقل) والاطلاع على دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية،ودليل رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة الملك عبد العزيز، الموجود

في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، ومراسلة جامعة الملك سعود، والإمام محمد بن سعود، والملك عبد العزيز عن طريق القسم، وزيارة جامعة أم القرى، لم أقف على بحث تناول هذا الموضوع.

لكني وقفت على بعض الدارسات التي تناولت معاوية رضي الله عنه من جوانب أخرى و بشكل عام أذكر منها:

١- مرويات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري –دراسة نقدية مقارنة – تأليف د. خالد بن محمد الغيث، وهي رسالة علمية لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، فرع التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى، لنيل درجة الدكتوراه.

٢- جهود معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الدعوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة، إعداد محمد نذير محمد سرور، عام ١٤٢٣هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة، قسم الدعوة والاحتساب.

٣- خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما د. عمر سليمان العقيلي وهو كتاب متوسط الحجم مكون من حوالي ٢٠٠ص مع الفهارس.

٤- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما صحابي كبير وملك مجاهد، تأليف منير محمد الغضبان، دار القلم ـ دمشق ط الثالثة ١٤١٧هـ.

هذه بعض الدراسات والكتب التي وقفت عليها وهي إما أنها في ترجمة معاوية رضي الله عنه. أو نقد الروايات الواردة في خلافته، أو أنها تتعلق بدراسة حياته وعصره عموما، أو أنها في جهوده الدعوية، وبالتالي يمكن

للباحث الاستفادة من هذه الدراسات فيما يتعلق بالسيرة الشخصية لمعاوية —رضي الله عنه-.

وفيما يتعلق بالدراسات التي تناولت النظم والتي وقفت عليها فمنها على سبيل المثال:

١- نظم الحكم في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ رسالة ماجستير في النظم الإسلامية، إعداد محمد أبو محمد إمام، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية الشريعة، الدراسات العليا التاريخية والحضارية، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ١٣٨-٤٢٢هـ رسالة دكتوراه أعدها د/سالم بن عبد الله بن عبد العزيز الخلف، لقسم التاريخ الإسلامي في الجامعة الإسلامية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣- النظم الإسلامية للدكتور/ حسن إبراهيم حسن والدكتور/ علي إبراهيم حسن.

٤- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، د/فتحية النبراوي.

هذه بعض الدراسات التي وقفت عليها فيما يتعلق بالنظم، ويمكن أن يستفيد منها الباحث في الإطار العام للبحث.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة وفهارس تفصيلية.

المقدمة:وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بمعاوية رضي الله عنه وبأهم تطورات النظم حتى عهده، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف موجز بمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: السمات القيادية عند معاوية رضي الله عنه.

المبحث الثالث: أهم التطورات التي مرت بها النظم حتى عهد معاوية رضي الله عنه.

الفصل الأول:النظام السياسي في خلافة معاوية رضي الله عنه وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: توليه الخلافة.

المبحث الثاني: أسس النظام السياسي في خلافة معاوية

المبحث الثالث: تنظيم بلاط الخلافة، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الكتابة.

المطلب الثاني: الحجابة.

المبحث الرابع: ولاية العهد.

المبحث الخامس: شارات الخلافة.

المبحث السادس: أمراء الحج.

الفصل الثاني:النظام المالي في خلافة معاوية رضي الله عنه، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النظرة الاقتصادية لمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: أهم موارد الدولة، وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: الزكاة.

المطلب الثاني: الخراج.

المطلب الثالث: العشور والصوافي.

المطلب الرابع: الغنائم.

المطلب الخامس: التجارة.

المطلب السادس: الزراعة.

المبحث الثالث: أهم مصارف الدولة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: النفقات العسكرية.

المطلب الثاني: النفقات الإدارية.

المطلب الثالث: مصارف الزكاة.

المطلب الرابع: نفقات الضمان الاجتماعي.

المبحث الرابع: أنظمة وسائل النقل.

الفصل الثالث: النظام العسكري في خلافة معاوية رضي الله عنه وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الرؤية العسكرية لمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: نظام الجيش.

المبحث الثالث: أهم معدات الجيش.

المبحث الرابع: أهم قادة الجيش.

المبحث الخامس: الأسطول البحري.

الفصل الرابع: النظام الإداري في خلافة معاوية رضي الله عنه وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم الولايات وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ولاية الكوفة.

المطلب الثاني: ولاية البصرة.

المطلب الثالث: ولاية المدينة.

المطلب الرابع: ولاية مكة.

المبحث الخامس:خصائص الحركة العلمية في عهد معاوية رضي الله عنه.

المبحث السادس: الاهتمام بالعلماء.

المبحث السابع: دُور العلم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

الفهارس:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم .

فهرس الغريب والأماكن.

فهرس الأبيات الشعرية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

- جمع المادة العلمية من مصادرها، مثل كتب السنة، وكتب التاريخ، والفتوحات، وغيرها.
- تقسيم المادة وتوزيعها على الخطة في الفصول والمباحث، وفق خطة تقوم على مراعاة الترتيب الزمني والترتيب المنطقي والتحليل والاستنباط، مع التركيز على الحقائق المتصلة بجوانب من النظم الحضارية التي سار عليها معاوية رضي الله عنه في خلافته للدولة الإسلامية، في الفترة من ٤١-٦٠هـ.
- تقديم روايات كتب السنة على غيرها إن وجدت، ثم الروايات التاريخية مع التحليل والنقد للأمور الغامضة.
- عزو الآيات إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.
- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها من كتب السنة، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.
- الاستفادة من المراجع الحديثة في كتابة المادة العلمية وترتيبها وتحليلها.
- شرح المصطلحات العلمية والألفاظ الغريبة.
- الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.
- التعريف الموجز بالأماكن والبلدان والطوائف وكل ما يحتاج إلى تعريف.
- عند إحالة المادة العلمية إلى مصادرها ومراجعها، أقتصر في الحاشية على اسم الكتاب، والجزء، والصفحة فقط، أما بقية المعلومات الخاصة بالكتاب فسأجعلها في قائمة المصادر والمراجع.
- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- وضع الفهارس اللازمة للبحث على النحو المبين في الخطة.

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء: أشكر الله تبارك وتعالى على نعمه وآلائه، فله الحمد وله الشكر، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه فهو أهل الثناء والمجد، ثم أشكر والديَّ الكريمين اللّذين سهرا على تربيتي ووجهاني إلى طريق العلم، ثم لم ينسياني من دعائهما، حتى وصلت إلى هذه المرحلة فجزاهما الله عني خير ما جازى والِدين عن ولدهما، وأطال الله عمرهما على طاعته، وأجزل لهما المثوبة، وأحسن لهما الختام.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ممثلة في معالي مدير الجامعة **أ.د. عبد الرحمن بن عبد الله السند** على ما تقوم به من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، وخدمة طلبة العلم وأهله فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، وضاعف لهم الأجر والمثوبة.

كما أشكر جميع المعلمين والمشايخ والأساتذة في كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسها فضيلة **أ.د. سعود بن عبد العزيز الخلف** على ما بذلوه ويبذلوه من جهود طيبة في خدمة العلم وطلابه، فالله أسأل أن يجزيهم عنا خير الجزاء على ما قدموه لطلاب العلم ويجعله في موازين حسناتهم؛؛؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأخص بالشكر قسم التاريخ الإسلامي والقائمين عليه، على ما بذلوه من علمٍ، وجهدٍ، ووقتٍ؛ لطلاب العلم، فبارك الله فيهم ورفع منزلتهم.

والشكر أجزله وأحسنه لشيخي وأستاذي فضيلة الدكتور/ سالم بن عبد الله الخلف ـ حفظه الله ـ على إشرافه وتوجيهاته السديدة، وإرشاداته القيمة، وصبره عليَّ رغم مشاغله الكثيرة حتى خرجت الرسالة إلى حيِّز الوجود، فجزاه الله عني خير ما جزي شيخا عن تلميذه، ورفع منزلته، وأصلح ذريته، وأعلى قدره، وله مني وافر الدعاء بظهر الغيب.

كا أتقدم ببالغ الشر وعظيم الامتنان للشيخين الكريمين فضيلة الدكتور

حسين بن هادي العواجي، وفضيلة الدكتور عبد العزيز بن صالح الغامدي، على تكبدهما المشاق وقبولهما - مشكورين- قراءة البحث ومناقشته رغم مشاغلهما فلهم مني كل الشكر والتقدير، وأجزل لهم الأجر والثواب.

والشكر موصول لكل من ساعدني في رسالتي بوجه من الوجوه، من إعارة كتاب، أو توجيه سديد، أو دعوة في ظهر غيبن من الأخوة الزملاء، وأخص منهم الدكتور محمود عمر محمد علي، فجزاهم الله خيراً.

وأخيرا هذا ما وصل إليه جهدي ولا أدعي أني وصلت فيه المبلغ والغاية، ولكن حسبي أني بذلت الجهد واستفرغت الوسع وتوخيت الصواب حتى تخرج الرسالة على أكمل وجه ممكن، فإن كان فيها من صواب فمن الله وحده وإن كان فيها من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان وأسغفر الله العظيم، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

هذا والحمد لله على التمام والشكر له في البدإ والختام، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيراً.

التمهيد

التعريف بمعاوية رضي الله عنه وبأهم تطورات النظم حتى عهده، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تعريف موجز بمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: السمات القيادية عند معاوية رضي الله عنه.

المبحث الثالث: أهم التطورات التي مرت بها النظم حتى عهد معاوية رضي الله عنه

المبحث الأول: تعريف موجز بمعاوية رضي الله عنه.

أولا: اسمه ونسبه ومولده.

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، أبو عبد الرحمن، القرشي، الأُموي، المكي،(١) وأمه: هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي(٢) فهو من عبد شمس أبا وأما، ويلتقي نسبه مع النبي صلي الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي.

وُلد رضي الله عنه قبل البعثة بخمس سنين، قال ابن حجر: وهو الأشهر(٣).

كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية، ولد قبل الفيل بعشر سنين، وآلت إليه رئاسة قريش بعد معركة بدر الكبرى، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب، وكان زعيماً مطاعاً ذا مال جزيل،(٤) يجوب الجهات كلها التي تصل إليها قوافل قريش، وكانت راية قريش التي كانت تسمى العقاب بيده، فهو من ساداتهم، بل هو سيد الوادي حيث ينضوي السادات تحت الراية التي يحملها(٥)، أسلم ليلة الفتح، وشهد حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها مئة من الإبل وأربعين أوقية،

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٥/٦، الطبري:تاريخ الرسل والملوك: ٥ /٣٢٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٩ /٥٥، ابن الأثير:الكامل في التاريخ ٣ /٢٦١ الذهبي:سير أعلام النبلاء ٣ /١١٩.

(٢) الذهبي:سير أعلام النبلاء ٣ /١٢٠.

(٣) وقيل بست سنين، وقيل بثلاث عشرة سنة، ابن حجر:الإصابة في تمييز الصحابة ٢٢٧/١٠.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني: معرفة الصحابة، ١٥٠٩/٣، ابن كثير:البداية والنهاية ١٤٦/١١.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٢١٦/٢، محمود شاكر:معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأسرته، ص٤١.

وشهد الطائف ففقئت عينه يومئذ، وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٢،[١] وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: ابنه معاوية رضي الله عنه، وكان عمره ٨٨ سنة[٢] [٣].

وأمه: هند بنت عتبة بن ربيعة من ربَّات الحسن والجمال والرأي والعقل والفصاحة والبلاغة،[٤] وكان أبوها ربيعة أحد سادات قريش وأغنيائهم يملك بساتين في الطائف، وكانت أم معاوية تزهوا على أترابها بجمالها، ونسبها، وثرائها،[٥] أسلمت زمن الفتح، وشهدت اليرموك،[٦] وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.[٧]

ثانيا: صفاته وإسلامه

كان رضي الله عنه رجلاً طويلاً، أبيضَ، جميلاً، مهيباً، إذا ضحك انقلبت شفتاه العليا، وكان يخضب بالصفرة، وكان معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب [٨].

وقال أسلم [٩] مولى عمر رضي الله عنه: "قدم علينا معاوية وهو أبيض الناس

---

(١) وقيل: ٣٣، وقيل: ٣١، وقيل:٣٤، (الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٥/٢).

(٢) وقيل عمره كان ٩٣سة وقيل غير ذلك، (ابن الأثر: أسد الغابة ١٤٩/٥).

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ٥ /١٤٨-١٤٩، والذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٥/٢.

(٤) ابن سعد:الطبقات الكبرى، ٢٢٣/١٠-٢٢٦،كحالة:أعلام النساء ٥، /٢٣٩.

(٥) شاكر:معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأسرته، ص٤١-٤٢.

(٦) الذهبي:تاريخ الإسلام، ٢ /١٦٦.

(٧) ابن حجر: الإصابة ٢٦٧/١٤، كحالة:أعلام النساء، ٥ /٢٥٠.

(٨) الذهبي:تاريخ الإسلام، ٢ /٥٤٠.

(٩) أسلم مولى عمر بن الخطاب، ابتاعه في الحج سنة إحدى عشرة، أدرك النبي صلى الله عليه عليه وسلم ولم يره، وهو من الحبشة، مات سنة ثمانين، وقيل مات وهو ابن مئة سنة وأربع عشرة سنة. (ابن الأثير: أسد الغابة، ج١ ص٩٤).

وأجملهم"[1].

وأما إسلامه رضي الله عنه، ففيه أقوال: قيل أنه أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء وبقي يخاف من الخروج إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه وأمه[2]،وكانت أمه تقول له إياك أن تخالف أباك وتقطع أمرا دونه فيقطع عنك القوت، قال معاوية: فأسلمت وأخفيت إسلامي فو الله لقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية[3] وأني مصدق به، وأنا على ذلك أكتمه من أبي سفيان، ودخل رسول الله مكة عمرة القضية[4] وأنا مسلم مصدق به،[5]

وقيل أنه أسلم عام الفتح مع أبيه وأمه[6] وفي الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في العمرة في أشهر الحج: "فعلناها وهذا يومئذ كافر بالعُرش، يعني بيوت مكة، وفي رواية يعني معاوية رضي الله عنه "[7]

والذي يترجح – والله أعلم- أنه أسلم قبل عام الفتح في عمرة القضاء، وذلك أنه حكاه هو عن نفسه وكان يقول أسلمت عام القضية وأخفيت إسلامي، وهو أعلم بنفسه من غيره، وأما قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فإنه أطلق ذلك

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء،١٢٢/٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢ /٥٤٠،

(٣) وكانت غزوة الحديبية سنة ست من الهجرة، وهي تقع على مسافة ٢٢كم غرب مكة على على طريق جدة ولا تزال تعرف بهذا الاسم، (ابن هشام: السيرة، ٣٠٨/٢، وابن حزم: جوامع السيرة ص: ٢٠٧، شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة).

(٤) وكانت عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة،(ابن هشام: السيرة، ٣٧٠/٢،وبن حزم: جوامع جوامع السيرة ص: ٢١٩).

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣ /١٢٠، عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة،٤ /٤٣٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤٦/١١.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب جواز التمتع، ٨٩٨/٢، برقم (١٢٢٥).

بحسب ما استصحب من حاله ولم يطلع على أنه أسلم أم لا؛ لإخفائه إسلامه.[1]

ثالثاً: نشأته:

لا تزودنا المصادر المتوفرة بين أيدينا بمعلومات كافية عن مراحل حياة معاوية رضي الله عنه الأولى، وعلى وجه الخصوص حياته قبل الإسلام،[2] لكن لمكانة أسرته في قريش، وبعض النصوص الواردة نستطيع أن نُكوِّن تصوراً عاما عن بعض اللمحات البسيطة عن نشأته:

فهو نشأ في أسرة ذات سيادة ورفاه، غير أنه لم يرب على الرفاهية والدلال، فمن ناحية لم يكن الوحيد لأبويه، وأيضا لم يكن البكر لهما، كما أن أمه لم تكن الوحيدة لأبي سفيان بل كان له غيرها، وبدت على معاوية رضي الله عنه مخايل الفطنة ومظاهر السيادة، فأعتني بتربيته، أكثر من أخوته، وكان له استعداد لذلك، واعتنيا أبواه بتعليمه حتى غدا قارئا، كاتبا، وكان قليل من يجيد ذلك من العرب في تلك المرحلة من الزمن[3]

ونشأ معاوية في ظل هذين الأبوين اللَّذين كان لهما دور كبير في مناهضة الدعوة الإسلامية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم نر شيئا في حياة معاوية الجاهلية المشركة مع أنه شارك فيها صبيا، وكان عمره يتيح له أن يدخل إلى تلك الحياة[4]

وبعد الإسلام شارك معاوية رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين والطائف وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من

---

(١) ابن حجر: الإصابة ١٠/٢٢٨.

(٢) العقيلي: خلافة معاوية، ص١٣.

(٣) شاكر: معاوية بن أبي سفيان وأسرته، ص٤١-٤٥.

(٤) الأبياري: معاوية الرجل الذي أنشأ دولة ص١١٧.

الإبل وأربعين أوقية وزنها له بلال بن رباح رضي الله عنه[1] وشهد معركة اليمامة في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقاد الجيوش في عدة معارك منها معركة قيسارية[2]، وقد ركب البحر سنة ٢٥هـ وغزا جزيرة قبرص[3] وفتحها، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام[4] بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان[5] فلم يزل عليها مدة خلافة عمر، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه على عمله.[6]

رابعا فضائله:

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٦/٦.

(٢) قيسارية: كانت مدينة على سيف البحر، حصينة منيعة، لها ربض كبير، حاصرها معاوية حتى فتها في شوال سنة تسع عشرة قصرا.(ابن شدا: الأعلاق الخطيرة في تاريخ الجزيرة، ١ص١٠٦).

(٣) جزيرة قُبرص: هكذا بالصاد في تاريخ دمشق، أما كتب البلدان والجغرافية فتذكر قُبرس بالسين المهملة وهي جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، وهي موصوفة بالغَناء والجدة وبها معادن الصفر،(البكري: المسالك والممالك، ٤٨١/١، الحموي: معجم البلدان،٣٠٥/٤، صفي الدين: مراصد الاطلاع، ١٠٦٣/٣).

(٤) الشام: بلاد تقع على شمال الجزيرة العربية، وتشمل اليوم كل من سورية، والأردن، ولبنان، وفلسطين، ومن أهم مدنها، دمشق، وعمان، والقدس، وبيروت،(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣١١/٣،صفي الدين: مراصد الاطلاع، ٧٧٥/٢، عاتق البلادي الحربي: معجم المعالم الجغرافية، ص: ١٦٧،).

(٥) يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أخو معاوية لأبيه، ويقال له يزيد الخير، كان أفضل بني أبي سفيان، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وشهد حنينا، وهو أحد الأمراء الذين ندبهم أبو بكر لقتال الروم، ولما فتحت دمشق أمره عمر بن الخطاب عليها، فلم يزل واليا حتى مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨، وقيل سنة ١٩هـ.(ابن سعد: الطبقات الكبرى،١٣/٦-١٥ابن الأثير: أسد الغابة،٧١٥/٤-٧١٦ الذهبي:السير،٣٢٨/١-٣٣٠)

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٩ /٦٢.

معاوية رضي الله عنه كغيره من الصحابة الكرام رضي الله عنهم يشمله ما ورد في فضلهم من قرآن وسنة، وأن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه الكريم ولم يختر الله تعالى لنبيه إلا الأصلح والأفضل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2] وأنه رضي الله عنه شارك في غزوة حنين وقد أنزل الله تعالى فيها آيات كريمات منها قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] وغيرها من الآيات التي يدخل معاوية رضي الله عنه من ضمنها.

وأما من السنة أيضا يدخل معاوية رضي الله عنه مع غيره من الصحابة منها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه " إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذي يلونهم ثم الذين يلونهم"[4]

وهناك أحاديث وردت في فضله رضي الله عنه خاصّة، منها:-

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه في قوله " اللهم اجعله

---

(١) التوبة: آية رقم ١٠٠.

(٢) الحديد: آية رقم ١٠.

(٣) التوبة: آية رقم ٢٦.

(٤) أخرجه البخاري كتاب بدئ الوحي برقم٦٤٢٨. ومسلم باب فضل الصحابة برقم ٦٦٣٨ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

هادياً مهدياًّ واهد به"[١] وقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب" [٢] وقوله صلى الله عليه وسلم "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا[٣]، قالت أم حرام بنت ملحان[٤]: قلت أنا فيهم؟ قال أنت فيهم. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت أنا فيهم يا رسول الله؟ قال لا"[٥]، قال المهلب[٦]: "في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر"[٧]

وكان معاوية رضي الله عنه من كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك أن أبا سفيان رضي الله عنه لما أسلم قال: يا رسول الله مرني حتى أقاتل

---

(١) الترمذي: أبواب المناقب، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان، رقم الحديث: (٣٨٤٢)، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم الحديث (١٧١٥٢).

(٣) أوجبوا: أي فعلوا فعلا وجبت لهم به الجنة. (ابن حجر: فتح الباري، ٦/١٢١).

(٤) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، الأنصارية الخزرجية، خالة أنس بن مالك، أسلمت وبايعت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها، ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدة، خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية في البحر في إمارة معاوية وفي خلافة عثمان بن عفان فصرعتها دابتها فماتت، سنة ٢٧هـ وقيل سنة٢٩هـ.(ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج١٠ص٤٠٤، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٦ص٣١٧، كحالة: أعلام النساء، ج١ص٢٥٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فضل الجهاد والسير ، باب ما قيل في قتال الروم، رقم ٢٩٢٤، من حديث أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها.

(٦) المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي، الأندلسي، المري، مصنف "شرح "شرح صحيح البخاري"، وكان أحد الأئمة الفصحاء الموصوفين بالذكاء، ولي قضاء المريَّة، توفي في شوال سنة٤٣٥هـ.(الذهبي: السير، ١٧ /٥٧٩).

(٧) ابن حجر: فتح الباري، ٦/١٢٠.

الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال "نعم"، قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك، قال " نعم" ثم سأل أن يزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته الأخرى وهي عزة بنت أبي سفيان[1] واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة فلم يقع ذلك، وبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك لا يحل له.[2] ومن المعلوم أن كُتَّاب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشرف الكُتَّاب، وكان هو من الكتاب العشرة الذين كانوا يكتبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل يكتب له إلى أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه.

خامساً: أسرته:-

تزوج معاوية رضي الله عنه نساء عدة، وكان له منهن أولاد، فمنهن:-

ميسون بنت بحدل[3]، وهي أم ولديه يزيد بن معاوية، وبنت كان أسمها أمة رب المشارق، ماتت صغيرة.

وتزوج أيضا بفاختة بنت قرظة[4]، وكان له منها عبد الرحمن، وهو الذي كني به،

---

(١) عزة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية، اخت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل اسمها درة، وقيل حمنة، والصحيح الأول، (ابن حجر: الإصابة: ٤٠/١٤، ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٨٨٦/٤).

(٢) ابن كثير:البداية والنهاية، ١٤٦/١١.

(٣) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبية، شاعرة شاعرة من شاعرات العرب تزوجها معاوية بن أبي سفيان، وكانت بدوية ثقلت عليها الغربة عن قومها، فطلقها معاوية وأعاها إلى أهلها وهي حامل بيزيد، توفت سنة ٨٠هـ(ابن عساكر: تارخ دمشق، ١٣٠/٧٠، كحالة أعلام النساء، ١٣٦/٥، الزركلي: الأعلام، ٣٣٩/٧).

(٤) فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشية، من ربات ربات العقل والرأي والنفوذ، قيل أن معاوية خرج بها في غزوة قبرس سنة ٢٥هـ، (ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦/٧٠، ابن حجر: الإصابة، ٧٨/١٤، كحالة: أعلام النساء، ١٧/٤).

به، وقد مات صغيرا، وعبد الله.

وأيضا نائلة بنت عمارة الكلبية[1]، ويروى أن معاوية لما تزوجها قال لميسون انظري إليها، فنظرت إليها وقالت: رأيتها جميلة كاملة ولكني رأيت تحت سرتها خالا لَيُوضَعنَّ رأس زوجها في حجرها، فطلقها معاوية.

ومنهنَّ كتوة[2] بنت قرظة أخت فاختة، غزا معاوية قبرص وهي معه فماتت هناك[3].

(١) نائلة بنت عمارة الكلبية، كانت من ربات الجمال والإحسان، (ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٣٥/٧٠، كحالة، أعلام النساء، ١٤٤/٥).

(٢) كذا أوردها الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٢٩/٥، وابن الأثير: الكامل ١٢٤/٣، وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، أنها كنود بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشية، وهي التي غزت معه جزيرة قبرس فماتت هناك، وهي أخت فاختة بنت قرظة، وكانت كنود قبل معاوية تحت عنبة بن سهيل بن عمرو فمات عنها،(ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٤/٧٠، ابن حجر: الإصابة، ٧٨/١٤، كحالة: أعلام النساء، ٢٦٥/٤).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٩/٥، ابن الأثير: الكامل، ٣ /١٢٤.

سادسا: وفاته:-

وبعد عمر مليء بالعطاء توفي رضي الله عنه وانتقل إلى جوار ربه في دمشق[(١)] سنة ستين من الهجرة في شهر رجب، وقد أُختلف في اليوم فقيل في هلال رجب، وقيل في النصف منه، وقيل لثمان بقين من رجب،[(٢)] ودفن في باب الجابية، وكان عنده شيء من شَعَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقِلامة من أظفاره، فأوصى أن تجعل في فمه وعينيه، وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.[(٣)]

أما عمره حين وفاته فالذي يترجح - والله أعلم- أنه توفي وعمره ثمان وسبعين سنة[(٤)] وذلك أن ابن حجر رجح في مولده أنه ولد سنة خمس قبل البعثة، يعني سنة ثماني عشرة قبل الهجرة، واتفق العلماء على أن وفاته كانت سنة ستين للهجرة، وإذا ما حسبنا هذا يكون عمره ثمان وسبعين سنة — والله أعلم-.

---

(١) دمشق:بكسر أوله وفتح ثانيه، البلدة المشهورة قصبة الشام، وجنة الشام، لحسن عمارتها وبقعتها، سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، وهي عاصمة الجمهورية العربية السورية،(الحموي: معجم البلدان،٤٦٣/٢، القطيعي: مراصد الاطلاع، ٥٣٤/٢، يحي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ٥٧).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥ /٢٢٣-٢٢٤

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص:٢٢٥.

(٤) وذُكرت عدت أقوال في عمره، فقيل أنه خمس وسبعون سنة، وقيل، ثلاث وسبعون، وقيل ثمانون، وقيل خمس وثمانون سنة،(الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥ /٣٢٥).

المبحث الثاني: السمات القيادية عند معاوية رضي الله عنه.

ظهرت في معاوية رضي الله عنه صفات وسمات منذ نعومة أظفاره تنبئ بأنه أهل للقيادة والسيادة، حتى إن بعض متفرسي العرب رآه يوما يمشي مع أمه هند بنت عتبة، فعثر، فقالت قم لا رفعك الله، فقال الأعرابي: لم تقولين له؟ فو الله إني لأظنه سيسود قومه، قالت لا يرفعه الله إن لم يسد إلا قومه،[١] و بدت على معاوية مخايل الفطنة ومظاهر السيادة فاعتُني بتربيته أكثر من أخوته وكان له استعداد لذلك.[٢]

نظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال لهند: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وأنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة.[٣]

ولهذا حرص أبواه على تربيته والعناية به لما لمسا فيه، فعملا على عدم إثارته سواء أكان ذلك منهما أم من إخوته الآخرين، ومن نشأ على الغضب لا ترتفع به المكانة، ولا تعلو به الهمة، كما أن الإثارة تحمل المرء على الحقد وخاصة الذين يثيرونه، ومن وجد في قلبه حقد لا يمكن أن تسمو به الرتب، ومن عدم الإثارة نما عنده الحلم حتى صار حليما متميزا بذلك.[٤] وهذه السمات أهلته ليكون أحد كتبة الوحي، ومكنته من التعلم والقرب من رسول الله صلى الله عله وسلم وقد ذكر معاوية رضي الله عنه أنه قال اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فلما توضأ نظر

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٥/٥٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢١/٣.

(٢) شاكر: معاوية وأسرته، ص ٤٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦٦/٥٩.

(٤) شاكر: معاوية وأسرته: ص٤٤، ولعل محمود شاكر رحمه الله اقتبس هذا الكلام من قول عنترة "لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب **ولا ينال العلا من طبعه الغضب" (ديوان عنترة ص٩٢).

إلى فقال: " يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل" فما زلت أظن أني مبتلى بعمل.[1] فهذا فيه دلالة من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، على أن معاوية سيلي أمرا من أمور هذه الأمة، وتوجيها لمعاوية على الأمر بالتقوى والعدل.

وقال معاوية: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي " يا معاوية إن ملكت فأحسن" [2] وعن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له " إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم" فقال أبو الدرداء[3]: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عله وسلم نفعه الله تعالى بها.[4]

وأيضا ظهرت هذه الصفات لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هو عمر؟ في خبرته واصطفائه للرجال الأكفاء، وكان معجبا بمعاوية ويقول " تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية"[5] وكان يقول إذا رأى معاوية " هذا كسرى العرب "[6]

وقد ولاَّه بعد وفاة أخيه يزيد ولاية الشام، ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، وهيئة، فلما دنا منه، قال: أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٦٩٣٣، والبيهقي: في دلائل النبوة ٤٤٦/٦.

(٢) رواه البيهقي، دلائل النبوة، ٤٤٦/٦، وقال له شواهد، وابن كثير: البداية والنهاية، ٢١١/٩.

(٣) أبو الدرداء: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مشهور بكنيته واسمه جميعا، قاضي دمشق، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، آخر أهل داره إسلاما، بعد بدر، وشهد أُحد والمواقع كلها بعد ذلك، توفي سنة ٣٢هـ وقيل غير ذلك،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٩١/٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٣٥/٢، ابن حجر: الإصابة، ٥٦٥/٧).

(٤) الحديث رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في التجسس، رقم: ٤٨٨٨ وصححه الألباني.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٠/٥.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية: ٤١٧/١١.

نعم، قال: ولم تفعل؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير فيجب أن نظهر من عزة السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت، قال: يا معاوية ما أسألك عن شيء إلا تركتني مثل رواجب الضِّرس، لئن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب، وإن كان باطلا، فإنه لخدعة أديب، قال: فمرني، قال: لا آمرك ولا أنهاك، فقيل يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر عما أوردته، قال: "لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه".[(١)]
فكان عمر يعرف معاوية جيدا ولذلك ولاه الولاية، وأيضا معاوية يعرف مخارج الكلام ومداخله، ولهذا قال الناس ما أحسن ما صدر عما أوردته.

وكان معاوية رضي الله عنه حسن السياسة وقد شهد له بذلك كثير من الصحابة الذين عاشوا في أيامه فهذا ابن عمر رضي الله عنه يقول: "ما رأيت أحداً أسود من معاوية، قيل له: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيرا منه، وكان معاوية أسود منه.[(٢)] وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله ولفظه" ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسود من معاوية، فقلت: كان أسود من أبي بكر؟ فقال كان أبو بكر خيرا منه، وهو كان أسود، قلت كان أسود من عمر؟.....[(٣)]

وقال[(٤)] "ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية قيل: ولا أبو بكر؟ قال كان أبو بكر وعمر وعثمان خيرا منه وهو أسود منهم.[(٥)]

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد رجوعه من صفين " لا تكرهوا إمرة

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٣٣/٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦١/٥٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٦١/٥٩. والذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥٣/٣.

(٤) القائل ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٧٣/٥٩، وبن كثير: البداية والنهاية: ٤٣٨/١١. ولعله أراد في الإشارة إلى أن الأمور كانت مستقرة لهم، وإلا من حيث الأفضلية فإن علي رضي الله عنه أيضا أفضل منه، والله أعلم.

معاوية والله لئن فقدتموه لكأني أنظر إلى الرؤوس تندر عن كواهلها كالحنظل"[١]

وقيل: لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية.[٢]

هذه الآثار تدل على أن معاوية رضي الله عنه كان يتحلى بسمات قيادية ناجحة، وكان يتعامل مع الناس بمنتهى الذكاء وكل على حسب ظروفه ومكانته، وقد كتب معاوية رضي الله عنه إلى أحد ولاته[٣] رسالة بيَّن فيها سياسته في التعامل مع الرعية. قال: "إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، باللين فيمرحوا، ولا بالشدة فنحمل الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة، أكون أنا للين والألفة والرحمة، فإذا خاف خائف وجد بابا يدخله".[٤]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "قد علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار.[٥]

وهكذا نجد أن معاوية رضي الله عنه كان سياسيا ناجحا وقائدا محنكا، وذكيا فطنا يعرف كيف يعامل الناس وينزلهم منازلهم، ولهذا رضوا به أن يقودهم، ويتولى شؤونهم، وهناك صفات أخرى ساعدت معاوية وأهلته للقيادة، نذكر بعضا منها.

الحلم:

معاوية رضي الله عنه يضرب به المثل في الحلم، وهذه من أعظم صفات القيادة والسيادة، قيل له مرة من أسود الناس؟ قال أسخاهم نفسا حين يُسأل، وأحسنهم في المجالس خلقا، وأحلمهم حين يُستجهل.[٦] ولا غرابة في أن يتصف معاوية بالحلم

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٦١/٥٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥٣/١٣، والقائل كعب بن مالك.

(٣) وهو زياد بن أبيه

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٨٧/٥٩-١٨٨.

(٥) نفس المصدر: ١٨٧/٥٩.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٨٦/٥٩.

وهو من بني أمية وهي أسرة معروفة بهذه الصفة في قريش، قال رجل لعلي رضي الله عنه: أخبرني عن قريش، قال: "أرزننا أحلاما إخوتنا بنو أمية، وأنجدنا عند اللقاء، وأسخانا بما ملكت اليمين بنو هاشم، وريحانة قريش التي نشم بينها بنو المغيرة، إليك عني سائر اليوم"(١) ومعاوية رضي الله عنه يُروى عنه في هذا الباب كثير من المواقف التي تدل على اتصافه بالحلم، عن قبيصة بن جابر(٢) قال: صحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما منه ولا أبطأ جهلا وأبعد أناة منه.(٣) وقال معاوية رضي الله عنه "إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكثر من حلمي، أو عورة لا أواريها بستري، أو إساءة أكثر من إحساني"(٤)

وقال: " ما من شيء ألذ عندي من غيظ أتجرعه"(٥) فهذه بعضاً من الأقوال والمواقف التي تدل على حلمه وعفوه وصفحه على من جهل عليه، وكان قادرا على أن يعاقب كل من تطاول عليه، ويأخذ لنفسه ممن أساء إليه.

الكرم:

كان معاوية رضي الله عنه كريما سخيا بماله، وخاصة مع أهل البيت، فإنه كان يجزل لهم العطاء ويعرف لهم منزلتهم ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) عبد الرزاق: المصنف، برقم ٩٧٦٨.

(٢) قبيصة بن جابربن وهب بن مالك بن عَميرة بن حُذار بن مرة بن الحارث الأسدي، الكوفي، له إدارك، وقيل بل هو من كبار التابعين، كان أخا معاوية من الرضاع، وقد وفد عليه، وكان كاتب سعيد بن العاص بالكوفة، ويعد من الفصحاء، توفي سنة ٦٩هـ،(ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤٥/٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٣٦/٤٩،الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦٩٥/٢، ابن حجر: الإصابة، ١٧٧/٩).

(٣) الذهبي:سير أعلام النبلاء: ١٥٣/٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٥/٥.

(٥) نفس المصدر ٣٣٦/٥.

دخل عليه الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أما والله لأجيزنك بجائزة لم أجزها أحد من قبلك من العرب، ولا أجيزها بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف، فأخذها.(١)

وقد بعث لعائشة مرة بمائة ألف، فو الله ما أمست من ذلك اليوم حتى فرقتها، فقالت مولاة لها لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما، قالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت.(٢)

وهكذا كان معاوية رضي الله عنه يكرم أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين، بل شمل كرمه غيرهم أيضا حتى دانت له البلاد وساد الناس.

يلاحظ أن أبا سفيان كان بخيلا شحيحا فكان يمسك عنه، ويقلل عليه، والنفس لا تسمو مع البخل، والمنزلة لا ترتفع مع الشح، فكانت أمه تأخذ من خلف أبيه، وتعطيه بقدر، وتسمح له بالمقدار، فالكرم أحد مقومات السيادة، غير أن التبذير أحد عوامل زعزعة الإدارة وزوال السلطان، فنشأ معاوية على السخاء عند الحاجة، والإمساك مع الضرورة.(٣)

العلم والفقه:

كان معاوية رضي الله عنه عالما فقيها، والعلم من أقوى الصفات القيادية في القائد، فقد اهتم والداه من نعومة أظفاره بتعليمه الكتابة والقراءة، وقليل من كان يجيد ذلك في ذلك العهد في مكة، حتى غدا كاتبا من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المكرمة وهي كتابة الوحي استفاد منها معاوية رضي الله عنه في حياته العلمية.

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثةً وستين حديثا اتفق

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٣/٥٩.

(٢) نفس المصدر: ١٩٢/٥٩

(٣) شاكر: معاوية بن أبي سفيان وأسرته: ص٤٤-٤٥.

البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بخمسة[1]،

ومما يدل على علمه وفقهه رضي الله عنه ما أخرجه البخاري رحمه الله قيل لابن عباس رضي الله عنهما هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة، قال أصاب إنه فقيه.[2] والعلم هو أساس السيادة والقيادة، وله اجتهادات معتبرة في كثير من المسائل الفقهية.

هذه بعض الصفات القيادية في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أهلته للقيادة ولذلك نال شرف الكتابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتولى في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قيادة الجيوش، وجعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليا على الشام، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلى أن صار خليفة للمسلمين.

---

(١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات: ٢/١٠١.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية رضي الله عنه رقم ٣٧٦٤-٣٧٦٥.

المبحث الثالث: أهم التطورات التي مرت بها النظم حتى عهد معاوية رضي الله عنه.

النُّظُم من أهم المهمات لدى الشعوب والدول لتساير شؤون حياتها وأمورها، وتختلف النظم من دولة لدولة ومن عصر لعصر، ومهما اختلفت الدول، لكن لا بد من نظام يضبط حياتهم.

تعريف النُّظُم:

النُّظُم في اللغة:

النون والظاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء، نظم الخرز في نظام واحد، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والنظم: نظمه ينظمه نظما ونظاما ونظمه فانتظم وتنظم، والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، والنظم: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، والمنظوم الجماعة من الجراد، وثلاثة كوكب من الجوزاء، ونظام كل أمر ملاكه، والجمع أنظمة، وأناظيم، ونُظُم.[1]

فالكلمة بهذا تطلق على الشيئ الذي يراعى فيه الانسجام والترابط والترتيب والتماسك كالخرز الذي يكون منتظما في خيط واحد.

وفي الاصطلاح:

" نظم الدولة تتكون من مجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة" ويدخل فيه النظام السياسي، والنظام الإداري، والنظام المالي،

---

(١) ابن عباد: المحيط في اللغة: ٣٥/١٠، الجوهري: الصحاح: ١٦٥١/٥، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٤٤٣/٥ ابن منظور: لسان العرب: ١٩٦/١٤، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ١٥٢٩/٢.

والنظام القضائي، والاجتماعي، وغيرها.[١]

وقيل أنه يراد به " مجموعة القواعد الملزمة التي تحكم سلوك الأشخاص في المجتمع، وتنظم علاقاتهم تنظيما عادلا يكفل لهم حرياتهم، ويحقق الخير العام لهم والتي يتعين عليهم الخضوع لها ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك"[٢].

وغيرها من التعريفات وكلها تدل على أهمية إيجاد النظم في أي دولة من الدول سواء كان عرفا أو شرعا أو غيره مما ينظم حياة المجتمع في هذه الدولة ويسايرُ شؤون حياتها على الوجه المطلوب ويحفظ حقوق العامة والخاصة.

نشأة النظم وتطوره:

النظم ضرورة في حياة الإنسان والمجتمع، ولا يستطيع أن يعيش المجتمع في أمن واطمئنان بدونه؛ بل يعيش حياة الفوضى والاضطراب عند فقدان النظام الذي يسير أمورهم، وقد تخلف النظم من دولة لدولة، ومن مجتمع لمجتمع، وهي سنة الله في الخلق قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٣].

وتقضي الفطرة السليمة بأن الشخص وحده لا يستطيع أن يقوم بشؤون نفسه، إذ هو اجتماعي بطبعه مجبول العيش في الجماعة، ويحتاج إلى بني جنسه وذويه في إدراك مآربه، وتكملة أسباب حياته، مما تقصر عنه يده، من أجل هذا كله كان لابد لسعادة الجماعة، وإقرار الأمن والطمأنينة في النفوس، من وجود قواعد تُنظم سلوك الأفراد ويستهدون بها في معاملاتهم هذه[٤].

ولذلك نجد أن قريشاً اتخذت دار الندوة لمناقشة أمورها، وتنظيم حياتها، واتخاذ

---

(١) حسن إبراهيم، النظم الإسلامية: ص:٦ .

(٢) عبد الرزاق: المدخل لدراسة النظم الإسلامية، ص: ٩-١٠.

(٣) الحجرات: آية رقم ١٣.

(٤) عبد الرزاق:المدخل لدراسة النظم:ص٣-٤.

القرارات الملزمة للمجتمع القرشي، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "شهدت حلف المطيَّبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حُمر النعم وإني أنكثه"[1] هذا الحديث يدل على أن قريشاً كانت لهم نُظم وضعوها لأنفسهم يسيرون عليها.

وإذا أمعنا النظر في النظم الإسلامية رأينا أنها لم تنشأ كلها بعد ظهور الإسلام، ولم تنضج في وقت قصير بل ترجع أصول البعض منها إلى الأنظمة التي كانت سائدة في الشرق الأدنى قبل الإسلام، ولما امتدت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا استفاد المسلمون من النظم الساسانية، والبيزنطية في الشؤون الإدارية، والمالية وغيرها.[2]

وبعد الهجرة أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة عاصمة الدولة الإسلامية أُسُس النظام الإداري في الإسلام باعتبارها جزءا أساسيا مكملا لنظام الدولة[3] فقد نظم النبي صلى الله عليه وسلم العلاقة بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتابا أوردته المصادر التاريخية[4]، واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح

---

(١) مسند الإمام أحمد: رقم ١٦٥٥، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال محققو المسند صحيح.

(٢) الدوري: النظم الإسلامية: ص١٠.

(٣) فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة والإسلامية.ص٧٤.

(٤) ابن إسحاق أول من رواها من غير إسناد، (سيرة ابن هشام ج١ ص٥٠١) وقد تناولها بعض المعاصرين بالدراسة والتحليل، وأفضل من درسها دراسة حديثيه حسب اطلاعي، أ.د أكرم ضياء العُمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة، ١ /٢٧٢-٢٩٨، وخلاصة ما توصل إليه قال: أن القول بوضع الوثيقة مجزفة، ولكن الوثيقة لا ترتقي بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، ولكن نصوصا من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي أحاديث صحيحة، وقد أحتج بها الفقهاء وبنو عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند أحمد، وسنن أبي داود، وابن ماجة، والترمذي، وهذه النصوص جاءت من طُرق مستقلة بين الطرق التي وردت منها الوثيقة. وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في أحكام = =

التزامات جميع الأطراف داخل المدينة وتحديد الحقوق والواجبات وقد سُميت في المصادر القديمة بالكتاب أو الصحيفة وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ الدستور والوثيقة[1] وبهذا وضع النبي صلى الله عليه وسلم وأرسى قواعد النظم التي يسير عليها، وعرف كل من سكان المدينة المنورة ماله وما عليه، وشمل الكتاب كل الأطياف حتى يكون كل امرئ على بينة من أمره.

وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان الوحي ينزل في الحكم على القضايا الطارئة والأمور العامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصدر أحكامه على وحي من الله، سواء كان قرآنا أو سنة، مع إرساء قاعدة الشورى التي أمر الله بها في كتابه العزيز قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

ثم ترك النبي صلى الله عليه وسلم من بعده مصدرين أساسيين للتشريع، ولأنظمة الحكم هما القرءان والسنة، وقد واجه المسلمون من بعده كثيرا من المشكلات أخذوا يحلونها بالقياس بما جدت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واجه المسلمون مشكلةً في من يخلفه في تنظيم شؤون حياتهم فكان عليهم أن يختاروا خليفة له عليه الصلاة والسلام، فتصدى

= =

الشريعة سوى ما ورد منها في كتب الأحاديث الصحيحة، فإنها تصلح أساسا للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية خاصة.(السيرة النبوية الصحيحة ١/٢٧٥).

(١) أكرم العُمري: السيرة النبوية الصحيحة، ١/٢٧٢.

(٢) آل عمران: آية رقم ١٥٩.

(٣) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص٢٢.

لها بعض زعماء المسلمين من أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وانتهى الأمر باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه فنشأت مسألة الحكم عند المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم[1]. وتم اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أساس سبقه إلى الإسلام، ومنزلته ومكانته من النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أساس انتمائه إلى قريش، وأيضا على أساس تفويض الرسول صلى الله عليه وسلم له بإمامة المسلمين في الصلاة عندما اشتد به المرض، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى، منها أنه كان ثاني اثنين في الغار. [2]

خلف أبو بكر رضي الله عنه النبيَّ صلى الله عليه وسلم في مباشرة الأمور السياسية التي كان يقوم بها، وبذلك انطوى تحت كلمة "خليفة" معنى الحكم التي يختلف عن المعنى الذي قصد منها في القرآن.[3] فعصره يعتبر امتداداً للنظام الإداري في عهد النبوة.

ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه وأحس بدنوِّ أجله، استخلف للأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد عليه وكتب في ذلك كتابا، وذلك بعد استشارة كبار الصحابة، وأهل الرأي منهم، ويلاحظ في هذا أمران، أولهما: أن أبا بكر علق خلافة عمر على رضا الناس، وثانيهما: أن أبا بكر لم ينتخب أحدا من أبنائه أو أقربائه، بل انتخب شخصا أجمع الناس على احترامه لما امتاز به من الصفات العالية[4].

وفي عصر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شهد النظام الإداري نقلة حضارية كبرى تجلت في اهتمام الخليفة وعنايته الفائقة بالنظم الإدارية، وفي عهده رسخت التقاليد الإدارية الإسلامية، وتمثل هذا الاهتمام بتنظيم الدولة الإسلامية إداريا

---

(١) حسن: النظم الإسلامية، ص٢٣.

(٢) عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٤٤.

(٣) حسن: النظم الإسلامية ص٣٨.

(٤) نفس المرجع:ص٤١.

وخاصة أن الفتوحات الإسلامية أدت إلى امتداد رُقعة الدولة الإسلامية في عهده، وأكد استقلال القضاء، كما اهتم بأمر الأمصار والأقاليم ووطَّد العلاقة بين العاصمة المركزية والولاة والعمال في أجزاء الدولة الإسلامية، وشهد عصره بالإضافة إلى ذلك تنظيمات متنوعة فوضع أساس بيت المال، ونظم أموره، وكان يعس ليلا ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم بيده وكان يراقب المدينة ويحرسها من اللصوص، كما يراقب أسواق المدينة ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وهو في هذا كله يتأسى بسنة النبي صلى الله عليه وسلم(١).

ولما طعن الفاروق رضي الله عنه أخذ الناس يتكلمون في أمر الخلافة، وطلبوا إليه أن يعهد لهم، وعرض عليه البعض أن يعهد على ابنه عبد الله رضي الله عنه، فأبى، واختار ستة من الصحابة الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، وأوصاهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأت اليوم الرابع إلا وعليهم أمير، ويحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له في الأمر، ويصلي بالناس هذه الأيام صهيب رضي الله عنه(٢)، وبعد مشاورات بُويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة(٣).

وفي عهده شهدت المدينة تطورات إدارية محدودة، وإن كانت على درجة من الأهمية فقد تحول العسس الذي كان في العهود السابقة إلى نظام له أصول وقواعد ومهام محددة هو نظام الشرطة، ومع ذلك يمكن القول أن الأوضاع الإدارية سارت

---

(١) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص٧٥-٧٧.

(٢) صهيب بن سنان بن مالك بن عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة، النمري أبو يحيى، الرومي، أسلم هو وعمار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا، شهد بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات في شوال سنة ٣٨ وقيل ٣٩، ودفن بالبقيع رضي الله عنه. (الطبقات الكبرى ٢/٢٠٦-٢١١، أسد الغابة ٢/٤١٨-٤٢١، الإصابة ٥/٢٩٣-٢٩٧، الإستيعاب ٢/٧٢٦-٧٣٣)

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٤٢، حسن: تاريخ الإسلام، ١/٤٣٣-٤٣٤.

على ما كان عليه في عهد الفاروق.[١] وعسكريا أُنشأ في عهد عثمان رضي الله عنه الأسطول البحري وخاض المسلمون به معارك مع الروم مثل معركة ذات الصواري[٢].

وبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بايع معظم الصحابة من أهل الحل والعقد من أهل بدر والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصار خليفة للمسلمين، وهو آخر خلفاء النبوة[٣].

وسارت الأمور في خلافته على ما كانت عليه في زمن من قبله، إلا ما كان من تغير بعض الولاة.وبهذا نجد أن النظم في عهد الخلفاء الراشدين كانت تسير على المبادئ والأسس التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم، مع بعض التنظيمات والإضافات والاستفادة من الأنظمة التي كانت سائدة في المناطق التي فتحوها، بما لا يتنافى مع المبادئ الإسلامية، مع العلم أن سنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم نحن مأمورون باتباعها.

أما من حيث تطور النظم الاقتصادية فإن النبي صلى الله عليه وسلم وضع المبادئ القرآنية التي بني عليها النظام الاقتصادي الإسلامي موضع التنفيذ، وبذلك تقررت قواعد هذا النظام ورُسمت معالمه، ويرتكز النظام المالي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قواعد رئيسيه حددها القرآن الكريم، هي الزكاة، والغنيمة، والجزية، والفيء، والصدقات، والخراج، ومع امتداد الفتح الإسلامي واجه المسلمون نُظماً جديدة عليهم مما كان لدى شعوب البلاد المفتوحة، فاقتبسوا مما وجدوا وأدخلوا

---

(١) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص٧٧.

(٢) ذات الصواري: هي المعركة التي خاضها المسلمون في البحر الأبيض المتوسط على مقربة الأسكندرية مع الروم، وذلك سنة ٣٤هـ وانتصر فيها الأسطول الإسلامي على أسطول الروم، وكان قائد المسلمين فيها عبد الله بن سعيد بن أبي السرح .(ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٢١٧،)

(٣) أكرم العُمري: تاريخ الخلافة الراشدة ص٦٠.

إلى أنظمتهم إضافات وتطورات جديدة وانسحب ذلك التطور بطبيعة الحال على النظم المالية والاقتصادية بما لم يخل بالأسس والقواعد الأصلية لها(١).

ومما أضافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في موارد الدولة نظام العُشور فهو أول من وضعه(٢)، وهذا من التطور الذي أحدثه عمر في النظم المالية.

أما القضاء ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم احتكم المسلمون الأوائل إليه، واعتبر حكمه ملزما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣) وبذلك يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أول قاض في الإسلام، وكان يستمد أحكامه من الله سبحانه وتعالى قال تعالى:﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾(٤) ولما فتحت بعض الأمصار بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولاة فكان الوالي هو الحاكم وهو القاضي، ولم يعرف في عهده أنه عين في بلد رجلا أختص في القضاء؛ ولما استلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة سار على ما سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإدارة الإسلامية وكان عمر رضي الله عنه من القضاة الذين وكلهم أبو بكر رضي الله عنه في القضاء.(٥)

وقيل: أن أبا بكر رضي الله عنه أول خليفة اتخذ قاضيا وأن قاضيه كان عمر بن

---

(١) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ص١٤١-١٤٢.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص١٣٤-١٣٥.

(٣) النساء: آية رقم ٦٥.

(٤) المائدة: آية رقم ٤٨.

(٥) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص١٠٩-١١٠.

الخطاب رضي الله عنه، وقيل إن عمر هو أول من اتخذ قاضياً[(١)]

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطور القضاء ففصل عمر رضي الله عنه بين الولاية والقضاء وذلك بسبب اتساع الفتوحات، وبعد أن تعذر على الوالي أن يجمع مع النظر في الأمور العامة الفصل بين الخصومات[(٢)].

وبهذا نجد أن النظم مرت بمراحل حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، سواء كان سياسيا كتنظيم الخلافة ونشأتها، حيث وضع لها شروطا وضوابط؛ وطُرق الاختيار في زمن الخلفاء الراشدين، كما مر، من انتخاب أول خليفة للمسلمين أبو بكر رضي الله عنه، حيث كان عن طريق اختيار أهل الحل والعقد، ثم الطريق الثاني، حيث أن الخليفة السابق أوصى لمن بعده، كاختيار أبي بكر لعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما، ثم وصية عمر بن الخطاب للستة ليختاروا من بينهم.

وتطور النظم إداريا، واقتصاديا، حيث وضع النبي صلى الله عليه وسلم نظاما يُساير أهل المدينة وشمل كل الأطياف، وسار خلفائه على منهاجه، مع بعض التطورات التي كان يقتضيها عهدهم، مع عدم الإخلال بالمبادئ الإسلامية، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ وهكذا نجد ضرورة النظم في مسايرة أمور المجتمع في حياتهم، وأنَّ انعدام النظام يكلف المجتمع كثيراً من الأمور من عدم الاستقرار، وعدم الأمن والاطمئنان، والسلام.

ورأينا في هذه العجالة بعضا من تطورات النظم حتى آخر عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، إلى أن وصل الأمر إلى معاوية رضي الله عنه وسنرى كيف سار في هذا المضمار، وماذا أضاف معاوية رضي الله عنه في النُّظُم.

---

(١) العجلاني:عبقرية الإسلام في أصول الحكم، ص٣٤١.

(٢) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص١١٠.



الفصل الأول

النظام السياسي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأوّل: توليه الخلافة.

المبحث الثّاني: أسس النظام السياسي في خلافة معاوية.

المبحث الثّالث: تنظيم بلاط الخلافة.

المبحث الرّابع: ولاية العهد.

المبحث الخامس: شارات الخلافة.

المبحث السّادس: أمراء الحج.

المبحث الأول: توليه الخلافة.

أولا: تعريف الخلافة.

الخلافة لغة: مصدر (خلف) يقال خلف فلانٌ فلاناً إذا كان خليفته، وبقي بعده،وهو يقوم مقامه، يقال خلفه في قومه خلافةً، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[١]والخليفةُ هو السلطان الأعظم، وهو الذي يُستخلف ممن قبله، والجمع خلائف وخُلفاء، والخلافة هي الإمارة وهي الخليفي، وقد يؤنث، كالخليفة[٢] أنشد الفراء[٣]:

أبوك خليفة ولدته أخرى　　　وأنت خليفة ذاك الكمال[٤]

فالخلافة موضوعة في الأصل لكون الشخص خلفا لأحد[٥]

واصطلاحا: الخلافة والإمامة كلمتان مترادفتان فبعض الأئمة يعبر عنها بالإمامة، وبعضهم يعبر عنها بالخلافة، وكلاهما يدلان على معنى واحد.

---

(١) الأعراف: ١٤٢ .

(٢) الفراهيدي: العين، ٢٦٧/٤،، الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١٣٥٦/٤، ابن منظور: لسان العرب، ١٨٢/٤-١٨٣، الفيروز آبادي: القاموس المحيط ص: ٨٠٨، الزبيدي: تاج العروس، ٢٦٤/٢٣-٢٦٥.

(٣) الفراء: هو العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولا هم الكوفي النحوي صاحب الكسائي، وكان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، مات بطريق الحج سنة سبع ومئتين، وله ثلاث وستون سنة، رحمه الله من مؤلفاته الحدود، والمعاني، واللغات، وغيرها. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٧٦/٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١٨/١٠،).

(٤) الجوهري: الصحاح: ١٣٥٦/٤، وابن منظور: لسان العرب: ١٨٢/٤.

(٥) حسن: تاريخ الإسلام، ٤٢٨/١.

يقول الماوردي[١]: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[٢]

ويقول ابن خلدون[٣]: " الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا."[٤]

ثانيا: خلافة معاوية رضي الله عنه.

سبقت خلافة معاوية رضي الله عنه، أحداث عظيمة في تاريخ الإسلام كانت بداياتها مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه[٥]، مرورا بخلافة علي رضي الله عنه[٦]، وكان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما خلافا كبيراً انتهى بقتل

(١) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري المعروف بالماوردي الفقيه الشافعي له تصانيف حسان منها: الحاوي الكبير، وأدب الدنيا والدين والدين وغيرها، توفي سنة ٤٥٠هـ. الذهبي: الخطيب، تاريخ بغداد ٥٨٧/١٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٨٢/٣، ابن السكبي طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٧/٥.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية،٢٩.

(٣) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد، الحضرمي الأشبيلي الأصل، ولد في تونس سنة ٧٣٣هـ ونشأبها، ولي قضاء المالكية في القاهرة، توفي سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة،(ابن خلدون: تاريخه، ٥٠٣/٧، السيوطي: حسن المحاضرة، ٤٦٢/١، الفاسي: ذيل التقييد في روات السنن والمسانيد، ١٠٠/٢، الزركلي: الأعلام، ٣٣٠/٣).

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ٢٣٩/١.

(٥) وكتبت في ذلك رسالة علمية بقسم التاريخ في الجامعة الإسلامية بعنوان "فتنة مقتل عثمان عثمان بن عفان رضي الله عنه" للدكتور محمد بن عبد الله غبان الصبحي.

(٦) وأيضا كتبت في ذلك رسالة علمية بقسم التاريخ في الجامعة الإسلامية بعنوان "خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه دراسة نقدية للروايات من كتب السنة والتاريخ" للدكتور عبد الحميد بن علي ناصر فقهي.

علي رضي الله عنه من قبل الخوارج، فبايع أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنهما، فاشترط عليهم أنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت،[١] وهذا الشرط كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يهدف من ورائه الوصول إلى الصلح، ولهذا أرتاب أهل العراق من هذا الشرط وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال[٢].

وأخرج البخاري رحمه الله، من طريق الحسن[٣] يقول " استقبل والله الحسنُ بن علي رضي الله عنهما، معاويةَ رضي الله عنه بكتائب أمثال الجبال فقال: عمرو بن العاص رضي الله عنه إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاويةُ . وكان والله خير الرجلين[٤] . أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس . عبد الرحمن بن سمرة[٥]، وعبد الله بن عامر[٦]، . فقال اذهبا إلي هذا

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،١٦٢/٥ .

(٢) نفس المصدر ١٦٢/٥ .

(٣) الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، كان من سادات التابعين وكبرائهم، مات شهر رجب سنة عشر ومئة وهو ابن تسع وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهودة صلوا عليه عقب الجمعة بالبصرة وشيعه الخلق وازدحموا عليه، رحمه الله. (ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٥٦/٧،ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٩/٢، الذهبي:سير أعلام النبلاء ٥٨٧.٥٦٣/٤).

(٤) أي معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٥) عبد الرحمن: هو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو أبو سعيد القرشي العبشمي الأمير، أسلم يوم الفتح، وكان أحد الأشراف، نزل البصرة ، أميرا على الجيش، توفي بالبصرة سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين. (الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥٧١.٥٧١/٢، ابن حجر: الإصابة :٤٩٠/٦).

(٦) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي، ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وأوصى إلى عبد الله بن الزبير، = =

الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه وتكلما، وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: "إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وأن هذه الأمة قد عاثت في دمائنا"، قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به، فصالحه فقال الحسن[1]، ولقد سمعت أبا بكرة[2]، يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: "ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[3]

في هذا الحديث كثير من المسائل، والفوائد التي يجب الوقوف عندها، بما يتعلق في خلافة معاوية رضي الله عنه من ذلك:

فيها علم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنقبة للحسن رضي الله عنه، فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لِذلة، ولا لعلة؛ بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماءِ المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.[4]

= =

وقال معاوية بمن نفاخر وبمن نباهي بعده. (ابن عبد البر:الاستيعاب، ٣/٩٣١.٩٣٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/١٨.٢١، وابن حجر: الإصابة، ٨/٢٢.٢٤).

(١) أي راوي الحديث.

(٢) أبو بكرة: هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي مسلمة ، ويقال: ابن مسروح، وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حصن الطائف في بكرة فأسلم، وكني أبا بكرة، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معدود من مواليه، توفي بالبصرة سنة إحدى أو اثنين وخمسين، وأوصى أن يصلي عليه أبوبرذة الأسلمي. (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٩/١٥، وابن الأثير: أسد الغابة، ٥/٣٨.٣٩، وابن حجر: الإصابة، ١١/١٢٠.١٢١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما "ابني هذا سيد ولعل الله......"، ٣/١٨٦، برقم ٢٧٠٤.

(٤) ابن حجر: فتح الباري، ١٣/٨٣.

ويؤيد ذلك قوله رضي الله عنه عندما قيل له إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال كانت جماجم العرب بيدي يُسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها بأتياس أهل الحجاز.[١]

وفيه أيضا أن الصلح كان رغبة الطرفين سواء كان الحسن أو معاوية رضي الله عنهما ولم يكونا يريدا الاقتتال، ولذلك قال معاوية رضي الله عنه لعمرو "إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟"

وهذا يدل على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وبُعد نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب.[٢]

وقد سلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لخمس بقين من ربيع الأول[٣] سنة إحدى وأربعين من الهجرة، ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها بالخلافة،[٤] وأرسل الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد[٥] أن يسمع ويطيع لمعاوية ، فأبى قيس من قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم (٤٧٩٥) وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأبو نعيم في الحلية، ٣٦/٢، باب الحسن بن علي، وابن عساكر: في تاريخ دمشق،٢٨٠/١٣، والذهبي: في سير أعلام النبلاء، ٢٧٤/٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ٨٤/١٣.

(٣) وقيل: لخمس بقين من جمادي الأولى، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في غرة جمادي الأولى.(الطبري: تاريخ الرسل والملوك،١٦٣/٥،ابن الجوزي: المنتظم ١٨٤/٥).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٦٣/٥.

(٥) قيس بن سعد بعبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، يكنى بأبي الفضل، كان من فضلاء الصحابة، وأحد دهات العرب، وكرمائهم، وكان من ذوي الرأي الصائب، والمكيدة في الحرب، مع النجدة ، والشجاعة، توفي سنة ستين، وقيل تسع وخمسين، (ابن سعد: الطبقات الكبرى،٣٦٩/٥-٣٧٥، ابن عبد البر: الاستيعاب ١٢٨٩/٣ـ١٢٩٢، ابن الأثير: أسد الغابة، ١٢٤/٤.١٢٧).

جميعا واعتزل بمن أطاعه[1]

وكان قيس بن سعد على شرطة مقدمة جيش الحسن بن علي رضي الله عنهما، فتعاهد مع جنده على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي،[2] وأرسل معاوية إليه يذكره الله تعالى ويقول له: على طاعة من تقاتل وقد بايعني من أعطيته طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه في آخره وقال أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك، فقال عمرو بن العاص لا تعطه هذا وقاتله، فقال على رسلك! فإنا لا نخلص على قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد هذا، وإني لا أقاتله حتى لا أجد من قتاله بدًّا، فلما بعث إليه بذلك السجل أشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا، وأعطاه معاوية ما سأل فدخل قيس ومن معه في طاعته[3]. وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماعهم على إمام وهو عام إحدى وأربعين[4].

وبهذا يجب أن يُعلم أنَّ معاوية لم ينصب نفسه ولم ينل الخلافة بقوة السلاح أو الدهاء أو غلبة الجيش، بل بصلح مع الخصوم وتراض معهم، فليست المعارك هي التي أدت إلى إقامة الحكم الأموي بداية بمعاوية[5]. وبهذا انتهت مرحلة الفوضى والاقتتال، والاقتتال، وزال تفكير الأعداء باستعادة الأقاليم والبلدان التي تخلو عنها، إذ رجع المسلمون فوجهوا قوتهم إلى مناطق الثغور، وانطلقوا للجهاد والدعوة والعمل، فعادت أيام الفتح، وقطع الروم أملهم بالرجوع إلى الأماكن التي فقدوها، لذا عُرف بدء خلافة

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٦٤/٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٣/١١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ١٨٥/٥-١٨٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٤/٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤١/٥.

(٥) يوسف العش: الدولة الأموية، ص١٣٠.

معاوية بعام الجماعة، إذ توحدت كلمة المسلمين بعد اختلاف، واجتمعت جيوشهم بعد افتراق، فكان ذلك خيرا لهم وسرورا لأنفسهم[1].

(١) شاكر: معاوية بن أبي سفيان، ص١٦٥.

المبحث الثاني: أسس النظام السياسي في خلافة معاوية.

قامت الدولة الإسلامية على أساس سياسيٍّ متين منضبط يقوم على مصالح الأمة، وضع لبناته الأولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الوحي هو الذي يُسير أمور المسلمين وسياساتهم، في حياته سواء كان قرآنا أو سنة، ثم جاء الخلفاء الراشدون من بعده وساروا على منواله في سياستهم للرعية، وإن أضافوا شيئا أو اجتهدوا فإن اجتهادهم مما أمرت الأمة بالأخذ به حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"[(١)] وبعد أن مكن الله معاوية بن أبي سفيان من الحكم، واجتمعت كلمة المسلمين عليه، جعل لنفسه أسسا سياسية كان فيه مصلحة للأمة ويناسب المجتمع الذي وُلِّي عليهم، مع أنه لم يغير في النظام العام، والأصول التي جاءت بها الكتاب والسنة، ففي هذا المبحث ندرس أسس النظام السياسي في خلافته رضي الله عنه، على النقاط التالية.

أولا: التعريف بالنظام السياسي.

النظام، جمعه نُظم وقد سبق التعريف به.

السياسة لغة: القيام بالشيء بما يصلحه، سست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها، والسياسة فعل السائس يقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها،والوالي يسوس الرعية.[(٢)]

---

(١) أخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم ٤٦٠٧. والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم ٢٦٧٦. وابن ماجة، باب اتباع سنة الخلفاء، برقم ٤٢، وأحمد في المسند، برقم ١٧١٤٢، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، والحديث قال الترمذي فيه حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) الجوهري: الصحاح ٩٣٨/٣، ابن منظور: لسان العرب ٤٣٠.٤٢٩/٦، الزبيدي: تاج = =

واصطلاحا: هي العلم الذي يعرف منه أنواع الرئاسات والسياسات الاجتماعية والمدنية، وأحوالها: من أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاء والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال، ومن يجري مجراهم.[١] كما أنه يمكن القول بأن السياسة هي: تنظيم لأمور الدولة وممارسة السيادة داخليا والعناية بمصالح وشؤون الفرد والمجتمع، داخل الدولة وخارجها.[٢]

أما إذا أردنا أن نعرف النظام السياسي فهو: معرفة نظام الحكم، وكيفية اختيار الحاكم، وحقوقه وواجباته، وحقوق وواجبات المحكوم، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، والعلاقة بين الدول في حالتي السلم والحرب.[٣] ومن هذا يمكن فهم النظام السياسي لكل دولة من الدول وتتضح العلاقة التي ينشئها الحاكم بينه وبين محكوميه، والعلاقة التي يسير بها في سياسته الداخلية والخارجية عموما.

ثانيا: أسس النظام السياسي عند معاوية.

مما يجب أن يعلم أن الإسلام وضع الأسس العامة للدولة، ولم يتعرض في كثير من الأحوال للتفاصيل، وكان من جراء ذلك أن تطورت نظم الحكم والإدارة والتشريع في الدولة الإسلامية حسب الظروف التاريخية، ومقتضيات المجتمع وتقاليد الأمم التي دخلها الإسلام، ولكن في إطار أحكام الإسلام ومبادئه الأساسية،[٤]

وهذا ما أكده معاوية رضي الله عنه في خطبته التي خطبها في المدينة بعد مبايعته، حيث قال " ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم

= =

العروس ١٦/١٥٧.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/ ٢٩٥.

(٢) السامرائي: النظام السياسي في الإسلام ص١١.

(٣) سعود: النظام السياسي في الإسلام، ص٤.

(٤) الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية،ص٣٣.

بذلك، وأردتها على عمل ابن الخطاب، فكانت أشد نفورا، وحاولتها على سنيات عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء، هيهات أن يُدرِكَ فضلهم أحد ممن بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم، غير أني سلكت بها طريقا لي فيه منفعة ولكم مثل ذلك ولكل فيه مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة، ماستقامت السيرة وحسنت الطاعة".[١]

ولم يحِدْ معاوية رضي الله عنه عن سياسة من سبقه إلا لأن المجتمع ليس المجتمع الذي كان يحكمه هؤلاء، بل وحتى البيئة والمكان؛ حيث صارت العاصمة دمشق، وحتى الطريقة التي جاء بها معاوية رضي الله عنه للحكم تختلف عن طريقة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فهذا وغيره جعله يسير بالأمة بسياسة تختلف عمن سبقه، استدعاها عهده، ورآها مناسبة لعصره ووقته، وتناسب أيضا الناس من حوله، مع أنها لم تخالف على المنهج العام والثوابت والأصول الذي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم من بعده.

معاوية- رضي الله عنه- كان عاقلا في دنياه، لبيبا عالما حليما، ملكا قويا، جيد السياسة حسن التدبير لأمور الدنيا، عاقلا حكيما فصيحا، بليغا يحلم في موضع الحلم، ويشتد في موضع الشدة، إلا أن الحلم كان أغلب عليه، وكان كريما باذلا للمال، محبا للرئاسة مشغولا بها.[٢] عن ابن عباس-رضي الله عنه- يقول: ما رأيت رجلا أخلق للملك من معاوية إن كان الناس ليردون منه على أرجاء واد رحب، ولم يكن بالضيق الحصر العُصْعُص[٣].[١] إن طبع معاوية وصفاته النفسية وعقليته كانت

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٤/٥٩.

(٢) الفخري: في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص١١٠.

(٣) العُصْعُص: والعُصْعوص أصل الذنب، ويجمع عُصوصا وعصاعص، وعصَّ الشيء يَعَصُّ إذا صلب واشتد، ورجل ضَيِّق العصعص:أي نكدٌ قليل الخير.(ابن عباد: المحيط في اللغة، ٧٩/١، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٤٧/٤، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢٤٨/٣،)

في المستوى الذي يوفِّي مسائل تلك الساعة حقها، فهو رجل ذلك العصر، وكان كفؤا بالإدارة، إذ باشرها عشرين عاما قبل أن يصبح خليفة، فأحسنها وعرفها وعجنها، ثم كان كفؤا بالحرب، فقد حارب الروم فغلبهم في مواقع كثيرة، ثم إنه عارف بالرجال، يفهم نفسيتهم وأطوارهم، ويمتزج بتلك النفسية والأطوار فيسيرها نحو هدفه، ويحسن التصرف بها كل الحسن، ويسوس الناس بما ينبغي أن يساسوا به، فيقبلون عليه متوددين طائعين مقدرين ظروفه، وهو بعيد النظر كل البعد فهو لا يدرس مسائل الساعة وحدها، بل يرى من خلالها خطوطا للمستقبل، عليه رسمها ووضعها موضع التنفيذ.[٢] وبما أنه صحابي جليل وعصره أقرب إلى الخلافة الراشدة كان العدل أساس حكمه فلا يظن بصحابي جليل أنه كان يتعمد الظلم، "وهو من خيار الملوك الذي غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببريء من الهنات، والله يعفوا عنه"[٣].

ومن الأسس التي بنى عليها معاوية سياسته العفو؛ فقد كان كثير العفو، وقد بين هذا في خطبته على أهل المدينة بعد توليه الخلافة فجاء في خطبته تلك، "والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما قد علمتموه، فقد جعلته دبر أذني"[٤] فهذا مما يُعبَّر عنه بالعفو الشامل، والبداية بصفحة جديدة فيها مصلحة للكل، الراعي والرعية على السواء.

ثم إنه كثيرًا ما كان يغلظ عليه بعض الناس في القول ولكنه كان يَغُض الطرف عنهم، ويعفو عنهم ولا يؤاخذ الناس بألسنتهم، مادام الأمر لا يتعدى القول باللسان، وبهذا أحبه كثير من الناس ورضوا به خليفة عليهم. عن معاوية رضي الله عنه

= =

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٠/٦.

(٢) العش: الدولة الأموية، ص١٣٦-١٣٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥٩/٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٤/٥٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٣٢/١١.

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم، قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية فنفعه الله بها"[(١)] وهذا مما يعطينا تصورا بحسن سياسته.

وله في الحلم مواقف عظيمة وقصص كثيرة، والحلم كان من أساس سياسته وكان لا يدانى في ذلك، وبهذا الخلق ملك الناس، فهذا قبيصة بن جابر[(٢)] يقول "صحبت معاوية بن أبي سفيان فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه"[(٣)]

ومن الأسس التي بنى عليها معاوية سياسته مراقبة الله سبحانه وتعالى وتحري ما يرضي الله تبارك وتعالى في جميع شؤونه، بعيدا عن حظوظ النفس، وهذا ما وضحه عن نفسه في الحوار الذي دار بينه وبين المسور بن مخرمة رضي الله عنه[(٤)]، قال معاوية: فما يجعلك بأحق برجاء المغفرة مني؟ فو الله لما ألي من أمور المسلمين أكثر مما تلي،ولكني والله لا أخير بين أمرين بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه،

---

(١) روه أبوداود، كتاب الأدب، باب في التجسس، رقم٤٨٨٨، ،ابن حبان في صحيحه برقم ٥٧٦٠، والطبراني، في المعجم الكبير،٣٧٩/١٩ برقم٨٩٠، وصححه الألباني في صحيح سن أبي دود.

(٢) قبيصة بن جابر: بن وهب بن مالك بن عمير أبو العلاء الأسدي الكوفي، له إدراك، وصحب عمر بن الخطاب وشهد خطبته بالجابية، وكان أخا معاوية من الرضاعة، يعد من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة، وكان أحد الفصحاء، مات سنة تسع وستين من الهجرة.(التاريخ الكبير،١٧٥/٧، طبقات بن سعد، ٢٦٦/٨، الإصابة، ١٧٧/٩-١٧٩).

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق،١٧٨/٥٩.

(٤) المسور بن مخرمة: بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري، أبو عبد الرحمن، ولد بعد الهجرة بسنتين، وعداده من صغار الصحابة كالنعمان وابن الزبير، لما كان الحصار الأول أصابته حجر من أحجار المنجنيق وتوفي بمكة متأثرا به يوم جاء نعي يزيد بن معاوية إلى مكة لهلال شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين،.(طبقات بن سعد، ٥٢١/٦-٥٣١، سير أعلام النبلاء، ٣٩٠/٣- ٣٩٣، الإصابة، ١٧٦/١٠-١٧٩).

وأنا على دين يقبل الله فيه العمل، ويجزي فيه بالحسنات ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفوا عن من شاء فأنا أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها، وأوازي أمورا عظاما لا أحصيها ولا تحصيها من عمل الله في إقامة صلوات المسلمين والجهاد في سبيل الله والحكم بما أنزل الله والأمور التي لست تحصيها وإن عددتها لك، فتفكر في ذلك،[(١)]

وكان مع ذلك شديدا في مواطن الشدة فمن السياسة أن لا يسير القائد على نمط واحد بل إنه ينظر في الأمور فهناك مواطن لا يصلح معها إلا القسوة والشدة، فالخوارج[(٢)] مثلا لم يكن بد من أن يسلك معهم إلا سبيل الشدة والقسوة والقمع ليأمن شرهم ويحول دون ما يلقونه من بذور التفرقة التي كادت تودي بالأمة الإسلامية[(٣)] ومن ذلك أنه لما دخل الكوفة وخرج الحسن رضي الله عنه وأهله قاصدين الحجاز قالت فرقة من الخوارج وهم نحوًا من خمسمائة: جاء ما لا يُشك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه؛ فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل[(٤)]، فبعث إليهم معاوية خيلا من أهل الشام، فطردوا الشاميين، فقال معاوية لأهل

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (الطبقة الرابعة من الصحابة، ص: ١٢٤)، وابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٢/٥٩.

(٢) الخوارج: هم من خلع طاعة الإمام الحق، وأطلقت على أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في حرب صفين، وهم فرق كثير أشهرها: الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والإباضية، وغيرها.(الشهرستاني: الملل والنحل، ١٠٦/١-١٠٧، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٥، شيبة الحمد: الأديان والفرق ، ص١٠٣).

(٣) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،٣٧٩/١.

(٤) فروة بن نوفل: الأشجعي، أحد شعراء الخوارج، ذكره ابن حبان من الصحابة ثم توقف فيه، اعتزل القتال يوم النهروان في خمسمائة ونزل ناحية شهرزور، وخرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فبعث إليه المغيرة خيلا فقتلوه بشهرزور سنة ٤١هـ (ابن الأثير: الكامل، ١١/٣، ابن حجر:الإصابة، ٥٨٩/٨، الأعلام للزركلي، ١٤٣/٥).

الكوفة: لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم. فخرجوا إلى الخوارج، فقالت لهم الخوارج: ويلكم، ما تبغون؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا؟ فدعونا حتى نقاتله، فإن أصبناه كنا قد كفينا كموه، وإن أصابنا كنتم قد كُفِيتمونا. فقالوا: لا والله حتى نقاتلكم. فقالت الخوارج: يرحم الله إخواننا من أهل النهر كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة. فاقتتلوا فهزمهم أهل الكوفة وطردوهم[1]، وهكذا سلك معاوية مع الخوارج مسلك الشدة والقسوة وهذا من صميم السياسة فإن الناس لا تنفع معهم سياسة واحدة.

وكان الكرم من سياسته حيث استمال به قلوب كثير من الناس، والمال له دور كبير في السياسة، وذلك أن قلوب بعض الناس معلقة به فمن السياسة أن لا يبخل القائد بماله مادام يرى في ذلك مصلحة عامة وكبتاً للفتنة. وكان معاوية كريما لا يدانى في كرمه، فالأموال تغدق من بين يديه دون حساب، وهو لا يعدها حين يعطيها، لكنه يحسن التصرف فيها، فلا يعطيها إلا إذا عادت عليه بالفائدة، ولا يتصرف فيها إلا في محلها، فهي خادمة له تؤدي أوامره وتعطيه غاياته.[2] وهكذا لم تتعده الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه، واستفحل شأنه، وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التي لم يكن من قومه أوفر فيها منه يدا، يصانع رؤوس العرب بالإغضاء، والاحتمال، والصبر على الأذى والمكروه، وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنتزع، ومرقاته فيها لا تزل عنها الأقدام.[3]

وسار معاوية رضي الله عنه بالناس سيرة حسنة فقرب من كان بعيدا واستمع ممن كان نائيا، وحرص على جمع الكلمة، إذ أعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما ما أراد، وأمن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ووصله، وكذلك فعل بقيس بن سعد

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/١٤٨-١٤٩.

(٢) العش:الدولة الأموية، ص١٣٧.

(٣) ابن خلدون: التاريخ، ٣/٥.

رضي الله عنهما[1].

وقد لخص معاوية رضي الله عنه سياسة تعامله مع الناس بكلمات وجيزة فقال: "لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل وكيف ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتها"[2] وبهذا كانت خلافته رضي الله عنه رحمة للمسلمين استطاع خلالها، بذكائه وفطنته وحنكته ودهائه وسعة حلمه وعدله، أن يضع حدا للفوضى والفتن الداخلية التي استمرت ردحا من الزمن، ومزقت شمل الأمة، كما نجح في ردع الروم الذين استغلوا تلك الفتن وطمحوا في استعادة المراكز التي خسروها أمام الزحف الإسلامي سابقا.[3]

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٧٥/٤.

(٢) الدينوري: عيون الأخبار، ٦٢/١.

(٣) أحمد عوض: تاريخ الخلافة الأموية بين الحقائق والأوهام، ص ٤٠-٤١.

المبحث الثالث: تنظيم بلاط الخلافة وفيه مطلبان.

من النظم السياسية التي اتخذها معاوية رضي الله عنه بعد توليه الخلافة تنظيم مجلس الخلافة وذلك باتخاذ الكُتّاب والحُجّاب للاستعانة بهم في تسيير شؤون الدولة من المراسلات وتقييد السجلات، وكذلك تنظيم الدخول عليه ولقائه، وفي هذا المبحث نتكلم عن الكتابة، والحجابة في عهده، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: الكتابة.

الكتابة لغة: لفظ مشتق من كتب، وهو يدل على جمع شيء إلى شيء من ذلك الكتاب والكتابة، والجمع كتب [1].

واصطلاحا: هي إحدى الوظائف المعاونة للحاكم تشاركه مسؤوليات الحكم بتدوين وكتابة ما يعهد الحاكم إليها من الرسائل وغيرها"[2]

والكاتب له دور كبير في شؤون الدولة الإسلامية منذ نشأتها، وهو من أكبر أعوان الخليفة بدليل أن بداية الاهتمام به يرجع إلى عهد النبوة،[3] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ كُتَّابا يكتبون له الوحي، وأيضا الكتب والرسائل التي يرسلها إلى الملوك والزعماء لتبليغ رسالة الله، ودعوتهم إلى الإسلام، و من بين الكُتَّاب الذين كانوا يكتبون له: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم حيث اتخذوا لهم كُتَّابا، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الكتابة

---

(١) (الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠٨/١، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ١٥٨/٥، ابن منظور: لسان العرب: ٦٩٨/١،).

(٢) النبراوي: نظم الحضارة العربية الإسلامية، ص٦٣.

(٣) أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٦٠.

كانت في عهدهم بسيطة في وظيفتها.[1]

فلما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة اتخذ عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت[2] رضي الله عنهما كُتّابا له[3].

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب له زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم[4]، وعمر هو أول من دوّن الدواوين في الإسلام، وجعل له كاتّبا، وأما الخليفة عثمان رضي الله عنه فقد اتخذ، مروان بن الحكم[5] كاتبا له، في حين أن عبد الله بن

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٧٣/٣، النبراوي: نظم الحضارة الإسلامية، ص٦٤.

(٢) زيد بن ثابت: بن الضحاك بن زيد الخزرجي، أبو سعيد، الإمام الكبير شيخ المقرئين والفرضيين مفتي المدينة، قتل أبوه يو بعاث، هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره أحدى عشرة سنة، أسلم وأستصغر يوم بدر، وكان من كتاب الوحي، مات سنة ٤٥، عن ٥٦ سنة وقيل غير ذلك. (ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٥٣٧/٢-٥٤٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢٦/٢-٤٤١، ابن حجر: الإصابة ٧٣/٤-٧٧).

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٥.

(٤) عبد الله بن الأرقم: بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي، الكاتب، من مسلمة الفتح، وكان ممن حسن إسلامه وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان على بيت المال أيا عمر رضي الله عنه، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه،(الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٨٢/٢-٤٨٣، وابن حجر: الإصابة، ٦/٦-٨،).

(٥) مروان بن الحكم: بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك، مولده بمكة وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر، كان يلقب خيط باطل، يقال له رؤية، استولى على الشام ومصر تسعة أشهر وقيل ثمانية وقيل ستة، مات خنقا في أول رمضان سنة خمس وستين، وكان عمره أربع وستين سنة. (ابن سعد: الطبقات الكبري، ٢٦/٥-٣٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق،٢٢٤/٥٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٧٦/٣-٤٧٩،).

مسعود.[1]رضي الله عنه كان كاتبا للخليفة الراشد علي رضي الله عنه.

إلى أن جاء عهد الأمويين واتسعت الدولة ودوائرها، فتعدد الكتاب لتعدد مصالح الدولة، فكان يكتب لمعاوية رضي الله عنه الرسائل، عبيد بن أوس الغساني[2]،[3]وكانت مهمته مخاطبة العمال والأمراء والملوك وغيرهم، وكان له منزلة كبيرة عند الخليفة لأنه كان يد الخليفة ومستودع أسراره،[4]

وكان معاوية رضي الله عنه مهتما بتحسين الخط وزخرفة الكتابة، ويوجه نصائحه وخبرته في الكتابة حيث أنه كان أحد الكُتّاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ينقل لكُتّابه ما كان يفعله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عبيد بن أويس يقول "كتبتُ بين يدي معاوية كتابا فقال لي يا عبيد ارقش كتابك إليّ؛ كَتَبتُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا رقشته، قلت: ما رقّشته يا أمير المؤمنين؟ قال أعط كل حرف ما ينوبه من النقط".[5]

ومن ثم كان الكاتب للأمير أو الخلفة، من أهل نسبه ومن عظماء قبيلته، ممن يثقون بهم، مثلما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم، لما فيه من الخطورة.[6]

وجعل معاوية رضي الله عنه على ديوان الخراج سرجون بن منصور

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٦/١٧٩-١٨٠.

(٢) عبيد بن أوس: وقيل عبيد الله بن أوس الغساني كان سيد أهل الشام، كان كاتب معاوية، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم،(الجهشياري: الوزراء والكتاب:ص ٢٤، ابن عبدربه: العقد الفريد: ٢٥١/٤ ابن عساكر: تاريخ دمشق:١٦٩/٣٨-١٧٠).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٨٠/٦.

(٤) عفيفي: المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، ص٣٤٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٩/٣٨.

(٦) ابن خلدون: التاريخ ٣٠٦/١.

الرومي[1]،[2]وكان هذا بمنزلة وزير المالية يكتب الصادر والوارد، والحسابات، من أموال الدولة.[3]

المطلب الثاني: الحجابة.

الحجابة لغة: هو المنع، يقال حجبته عن كذا، أي منعته، والحاجب البواب صفة غالبة، وجمعه حَجَبةٌ، وحُجَّاب، وخطته الحجابة، وحجبه أي منعه من الدخول، وفلان يحجب للأمير أي حاجبه، وإليه الخاتم والحجابة،.[4]

واصطلاحا: يراد بها حجب الخليفة عن الناس،[5] والحاجب: هو الذي يتولى الإذن للناس في الدخول على الملك أو السلطان أو الأمير وينظم الاتصال له.[6]

وهذه الوظيفة من الوظائف الكبرى التي استحدثها معاوية رضي الله عنه، وكان

---

(١) سرجون بن منصورالرومي: كاتب معاوية وابنه يزيد، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى، فاستغنى عنه،كان نصرانيا فأسلم،وهو الذي ينسب إليه جبر بن سرجون عند باب كيسان، ويقال له سرحون وله عقب،(الجهشياري:الوزراء والكتاب: ص٢٤ ابن عبد ربه: العقد الفريد:٢٥٢/٤، ، ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٦١/٢٠).

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب: ص٢٤.

(٣) وكتب له أيضا، عبد الرحمن بن دارج وهو مولا له، وأيضا كتب له في بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٨٠/٦) وكان يكتب له على ديون خراج حمص ابن أثال النصراني، وكان عمرو بن سعيد بن العاص يكتب على ديوان الجند، وقلد ديوان الخاتم عبد الله بن محمد الحميري، (الجهشياري: الوزراء والكتاب: ص٢٤-٢٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة، ١٤٣/٢، لسان العرب، ٥٠/٣، وتاج العروس، ٢٣٩/٢.

(٥) الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه، ص ١١٩.

(٦) رفيق: موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي، ص٢٧٧، وحسن الباشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، ص٥٢.

يشغل منصبا ساميا في بلاط الخلافة ومهنته إدخال الناس عليه مع مراعاة مراكزهم الاجتماعية وأهميتهم في الدولة[١]. والسبب في اتخاذ معاوية الحاجب حادثة الخوارج الشهيرة التي راح ضحيتها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومحاولة اغتيال معاوية، وعمرو بن العاص، رضي الله عنهما[٢]،ومن هنا اتخذ معاوية الحاجب لِيُعْلمهُ كل من هو بالباب ثم هو يأذن أولا.

يقول ابن خلدون "وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم كان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انتقلت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بُدِأ به في الدولة شأن الباب وسدِّه دون الجمهور لما كانوا يخشونه على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر، وعلي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وغيرهم مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب"[٣].

وقد تولى هذا المنصب زمن معاوية، سعد أبو درة الحاجب[٤]،[٥]

وقد أمره معاوية أن يأذن لكل من جاء يستأذن للدخول عليه وأن لا يمنع أحدا، وذلك أن أبا مريم استأذن على معاوية رضي الله عنه يوما فأمرهم أن يأذنوا له، فلما

---

(١) حسن: النظم الإسلامية ص١٣٤.

(٢) يراجع في سبب الحادثة وتداعياتها الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٣/٥، وبن الجوزي: المنتظم،١٦٤/٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧٣٦/٢.

(٣) ابن خلدون: التاريخ، ٢٩٦/١.

(٤) سعد أبو درة الحاجب: تولى حجابة معاوية، وحجابة عبد الملك بن مروان، سمع معاوية، وعمرو بن العاص، والنعمان بن بشير، ودرة بتشديد الراء، (ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٠٥/٢٠-٤٠٦، الدار قطني:المؤتلف والمختلف، ٩٧٧/٢، ابن ماكولا: الإكمال، ٣٢١/٣،).

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٤/٢٠.

دخل عليه قال مرحبا ها هنا، ها هنا يا أبا مريم، فقال أبو مريم إني لم أجئك طالب حاجة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من أغلق بابه دون ذوي الفقر والحاجة، أغلق الله عن فقره وحاجته باب السماء" قال فأكب معاوية يبكي، ثم قال: رد حديثك يا أبا مريم، فرده، ثم قال معاوية ادعوا لي سعداً، وكان حاجبه فدُعيَ فقال يا أبا مريم حدثه أنت كما سمعته فحدثه أبو مريم، فقال معاوية لسعد: اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنقك، من جاء يستأذن فأذن له[1].

وهذا يدل على خوف معاوية من الله ورجاء رحمته، ووقوفه عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لما سمع الحديث بكى وجعل يطلب إعادة الحديث وتكراره عليه، بل طلب أن يسمعه الحاجب حتى يعمل به ويطبقه في الإذن للناس.

ويفهم من ذلك أيضا أنَّ معاوية رضي الله عنه لم يتخذ الحُجَّاب ليُصَدَّ عن بابه ذوي الحاجات، وأن يُحجَب عن الناس حتى لا يصلوا إليه؛ ولكن جعله لحاجة دعت الضرورة إليها، لتنظيم الدخول عليه كل حسب منزلته ومكانته، ومنع من يريد الفتنة مثل الخوارج.

وممن تولى هذه المهمة أيضا زمن معاوية رضي الله عنه، قتير[2] حاجب معاوية، وأيضا

(١) ابن عساكر في تاريخ دمشق، ٢٠/٤٠٥-٤٠٦، والحديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، ٢/٣١١، برقم١٤٠٤، وأيضا ٣/٤٠٦، برقم٢٥٥٩، والحاكم في المستدرك ٤/١٠٦، برقم ٧٠٢٨، والدولابي في الكنى، ١/٥٣-٥٤، ، وقال الحاكم إسناده شامي صحيح ووافقه الذهبي قال والألباني وهو كما قالا، (السلسلة الصحيحة ٢/٢٠٥-٢٠٦، برقم ٦٢٩).

(٢) قتير حاجب معاوية: سمع أبا ذر وسلمان الفارسي وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء، ومعاوية وعمرو بن العاص، واختلف في اسمه فقيل: قتير بضم القاف وفتح التاء المعجمة باثنتين من فوقها ثم ياء معجمة باثنتين من تحتها آخره راء، مولى معاوية، وقيل: قنبر بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء المعجمة بواحدة، (الإكمال ٧/٧٨، تاريخ دمشق ،٤٩/٢٨٩-٢٩١، ابن نقطة: إكمال الإكمال،٤/٦٤٨،).

أبو يوسف(١).

وكان يُشترطُ في الحاجب أن يعرف منازل الناس وأنسابهم وطبقاتهم لكي يتمكن من معرفة من يأذن له ومن لا يأذن لهم(٢).

وكان معاوية رضي الله عنه يأذن للناس حسب منازلهم ويرتبهم في المجلس حسب مقامهم ولا يحب أن يتقدم أحد أو يتأخر عن منزلته، بل يشنع على من لا يلتزم بذلك، وذلك تأديباً لهم.

ومن ذلك أنه أذن ذات يوم للأحنف(٣) وكان يبدأ بإذنه ثم دخل محمد بن الأشعث(٤) فجلس بين معاوية والأحنف فقال معاوية: إنا لم نأذن له قبلك فتكون دونه، وقد فعلت فِعالَ من أحس من نفسه ذُلاً، إنا كما نملك أموركم نملك إذنكم،

---

(١) أبو يوسف: مولى معاوية بن أبي سفيان، وحاجبه، سمع معاوية، وأبو موسى الأشعري، وفضالة بن عبيد، دمشقي من الطبقة الثانية، وقيل الثالثة،(ابن أبي حاتم:الجرح والتعديل٩/٤٥٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٨/١٣-١٦،).

(٢) التاريخ الإسلامي بين الخلافة والحضارة من العصر الراشدي إلى العصر العثماني، ص١٠٠.

(٣) الأحنف بن قيس: بن معاوية بن حصين التميمي، أبو بحر التميمي، الأمير الكبير العالم النبيل، أحد الحلماء الدهاة الحكماء العقلاء، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل، اسمه الضحاك، وقيل صخر، وشهر بالأحنف؛ لحنف رجليه، وهو العوج والميل، كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسل، ووفد على عمر، توفي في إمارة مصعب بن الزبير سنة ٦٧، وقيل سنة ٧١، (ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/١٤٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/٨٦-٩٦، ابن حجر: الإصابة: ١/٣٣٣،).

(٤) محمد بن الأشعث: بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جلبة، الكندي الكوفي، قائد من أصحاب مصعب بن الزبير، شهد معه أكثر وقائعه، في حربه مع المختار الثقفي، ولد في حدود سنة ١٣، وقتل مع مصعب سنة ٦٧، وكان شريفا مطاعا، روي عن عمر وعثمان.(ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٥/٤٨، وابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٢/١٢٤، الذهبي: تاريخ الإسلام: ٢/٧٠٤، الأعلام للزركلي: ٦/٣٩).

فأَرِيدُوا منا ما نريد منكم فإنه أبقى لكم[1]

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٢-٣٣٣.

المبحث الرابع: ولاية العهد.

هذا المبحث من المباحث التي أثارت جدلا بين المؤرخين قديما وحديثا في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وذلك أنه أول من عهد لابنه من بعده، فمنهم من نال منه بسبب ذلك وحمَّله تَبِعات هذا النظام الذي وضعه، وما ترتب عليه، ومنهم من وقف موقف المحايد وجعل هذا من اجتهاد معاوية، والمجتهد إما مصيب أو مخطئ، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد.

وفي هذا المبحث سوف أتناول نظام ولاية العهد في عهد معاوية من حيث هو نظام سياسي وجد في عهد معاوية.

تعريف ولاية العهد.

تتكون عبارة ولاية العهد من كلمتين ولاية، وعهد.

الوِلاية في اللغة: بالكسر هي الخِطة والإمارة، الولاية النُّصرة، يقال هم مجتمعون في النصرة، الوَلاية بالفتح المصدر، والوِلاية بالكسر، الاسم مثل الإمارة والنقابة، لأنه اسم لما توليته وقمت به، وأولَيْتُه الأمر، ولَّيته إياهُ.[1]

واصطلاحا: تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى[2] وعلى هذا التعريف تشمل الإمامة العظمى، والخطة كالقضاء، والحسبة والمظالم والشرطة ونحوها[3].

والعهد في اللغة: الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، والعهد الوصية والتقدم

---

(١) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٦/٢٥٣٠، ،ابن منظور: لسان العرب، ١٥/٤٠٧، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ١٣٤٤، الزبيدي: تاج العروس، ٤٠/٢٤٢.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ص ٢٥٤.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ٤٥/١٣٥.

إلى صاحبك بشيء، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة، ويجمع على عهود، ويطلق أيضا على: الأمان، واليمين، والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية، وقد عهدت إليه أي أو صيته،[(١)]

واصطلاحا: هو حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال، هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي تلزم مراعاته، وهو ا لمراد[(٢)].

أما تعريف ولاية العهد كمصطلح مركب، فهو كما يلي:

ولاية العهد اصطلاحا: هي أن يعهد الإمام في حياته إلى شخص يعينه أو يحدد صفاته، ليخلفه بعد وفاته، سوءا أكان المعهود إليه قريبا أو غير ذلك.[(٣)]

وعلى هذا يكون العهد من الخليفة لمن بعده بأن يتولى زمام أمور الدولة ويُرشحه ليكون خليفة له من بعده.

يقول الماوردي: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته[(٤)].

وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذ وقع بعهد أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب بمحضر من الصحابة رضي الله عن الجميع وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك عهد عمر في الشورى إلى ستة بقة العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين[(٥)].

ومن هذا يعلم أن عهد الإمام لمن بعده كان موجودا في عهد الخلفاء الراشدين

---

(١)، الفراهيدي: العين، ١٠٢/١، الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٥١٥/٢، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ١٦٧/٤.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ص١٥٩.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٨٤/٤٥،الريس: النظريات السياسية الإسلامية، ص ١٩٠.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٣٩.

(٥) ابن خلدون: التاريخ ٢٦٢/١.

رضي الله عنهم ولم يبتدعه معاوية رضي الله عنه، لكن الجديد في هذا العهد هو عهد معاوية لابنه يزيد رحمه الله، ومن هنا جاء الاختلاف ولهذا خالفه في ذلك عدد من الصحابة، مع أقرارهم أن العهد موجود في الأصل.

وتعد مسألة عهد معاوية بالخلافة لابنه يزيد من بعده وأخذ البيعة له من أكثر المسائل التي وجه إليه النقد من أجلها على اعتبار أنه خرج بهذا عن المنهج الذي اتبعه المسلمون في اختيار خليفتهم منذ خلافة أبي بكر، وحتى خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين[١].

ولكن يجب أن نعرف أيضا أن الظروف التي بويع فيها أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم تختلف اختلافا واضحا عن تلك الفترة التي أخذ فيها معاوية البيعة لولده يزيد[٢].

فإذا نظرنا إلى المجتمع فإنه ليس المجتمع الذي عاش فيه هؤلاء وذلك بسبب الفتوحات واختلاط مجتمع بمجتمع آخر، حتى البيئة ليست تلك البيئة التي تربى فيها هؤلاء، ففي هذا العصر صارت العاصمة هي دمشق، فمن الطبيعي أن تختلف نظم الحكم عند هؤلاء وأولئك.

ولذلك عندما سأل رجلٌ علياً رضي الله عنه فقال:" ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ فقال: لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي وأنا اليوم والٍ على مثلك"[٣].

وعلى هذا فإن المجتمع، والتمسك بالدين، والبيئة، لابد من مراعاتها، والتَّمعن في النظر إليها واختيار ما هو الأصلح لها وما يناسبها، وهذا من مسؤولية الحاكم الذي ينظر في عواقب الأمور، وهذا يحتاج إلى التجرد، ومراقبة الله تعالى.

---

(١) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، ص ١١٤.

(٢) الشيباني: مواقف المعارضة في عهد يزيد، ص١٥٣.

(٣) ابن خلدون: التاريخ ١/٢٦٤.

ومن هنا لما شعر معاوية بالضعف، وأحس بالتعب، بعد ما عانى في الإمارة والخلافة الشيء الكثير، ورأى الموت يقترب منه وهو غاية كل حي، ونظر إلى الدولة قد توحدت أركانها واتفق ساكنوها بعد الذي بذله وخشي أن تعود أشتاتا بسبب الحكم والعمل على تسليم السلطة، ورأى أن العهد بالخلافة أفضل من ترك الأمر على غاربه،[1].

سعى في أخذ البيعة لابنه يزيد، وقبل أن يقدم في هذه الخطوة استشار بعض من يثق بمشورته من الولاة[2]، وذو الرأي والمشورة من كبار دولته[3]، وعرض الأمر على الناس تلميحا أو تصريحا.

وهذا يدل على دراية كبيرة وحنكة سياسية فذة، وكان يهدف من هذا إلى التعرف على نظرة الناس ليزيد، ومدى تقبل كبراء القوم لهذا العهد بالولاية[4].

وأمر معاوية رضي الله عنه أن تعرض هذه الفكرة على الولايات، وأمر الولاة أن يأخذوا البيعة ليزيد، وقد ذهب بنفسه إلى الحجاز ليَعرِضَ الأمر على أهله وذلك أن الحجاز مركز الثقل، وخاصة أهل المدينة التي هي عاصمة الإسلام الأولى، وفيها كثير من الصحابة وأبنائهم، ولهذا توجه بنفسه إليها وذلك بعد أن فشلت محاولات الولاة والرسل الذين أرسلهم لهذه المهمة وأدرك أن الأمر بلغ أوجه.

ولهذا لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد، حج سنة إحدى وخمسين هجرية في نحو من ألف رجل[5].

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ١٠٦/٤.

(٢) مثل زياد بن أبيه .

(٣) مثل الأحنف بن قيس.

(٤) الشيباني: مواقف المعارضة من خلافة يزيد، ص١٠٤.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه ص٢١٣، وقيل أنه دعا لابنه يزيد بالبيعة في عام ٥٦هـ، وهذا ما قال به الطبري في تاريخه، ٣٠١/٥، وابن كثير في البداية والنهاية، ٣٠٦/١١.

وفي هذه الرحلة جرى كثير من النقاش حول البيعة وتبادل وجهات النظر، بين معاوية وأهل المدينة، حيث كان لهم موقف مضاد من هذه البيعة، وجاءت الاعتراضات خاصة من بعض أبناء الصحابة[1].

وهذا يدل على وعي سياسي رفيع المستوى، وكيف أن معاوية رضي الله عنه لا يقصد من خلال هذه البيعة سوى مصلحة الأمة، ولكن أبناء الصحابة أدركوا أن الأمر سيتغير مع مرور الزمن، وبالفعل رأينا أن الخلافة أصبحت وراثية بعد ذلك[2].

وهناك عدة أسباب دعت معاوية رضي الله عنه أن يدعو لولاية العهد من بعده لابنه يزيد، ذكر كثير من الباحثين[3] تلك الأسباب وهي استنباط من النصوص الواردة في كتب التاريخ.

ومنهم ابن خلدون الذي علل فيه اختيار معاوية رضي الله عنه ليزيد خليفة من بعده فقال: "والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلبة منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع.وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك

---

(١) مثل: عبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، رضي الله عن الجميع.

(٢) الشيباني: مواقف المعارضة في خلافة يزيد، ص١٢٨.

(٣) منهم أ.د. محمد عبد الهادي الشيباني في كتابه مواقف المعارضة من خلافة يزيد، وهي رسالة علمية في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية.

وعدالتهم مانعة منه"[١]

وأما ما ذكرنا من مخالفة بعض أهل المدينة، فإنه يُحمل على الاجتهاد منهم، لكن أكثر الصحابة، والأمصار الأخرى بايعوا ليزيد منهم أهل الشام، وغيرهم.

وقد يقال إنما دعا معاوية للبيعة، حبه ليزيد وتعلقه به.

وهذه أمرٌ فطري جِبلي أن يحب الوالد ولده ولا يُلام على ذلك، لكن أن يقال أن هذا سبب من أسباب أخذ البيعة له فهذا قد يكون بعيدا عن معاوية وصحبته للنبي صلى الله عليه وسلم تمنعه من أن يحمل الأمة على العاطفة، وأن يخدعهم، ويُقدم على مثل هذه الخطوة، ولكن رآه أهل لذلك وأنه أصلح للأمة في حفظ اجتماع كلمتها.

ولهذا جاء عنه في خطبة له يوما: "اللهم إن كنت تعلم أني وليته لأنه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ما وليته، وإن كنت تعلم أني إنما وليته لأني أحبه فلا تتمم له ما وليته"[٢]

ثم إن يزيداً عاش في كنف والده يتمرن على الحكم والجهاد والسياسة ومعاملة الرعية بل إنه قاد الجيوش التي وجهها معاوية لغزو القسطنطينية [٣].

وقد تجلت في يزيد بعض الصفات الحسنة من: الكرم، والمروءة، والشجاعة، والإقدام، والقدرة على القيادة؛[٤].

ولهذا رأى معاوية رضي الله عنه أنه الأصلح للخلافة لما في ذلك حقن للدماء، وبقاء الوحدة في الدولة الإسلامية، على الأقل في هذه الفترة، وينبغي أن نعلم أيضا أن معاوية تولى الخلافة بعد فتن مرت بها الأمة الإسلامية، وبذل معاوية في توحيد

---

(١) ابن خلدون: التاريخ ٢٦٣/١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٠٨/١١.

(٣) العش:الدولة الأموية، ص١٦٢.

(٤) الشيباني: مواقف المعارضة: ص١٦٢.

الدولة قصارى جهده، وخشي أن تعود الفتنة عن طريق النزاع على الخلافة، فأراد أن يسد هذا الباب بقدر الإمكان، ولو بولاية المفضول على الفاضل مادامت في ذلك مصلحة عامة.

كما أن معاوية نظر إلى مقر الخلافة فوجد أن الشام أكثر الأماكن صلاحا فيجب أن يبقى مركز الحكم فيها، إذ أن أهلها كلهم على رأي واحد، وهي أقرب البقاع إلى منطقة الثغور، وفيها بطانته، ومنها قوته، فيستطيع أن ينفذ الخليفة الجديد أوامره بكل يسر وسهولة(١).

ولهذا كانت الشام أول الأمصار مبايعة ليزيد، بل وبإجماع، ولم يذكر لهم مخالف في ذلك، ثم تتابعت الأمصار بعد ذلك.

وليس معاوية ذلك الرجل الذي يجهل صفات الرجال ومكانتهم، وهو ابن سلالة الإمارة والزعامة في مكة، ثم هو الذي قضى أربعين سنة من عمره وهو يسوس الناس، ويعرف مزايا القادة والأمراء، والعقلاء، ويعرف لكل واحد منهم فضله.

لا شك أن الصحابة وأبناءهم أفضل من يزيد وأصلح ولكن مع ذلك فإن معاوية ربما رأى في ولده مقدرة لم تكن لغيره في قيادة الأمة، بسبب عيشته المتواصلة مع أبيه، ومناصرة أهل الشام وولائهم الشديد له ثم اطلاعه عن قرب على معطيات ومجريات السياسة في عصره(٢).

ومهما يكن من الأمر فإن معاوية رضي الله عنه أقدم على هذه الخطوة حفاظا على وحدة الأمة من التشتت والاقتتال، ورأى أن يحسم الأمر قبل وفاته، وبصفته إماماً للمسلمين، وأن أصل العهد قد سبقه عليه غيره، لكن الذي جاء به معاوية، هو أنه عهد لابنه، وهذا اجتهاد منه، وافقه عليه كثير من الصحابة وبايعوا يزيداً، وخالفه بعضهم.

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٤/١٠٦.

(٢) الشيباني: مواقف المعارضة: ص١٦٢.

وكثير من الناس يحمله كل ما ترتب على هذا النظام وهو -نظام ولاية العهد- ممن جاء بعد معاوية، لكن هذا غير صحيح، وذلك لأمور، منها: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] وأن كل إنسان محاسب بعمله وبما كسبت يداه، ثم أن معاوية اجتهد وأداه اجتهاده إلى هذا ومعلوم أن المجتهد لا يخلو من أجر في كلا الحالتين لحديث " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر"[2]

ولا يظن بمعاوية الصحابي الجليل كاتب الوحي، أن يحمل الأمة إلا على مصلحة رأى أنها تتحقق بها مصالحهم، وتجتمع بها كلمتهم، وقد عاش مرارة الفرقة والاختلاف وكيف فعلت بأمة الإسلام حتى اجتمعت على إمام واحد، فخشي أن يتكرر ذلك بسبب التنازع في الحكم.

أسس إذاً معاوية نظام الوراثة في ولاية العهد، وذلك تقليد استنه وهو يمنع الخلاف، ويحقن الدماء، إلا أنه تقليد يمنع الأصلح، وقد يعطي الأمر لغير أهله، وليس هذا التقليد بدعة خرج بها معاوية على نصوص الشرع، بل اجتهادا اجتهدهُ في أمر لم تجمع الأمة على خلافه، والواقع العملي في تاريخ الإسلام أيد وجهت نظره، فقد ثبت التقليد الذي وضعه[3].

---

(١) فاطر: آية ١٨.

(٢) أخرجه البخاري: باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم ٧٣٥٢، ومسلم: باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم ١٧١٦، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) العش: الدولة الأموية، ص١٦٤.

المبحث الخامس: شارات الخلافة.

إن السلطان أو الخليفة غالبا ما يتميز بأمور يتخذها لنفسه ويتميز بها عن غيره مما لا يخالف مبادئ الإسلام، وهذا مما تقتضيها المصلحة، وربما يحتاجه الموقف في بعض الأحيان، ولم يمنع الإسلام من هذا، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له أن الزعماء لا يقرءون الكتب التي ترد لهم، إلا إذا كانت مختومة؛ فاتخذ خاتما لنفسه، يختم بها كتبه.

ولهذا قال ابن خلدون "اعلم أن للسلطان شارات وأحوالا، تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها، عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته"[(١)]

ومعاوية رضي الله عنه مثله مثل الخلفاء كانت له شارات وخطط، اتخذها لنفسه وتميز بها عن غيره، سوء من الخلفاء الذين سبقوه، أو من عاصروه من زعماء الدول الأخرى، وهناك أشياء استحدثها، من ذلك:

أولا: المقصورة[(٢)] للصلاة:.

المقصورة: المقصود بها هنا المكان المخصص للإمام في داخل المسجد للصلاة فيه بحيث لا يدخل عليه أناس آخرين إلا من يأذن له.

وهي من أمور الخلافة، ومن شارات الملك الإسلامي، ولم تُعرف في غير دول الإسلام، وهو مكان قريب من المحراب يتخذه السلطان يوضع حوله سياج ليفصله

---

(١) ابن خلدون: تاريخه ٣١٩/١.

(٢) المقصورة: المقصورة: القصر الحبس يقال قصر الشيء يقصره قصرا إذا حبسه، وهو مقصور أي محبوس، والمقاصِرُ: جمع مقصورة، وكل ناحية من الدار الكبيرة إذا أحيط عليها فهي مقصورة، ومنه مقصورة الجامع، وقد سميت المقصورة مقصورة لأنها قصرت على الإمام دون الناس، (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٩٦/٥-٩٧، الرازي: مختار الصحاح: ٢٥٤ ،ابن منظور: لسان العرب: ٩٨/٥-١٠٠،)

عن بقية المسجد أو عن بيت الصلاة ككل، فيحوزه وما يليه، [1].

وأول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[2]، وذلك عندما طعنه الخارجي[3] وهذا حفاظا على نفسه من الاعتداءات التي تأتي من الأعداء، وقد أخذ العبرة من هذا الحادث الذي حدث له، وأيضا مما حصل لأميري المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وغيرهم، إلى أن صارت من شارات الملك الإسلامي بعده فكل سلطان يتخذ مقصورة في المسجد للصلاة فيه.

ثانيا السرير:

السرير يطلق على كثير من المعاني في معاجم اللغة العربية، والمقصود هنا هو السرير الذي يجلس عليه الملك أو السلطان.

فالسرير يطلق ويراد به المضطجع، والجمع أسِرَّةٌ وسُرُرٌ، وقيل أن السرير مأخوذ من السرور؛ لأنه غالبا لأولي النعمة والملك، وأرباب السلطنة[4]، وقد يطلق عليه العرش، وهو يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم استعير لغير ذلك، ومنه العرش: سرير الملك[5].

ومنها التخت، ويقال له السرير؛ وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب، ولم يزل من رسوم الملوك قديما وحديثا، رفعة لمكان الملك في الجلوس عن غيره حتى لا يساويه

---

(١) ابن خلدون: تاريخه ٣٣٢/١.

(٢) العسكري: الأوائل، ص ٢٤٠، بن خلدون:التاريخ ٢٣٣/١، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤٧١/١، وقيل أن أول من اتخذها مروان بن الحكم، بناها بحجارة منقوشة وجعل لها كوى. (نفس ا لمراجع).

(٣) يراجع في قصة اعتداء الخارجي عليه، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٣/٥.

(٤) ابن منظور: لسان العرب: ٣٦١/٤، الزبيدي: تاج العروس: ١٥/١٢، .

(٥) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٤/٤.

غيره من جلسائه؛[١]

ومن هذا يفهم أن السرير يطلق على ما ارتفع من الأرض للجلوس عليه أو الاضطجاع، ويتخذ كلٌ سريره على حسب ظروفه وبيئته ومكانته، وبما يناسب مقامه ومنزلته.

ثم عن الأسرَّة التي تُتَّخذ تختلف باختلاف حال الملوك، فتارة تكون من أبنية رخام ونحوه، وتارة تكون من خشب، وتارة من فرش محشوة متراكبة، وقد حكي أنه كان لملوك الفرس سرير من ذهب يجلسون عليه[٢].

قال ابن خلدون: "وأما السرير والمنبر والتخت والكرسي، فهي أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن أهل مجلسه، أن يساويهم في الصعيد،،، وأول من اتخذه في الإسلام معاوية وأستأذن الناس فيه وقال لهم إني قد بَدُنتُ فأذنوا له فاتخذه واتبعه ملوك الإسلام فيه وصار من منازع الأبهة"[٣].

يفهم من هذا أن معاوية رضي الله عنه في بداية خلافته أنه كان يجلس حيث يجلس الناس متساويا معهم في المجلس، كما هو حال الخلفاء الذين سبقوه، واتخذ السرير لحاجة ماسة وهو أنه بدن وزاد جسمه، ومع هذا استأذن الناس لكي يتخذ سريرا فأذنوا له، وهذا تواضعاً منه رضي الله عنه، ولكن بعد ذلك كان هذا السرير من شارات الملك والسلطان.

ثالثا: الدعاء على المنابر في الخطبة.

من الشارات والعلامات التي كانت في عهد معاوية رضي الله عنه، الدعاء له على المنابر، في خطب الجمعة وغيرها، وذلك في أنحاء الدولة وولاياتها.

وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس حيث دعا لعلي رضي الله عنهما في

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤٠/٢.

(٢) نفس المصدر ١٤١/٢.

(٣) ابن خلدون:التاريخ ٣٢٢/١.

خطبته وهو بالبصرة عاملٌ له عليها فقال "اللهم أنصر عليا على الحق" واتصل العمل في ذالك فيما بعد[1].

ومن هذا يتبين أن أول من دعا للخليفة ابن عباس حيث دعا لعلي رضي الله عنهما، ولكن بعد هذا استمر الدعاء للخليفة، وهذا طبيعي وربما قد يكون من حق الراعي على الرعية أن يدعوا له بالتوفيق والسداد، لأنه يقوم على شؤونهم، ويتولى الدفاع عن مصالحهم وحقوقهم، وإقامة الجهاد أيضا إن استدعى الأمر لذلك، ولهذا كان يقول بعض السلف رحمهم الله، "لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا للإمام قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد" [2]

وحرص الخلفاء على هذا الدعاء لهم على المنابر في الخطبة لأن ذلك إشعارا واعترافا ولو ضمنيا بهم؛ وفيه دلالة أخرى وهو أن نفوذهم . ولو اسميا . قد امتد إلى هذه البقاع التي يذكر اسمه من فوقها[3].

رابعا:الخاتم.

الخاتم لغة: هو بلوغ آخر الشيء، والخاتم عاقبته، وآخرته خاتمته. فأما الخَتْم، وهو الطبع على الشيء، خَتَم يختِمُ خَتْماً أي طَبَع فهو خاتِم، والخاتَمُ: ما يوضع على الطينة، أسم مثل العالم، والخاتم الطين الذي يُخْتَمَ به على الكتاب، ويقال: هو الختم يعني: الطين الذي يختم به، وختام الوادي أقصاه. والخاتم مشتق منهن لأن به يختم، ويقال الخاتِمُ والخاتام[4]

---

(١) ابن خلدون: التاريخ ٣٣٢/١.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٩١/٨ من أقوال الفضيل بن عياض رحمه الله ويروى نحوه أيضا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(٣) العفيفي: المجتمع الإسلامي وأصول الحكم: ١٣٢-١٣٣.

(٤) الفراهيدي: العين: ٢٤١/٤، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٢٤٥/٢، الزبيدي: تاج = =

من شارات الخلافة والحكم: الخاتم وهو من أهم الأشياء عند الحاكم أو الخليفة، وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية[١]، وذلك أنها من وسائل التعامل مع الزعماء الآخرين، بختم الرسائل التي تُتَبادل بينهم؛ كما أن الصكوك التي يصدرها الحاكم لا يعتد بها ما لم تكن مختومة وهذا الأمر متعارف عليه حيث كان معمولا به قبل الإسلام.

وبدأ التعامل بالخاتم في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما أراد أن يكتب إلى أحد ملوك الأعاجم، فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه الخاتم، " فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة، نقشه: (محمد رسول الله)، كل كلمة في سطر، وقال "لا ينقش أحد بمثل نقشي" قال الراوي فكأني بوبيص، أو ببصيص الخاتم في أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في كفه"[٢].

ثم انتقل هذا الخاتم إلى الخلفاء من بعده فتختَّم به أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنهم؛ حيث استمر في يده إلى أن سقط منه في بئر أريس، وذلك في السنة السادسة من خلافته، أي في سنة ثلاثين هجرية[٣] .

وعند ما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة اتخذ خاتما للحاجة الماسة، وتأسيا

= =

العروس: ٤٥/٣٢،

(١) ابن خلدون: التاريخ، ٣٢٦/١.

(٢) روه البخاري: كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، رقم ٦٥، ومسلم: كتاب اللباس، باب اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم، رقم ٢٠٩٢، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢٨٢/٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٤٨٣/٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٣٣/١٠، بن خلدون: التاريخ ٣٢٦/١.

بالنبي صلى الله عليه وسلم بنقش خاتمه، فكان نقش خاتم معاوية رضي الله عنه في خاتمه (لكل عمل ثواب) وقيل: أن نقش خاتمه كان (لا قوة إلا بالله).[١]

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٤٧/٥٩، وابن كثير: البداية والنهاية: ٤٢٩/١١.

المبحث السادس: أمراء الحج.

الحج ركن عظيم من أركان الإسلام فرضه الله على عباده لمن استطاع إليه سبيلا، فمنذ أن بَنَى إبراهيم عليه السلام الكعبة في مكة المكرمة وأمره الله تبارك وتعالى أن يؤذن في الناس ليحجوا ذلك البيت العتيق، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[(١)]، ما زالت قلوب الناس وأجسادهم تتجه نحو مكة استجابة لنداء الله تعالى لهم، قاصدين البيت الحرام، قادمين من شتى بقاع الأرض أفواجا لأداء فريضة الحج.

وقد حظي الحج باهتمام الأمراء والخلفاء الذين أو لوه جُلَّ اهتمامهم من حيث الترتيب والتنظيم وذلك منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بعده خلفائه؛ حيث كان من واجب الخليفة أن يرتب وينظم قافلة الحج وأن يعين أميرا عليها يقوم على حراستها وتأمين احتياجاتها في الطريق[(٢)].

وكان لأمير الحج دور كبير في تنظيم الحج وتأمينه وتوجيه الناس وإرشادهم لما أوجب الله عليهم في هذه الفريضة، وحل مشاكلهم، ورعاية مصالحهم، وحراستهم مما يخيفهم ويرعبهم.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بضرورة وجود أمير لمن خرج من بيته للسفر إذا كانوا ثلاثة أو أكثر فقال: "إذا خرج ثلاثة في سفر أن يؤمروا عليهم أحدهم"[(٣)] والحج أولى بأن يكون فيه أمير يأتمر الناس بأمره، فهو من أكبر الأسفار

---

(١) الحج: آية رقم٢٧.

(٢) مالكي: تاريخ الحج من خلال الحجاج والمعتمرين: ص ١٦-١٧.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، رقم ٢٦٠٨_٢٦٠٩، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقال الألباني حديث حسن صحيح.

وأعظمها وفيه اجتماع الناس أكثر من غيره.

والشرط المعتبر في المولَّى: أن يكون مطاعا، ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية[1]، ويقظة وبصيرة، حتى يتمكن من ضبط الأمور، ويخافه اللصوص وقطاع الطرق، وكُلما كان الأمير ذا حزم وعزم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم؛ أمن الناس في حجهم واستقامت أمورهم وتمكنوا من أداء هذه الفريضة بكل يسر واطمئنان.

والذي يتولى هذه المهمة عليه حقوق وواجبات يجب أن يقوم بها، وقد ذكر العلماء في ذلك عشرة أشياء، منها:

أولا: جمع الناس في مسيرهم ونزولهم، ثانيا: ترتيبهم في النزول، ثالثا: الرفق بهم في المسير، رابعا: أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها، خامسا: أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت، سادسا: أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا، سابعا: أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج، ثامنا: أن يصلح بين المتشاجرين، تاسعا: أن يقوّم زائغهم، عاشرا: أن يراعي اتساع الوقت حتى يؤمن الفوات،[2]

فلما كانت إمارة الحج بهذه الأهمية، كانت عناية الإسلام بها في وقت مبكر جدا، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أول من وجه بوجود أمير للحج، فعندما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ترك عليها والياً هو عتاب بن أسِيد رضي الله عنه[3] في السنة الثامنة للهجرة، وقد حج بالمسلمين تلك السنة ومن المعلوم أن الناس

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ص١٩٤.

(٢) نفس المصدر ص١٩٤.١٩٥.

(٣) عتَّاب بن أَسِيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي صلى ا لله عليه وسلم على مكة، وأقام الحج للناس تلك السنة، وكان رجلا صالحا خيرا فاضلا، ومازال عاملا بمكة حتى وفاته، توفي في يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما، (ابن سعد: الطبقات الكبرى:٤٤٦/٥، ابن عبد البر: الاستيعاب:١٠٢٣/٣، ابن = =

حجوا تلك السنة على ما كانت تحج عليه العرب من قبل أي أن المشركين حجوا على ما كانوا عليه[1].

ولكن أمير الحج الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم رسميا من المدينة، وسارت معه قوافل الحج تأتمر بأمره، هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة، وأوصاه ببعض الوصايا التي تهم المسلمين، وبَيَّن للناس في هذه الحجة،أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وهذا تمهيدا لحجة الوداع التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي يليه[2].

ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم بالناس في العام العاشر بنفسه، وقد ائتم الناس بإمامهم الأعظم هذا العام، وأخذوا عنه مناسك حجهم عملياً، من طواف، وسعي، ووقوف بعرفة، وخطبة بين فيها ما يهم المسلمين في أمور دينهم ودنياهم، عليه الصلاة والسلام، وسميت هذه الحجة بحجة الوداع[3].

ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بارئه تبارك وتعالى ترك أمر الإشراف على الحج وهداية الناس وتولي شؤونهم، إلى خلفائه الراشدين رضي الله عنهم من بعده، ثم من تلاهم من ولاة أمر المسلمين، وحكام الدول الإسلامية، فكانوا يرسلون

= =

حجر: الإصابة:٧/٦١-٦٤).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/٥٠٠، خليفة بن خياط: تاريخه، ص ٩٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٣/٩٥ .

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢/٥٤٥-٥٤٦، وقد ذكر أن الذي بلغ الناس بأن لا يحج بعد هذا العام مشرك...إلخ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) ينظر في حجة النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل، صحيح مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ٢/٨٨٥، رقم ١٢١٨، وغيره من كتب السنن.

الأمراء لحفظ الأمن بين الحجيج وإقامة شرع الله بينهم في سفرهم الطويل[1].

فقد كان الخلفاء الراشدون، رضي الله عنهم يتولون إمارة الحج غالبا بأنفسهم إلا عند الضرورة فكانوا ينيبون أميرا يختارونه.

عندما تولى أبو بكر الخلافة سنة إحدى عشرة، حج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب، وقيل عتاب بن أسيد رضي الله عنهم، وفي العام الثاني عشر، حج بهم أبو بكر رضي الله عنه بنفسه.

ولما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة حج بالناس كل أعوام خلافته بنفسه، ما عدا العام الأول أي العام الثالث عشر من الهجرة حج فيها بالناس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تولى فيها إمارة الحج بنفسه ماعدا العام الأول من خلافته وهو ا لعام الرابع والعشرين، حج بالناس عبد الرحمن بن عوف، والعام الأخير من خلافته سنة أربع وثلاثين حج بهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وفي خلافة علي رضي الله عنه، انشغل عن الحج بنفسه فكان يولي لإمرة الحج في سنين خلافته، غالبا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.[2]

وهكذا استمر الاهتمام بالحج في عهد الخلفاء، وكان منطلق أمير الحج من عاصمة الخلافة، فالذي يعينه الخليفة هو الأمير الرسمي للموسم، يجتمع الناس إليه في مكة، مع وجود مواكب أخرى من الأمصار وربما قد يكون فيها قائد يقودها، لكن بعد الوصول إلى مكة تكون الإمارة للخليفة أومن يعينه الخليفة شخصيا.

وفي عهد معاوية رضي الله عنه، وبعد أن انتقلت إليه الخلافة وأصبحت دمشق

---

(١) تاريخ أمراء الحج: ص١٧٩.

(٢) ينظر في ولاية الحج للخلفاء الراشدين كلهم، كتاب المحبر، لابن حبيب البغدادي: ص ١٢-١٧.

حاضرة الدولة الإسلامية، وأصبح أمير الحج يخرج منها معينا من قبل الخليفة، ومعه الكسوة للكعبة الشريفة والهدايا التي يقدمها الخليفة للحرمين وأهلها، وكان الحجيج من مختلف العالم الإسلامي يجتمعون تحت لواء هذا الأمير المعين من قبل الخليفة[١].

وجعل الاهتمام بالحج من أولوياته رضي الله عنه، فقد ولي إمرة الحج في خلافة معاوية رضي الله عنه عدد من الأمراء الذي أسند إليهم هذه المهمة، بالإضافة إلى قيامه بنفسه بإمرة الحج فقد حج بالناس عدة سنين كما سيأتي.

بدأت خلافة معاوية سنة أربعين من الهجرة، وفي هذه السنة حج بالناس المغيرة بن شعبة[٢] رضي الله عنه، ويقال أنه عرف يوم التروية، ونحر يوم عرفة، خوفا بأن يفطن على مكانه[٣].

وهذا فيه مخالفة صريحة، وقد يبطل الحج بذلك إذا تعمد الإنسان، لأن الحج عرفة، فإذا لم يقف بعرف في يوم عرفة، فإن الحج لا يصح، ولا يمكن أن يتعمد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم بأمر يُبطل به حج من وُلِّي عليهم.

---

(١) طراوة: مظاهر الاهتمام بالحج: ص ٢٦.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، الأمير، أبو عبد الله، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، والدهاء، شهد بيعة الرضوان، ولي الكوفة في عهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم حتى توفي بها سنة خمسين، (الطبقات الكبرى:٢٨٤/٤، ومعجم الصحابة: ٣٩٨/٥، والاستيعاب: ١٤٤٥/٤، سير أعلام النبلاء:٢١/٣، والإصابة: ٣٠٠/١٠).

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ١٦٠/٥، قال مخرجو روايات تاريخ الطبري، في إسنادها إسماعيل بن راشد وهو مجهول،(ضعيف تاريخ الطبري، ٨٩٠/٨)، وقال بن كثير رحمه الله "وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل، والله أعلم، فإن الصحابة أجل قدرا من هذا ولكن هذه نزعة شيعية" (ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٣/١١).

سنة إحدى وأربعين: حج بالناس، عتبة بن أبي سفيان بن حرب[1]، وكان أمير مكة في ذلك الوقت[2].

سنة اثنتين وأربعين: حج بالناس، في هذه السنة عنبسة بن أبي سفيان بن حرب[3][4].

سنة ثلاث وأربعين: وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم، وكان أمير المدينة المنورة[5].

سنة أربع وأربعين: حج في هذه السنة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

---

(١) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبيه، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا الوليد، ولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتها، شهد الدار، والجمل مع عائشة، وصفين مع أخيه معاوية، ولي لأخيه معاوية المدينة، وإمرة الحج، وولي مصر، وتوفي بها سنة ٤٤ للهجرة، وكان فصيحا مفوّها.(ابن عبد البر: الاستيعاب: ١٠٢٥/٣-١٠٢٦، وابن حجر:الإصابة: ٨٦/٨، والأعلام للزركلي: ٢٠٠/٤).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه ص ٢٠٥، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٧١/٥، وقال، "وذكر الواقدي أن الذي حج في هذه السنة عنبسة بن أبي سفيان".

(٣) عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، أخو أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وله رواية عنها أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم،وقيل هو من كبار التابعين، ولي مكة لأخيه معاوية وحج بالناس سنة٤٦، ٤٧، وتوفي بالطائف،(ابن عساكر:تاريخ دمشق: ١٥/٤٧، الذهبي: تاريخ الإسلام: ٤٣٤/٢، ابن حجر: الإصابة: ٩٨/٨-١٠٠، الأعلام للزركلي: ٩١/٥).

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه ص٢٠٥، والطبري:تاريخ الرسل والملوك: ١٨٠/٥، وذكر صاحب الدرر الفرائد المنظمة أن الذي حج هذا العام، هو عتبة بن أبي سفيان، (الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة: ٤٢٤/١).

(٥) خليفة بن خياط:تاريخه ص٢٠٦، الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢١١/٥.

بنفسه[1]،وقدم معه بمنبر صغير، على ثلاث درجات، فخطب عليه، وهو أول من خطب على المنبر في مكة وكان الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياما، في وجه الكعبة وفي الحجر، وفي حجته هذه اشترى دار الندوة[2].

سنة خمس وأربعين: حج بالناس في هذه السنة أمير المدينة مروان بن الحكم[3].

سنة ست وأربعين: وقد حج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان[4].

سنة سبع وأربعين: وقد أختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة، قيل هو عنبسة بن أبي سفيان[5].

سنة ثمان وأربعين: حج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم[6].

سنة تسع وأربعين: أقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص[7]، وكان أمير

---

(١) خليفة بن خياط:تاريخه ص٢٠٧، والطبري: تاريخ الرسل والملوك:٢١٥/٥، والمقريزي:الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك:ص٥٣.

(٢) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة: ٤٢٤/١.

(٣) خليفة بن خياط:تاريخه، ص٢٠٧، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢٢٦/٥.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٠٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢٢٨/٥، وذكر صاحب الدرر الفرائد المنظمة أن الذي حج في هذه السنة، مروان بن الحكم، وقيل سعيد بن العاص، وقيل عتبة بن أبي سفيان،(الدرر الفرائد المنظمة، ٤٢٥/١).

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٠٨، وأورد الطبري الخلاف في ذلك فقيل عتبة بن أبي سفيان وقيل عنبسة، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢٣٠/٥).

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٢٣١/٥، قال وبه قال عامة أهل السير، أما خليفة بن خياط، فقال أن الذي حج بالناس هو سعيد بن العاص،(تاريخه: ص٢٠٩).

(٧) سعيد بن العاص: بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو عثمان، ولد عام الهجرة وقيل بل ولد سنة إحدى، وكان عمره حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنوات أو نحوها، قتل أبوه يوم بدر قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولي الكوفة وغزا طبرستان، وولي المدينة في عهد معاوية، وكان كريما شجاعا فصيحا ونبده عثمان

= =

المدينة[1].

سنة خمسين: وقد اختلف المؤرخون فيمن أقام الحج في هذه السنة فقيل حج بالناس معاوية بن أبي سفيان[2]، وقيل بل أقام الحج ابنه يزيد[3].

سنة إحدى وخمسين: وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية[4] وقيل: هو معاوية بن أبي سفيان[5].

سنة اثنتين وخمسين: وأقام الحج في هذه السنة سعيد بن العاص[6].

سنة ثلاث وخمسين: حج بالناس فيها سعيد بن العاص أيضا[7].

سنة أربع وخمسين: أقام الحج في هذه السنة مروان بن الحكم[8].

سنة خمس وخمسين: حج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم[9].

= =

رضي الله عنه في من ندب لكتابة المصحف، مات سنة ثلاث وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين،(ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧/٣٣-٣٩،ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢/٦٢١-٦٢٤، ابن حجر: الإصابة: ٤/٣٤٢-٣٤٦).

(١) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٠٩، وتاريخ الرسل والملوك: ٥/٢٣٣.

(٢) المقريزي: الذهب المسبوك: ص ٥٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٢٤٠، وقد حكى الاختلاف المذكور.

(٣) خليفة بن خياط:تاريخه، ص ٢١١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك:٥/٢٨٦.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢١٨، والجزيري: الدرر الفرائد المنظمة: ١/٤٢٨،.

(٦) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢١٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٢٨٧.

(٧) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٢٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٢٩٢.

(٨) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٢٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٢٩٨.

(٩) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٢٣. والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٣٠٠، وذكر ابن حبيب البغدادي أن الذي حج هو عتبة بن أبي سفيان على ما ذكره الواقدي والمسعودي،

= =

سنة ست وخمسين: وفيها حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[(١)(٢)].

سنة سبع وخمسين: أقام الحج فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[(٣)].

سنة ثمان وخمسين: وفي هذه السن أيضا حج بالناس الوليد بن عتبة[(٤)].

سنة تسع وخمسين: وأقام الحج في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان[(٥)]، [(٦)].

هؤلاء هم الذين تولو إمرة الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما،

= =

(الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ١/٤٢٨) مع ذكره للقول الأول.

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: بن حرب، وأمه بنت عبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس وكان رجل بني عتبة، ولاه عمه معاوية المدينة، وكان ذا حلم وجود وسؤدد، وديانة، وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد فأبى، توفي سنة أربع وستين، بالطاعون بعد موت معاوية بن يزيد،(الزبيري: نسب قريش: ص١٣٢-١٣٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء:٣/٥٣٤، الأعلام للزركلي: ٨/١٢١).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٢٤، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٣٠١، قال وفيها اعتمر معاوية رضي الله عنه في رجب.

(٣) خليفة بن خياط:تاريخه، ص٢٢٥.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه، ص٢٢٥، والطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/٣٠٩.

(٥) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وأمه أم عثمان بنت أسيد بن الأخنس بن شريق، وكان بدمشق عند وفاة معاوية، ولي إمرة المدينة زمن يزيد بن معاوية، بعد غزل الوليد بن عتبة عنها، ثم هاجت الفتنة وأخرج عثمان بن محمد عن المدينة ومن كان من بني أمية، ورجع على الشام، (ابن عساكر: تاريخ دمشق:٤٠/٢٢-٢٤،).

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك:٥/٣٢١، أما خليفة بن خياط فذكر أنه محمد بن أبي سفيان،(تاريخه: ص٢٢٧).

ويتبين أن معاوية تولى بنفسه إمرة الحج سنتين أو ثلاث على خلاف بين المؤرخين،وقيل أنه حج أكثر من ذلك.

ولقد مر دربُ الحج الشامي بمراحل خلال العصور الإسلامية، فبعد أن استقر الأمر، كانت مراكب الحجيج تسير بانتظام إلى البقاع المقدسة[1] لا يعكر صفو مسيرها شيء أيام معاوية رضي الله عنه وخاصة بعد أن استقرت له الأمور.

وكان الحجاج من الشام يتجمعون في مكان قريب من دمشق وينطلق الركب بعد وداع أمير المؤمنين له وبرفقة أمير الحج، وقد يكون أمير الحج الخليفة نفسه[2].

ومن الأمور التي تجدر الإشارة إليها في هذا المبحث، ما أحدثه معاوية رضي الله عنه في الكعبة من جديد في هذا الشأن، أنه أول من كسا الكعبة مرتين في العام الواحد، واحدة في يوم عاشوراء وتكسى بالديباج، والآخر في آخر شهر رمضان وتكسى بالقباطي، حتى تتزين لعيد الفطر، وأيضا هو أول من طيبها بالخلوق والمِجْمَر، وأجرى لها وظيفة من الطيب لكل صلاة وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال، وأخدمها عبيدا بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها[3].

---

(١) عبد المجيد: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص: ١٦٩.

(٢) يجتمع الركب في مكان يسمى العسال في جنوب دمشق، وذلك بعد الخروج من باب الجابية، وكان يسير من دمشق إلى الصنمين، ومنها إلى أذرعات، ومنها إلى الزرقاء، ثم إلى القسطل، وإلى قبال ، إلى أن يصل إلى تبوك، إلى ان يصل السقيا وبها يلتقي طريق الشام ومصر، وفي المدينة يلتقي الحجيج ويسير أمير الحج بهم إلى مكة، وقد يكون أمير الحج هو أمير المدينة،(لمعرفة دروب الحج الرجوع إلى، ابن اسحاق الحربي: المناسك وأماكن طريق الحج ومعالم الجزيرة، ص: ٦٥٣، عبد المجيد: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص: ٢١٢).

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ٢٥٢/١.

وهكذا كان معاوية رضي الله عنه مهتما ببيت الله الحرام، معظما له، يقدم له الخدمات اللازمة التي لم يسبقه إليها أحد، بل اقتدى به من جاء بعده من الخلفاء، والملوك، إلى يومنا هذا، إلى جانب اهتمامه بإمرة الحج الذي كان لها دور كبير في تنظيم موسم الحج.



الفصل الثاني

النظام المالي في خلافة معاوية رضي الله عنه، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: النظرة الاقتصادية لمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: أهم موارد الدولة، وفيه ستة مطالب.

المبحث الثالث: أهم مصارف الدولة، وفيه أربعة مطالب.

المبحث الرابع: أنظمة وسائل النقل.

المبحث الأول: النظرة الاقتصادية لمعاوية رضي الله عنه.

المال هو العنصر الأساسي للدولة، وذلك هو الذي يحرك شؤونها وسياساتها، وبارتفاع اقتصادها وانخفاضه يكون تأثيرها على من حولها من الدول.

وقد بيَّن القرءان الكريم أهمية المال للإنسان، وجعله من زينة الحياة الدنيا، بل بدأ به قبل الولد والذرية وذلك لتعلق الإنسان به، وأهميته في حياته، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1].

وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أهمية المال والحفاظ عليه وحث على اكتسابه من طرق الحلال، فقال " نعم المال الصالح للرجل الصالح"[2] وقال عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك"[3] فالمال نعمة من نعم الله على العباد من أخذه من حله ووضعه في حقه، وهو نقمة لمن لم يأخذه من حله، ولم يُؤدِّ حق الله فيه وحق عباده.

ولما كان المال له أهمية كبيرة في الفرد والمجتمع، وحاجة الدولة إليه ضرورية، بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة في البحث عن مقومات الحياة فيها من مال وغيره، فأرسل السرايا للتصدي لأموال قريش،

(١) الكهف: آية رقم ٤٦.

(٢) روه أحمد، المسند: ٢٩/٢٩٩، برقم ١٧٧٦٣،و ابن حبان في صحيحه،٦/٨ برقم ٣٢١٠، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال محققوا المسند صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص٩٢، برقم ٢٢٩.

(٣) رواه البخاري: كتاب الزكاة باب من أعطاه الله شيئا من غير مسألة، ٢/١٢٣، برقم (١٤٧٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف، ٢/٧٢٣، برقم (١٠٤٥).

وتجارتها، فجاءت الغنائم من كل مكان، وبيَّن الله تبارك وتعالى طريقة توزيعها في كتابه ومن يستحقها، قال تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾(1). ومن موارد الدولة التي اعتُمِد عليها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الفيء، وبيَّن الله تبارك وتعالى الحكم فيه، قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(2) وأيضا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم العمال لجلب الزكاة من الأغنياء كما أمر الله تبارك وتعالى قال سبحانه وتعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(3).

وغيرها من الموارد التي اعتَمدتْ عليها الدولة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لتستعين بها على قضاء حوائجها كدولة مستقلة.

فالمال يعمل على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها وقد سارت الدول الإسلامية منذ نشأتها في هذه السياسة، فأنشأت بيتا للمال يقوم على صيانته وحفظه والتصرف فيه في المصالح العامة للمسلمين، وبهذا يشبه وزارة المالية في العصر الحاضر.(4) .

ولهذا كانت نظرة الإسلام للمال أنه عصب الحياة وأنه المحرك الأساسي لشؤون

---

(١) الأنفال: آية رقم ٤١.

(٢) الحشر: آية رقم ٧.

(٣) التوبة: آية رقم ١٠٣.

(٤) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٤٦١/١.

الدولة ومصالحها، وموجه أحوالها، وتسيير سياساتها الخارجية والداخلية، وكلما زادت مواردها وتنوعت، كان دخلها أكثر، وتحققت سياساتها على وجه أكمل.

وعلى منوال النبي صلى الله عليه وسلم سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، في الاهتمام بالمال، وموارده، وجمعه على حسب القواعد التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم وصرفها في مصارفها الشرعية، ولم يتساهلوا في ذلك، ولهذا نرى أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة، في خلافته، وقال قولته المشهورة "والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال"(١).

وأنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيتا للمال(٢)، يُوضع فيه ما يرِد إليه من أموال، إلى حين تقسيمه بين المسلمين، ووضع نظاما للخراج في الأرض عندما زادت الفتوحات سواء في الشام أو العراق، وزاد دخل بيت المال.

وكان هذا النظام المالي يستند إلى الظروف والحاجة ، وقد راعى فيه مصلحة المغلوبين لحد ما، وأوصى بالرفق بهم فكان يتصف بالعدل، وبموجب هذا النظام صارت الجزية والخراج عماد الخزينة المركزية في المدينة(٣).

من هذا يتبين لنا أن الأسس المالية للدولة الإسلامية وُضعت قواعدها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلفاء الراشدين، من الغنيمة ، والفيء، والجزية، والخراج، والعشور وغير ذلك، مما كان يدخل في بيت المال، ويُقضَى به مصالح الدولة.

ولما جاء معاوية رضي الله عنه بنى على هذه الأسس سياسته المالية، وأضاف

---

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٩٣/٩، برقم٧٢٨٤، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله،٥١/١. برقم ٣٢،

(٢) العسكري: الأوائل، ص: ١٦٥.

(٣) الدوري: النظم الإسلامية، ص ١١٨.

إليها ما دعت إليه الحاجة، لتسيير سياسات الدولة.

ومما ينبغي التنبه له أن الدولة الإسلامية في عهد معاوية رضي الله عنه تختلف عما كانت عليه الدولة في عهد الخلفاء الراشدين، من اتساع في الفتوحات، وظهور معارضات تعارض النظام القائم، فكان لابد لمواجهة هذه الأمور من موقف حازم، وسياسة رشيدة، وتوفر مال ضخم، يساعد على إعادة الأمور إلى نصابها.

وتحت وطأة تأسيس الدولة في دمشق، وما يصاحب ذلك عادة من حاجة إلى المال لكثرة الإنفاق، ولمكافأة الأنصار الذين شاركوا معه في قيامه مشاركة فعَّالة، ولجلب مناصرين ممن كان يعارض قيامها في السابق، ولإنشاء المؤسسات المدنية والعسكرية، احتاج معاوية إلى سيُولة نقدية تساعد في تحقيق أهدافه، فعمل على توفير أموال إضافية[1].

واستمرت تلك الأسس التي كانت موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، في عهد معاوية رضي الله عنه كقواعد للنظم الاقتصادية والمالية الإسلامية، إلا أنه أضاف إليها ما حتَّمته عليه ظروفه السياسية، والاقتصادية من تعديلات، ومع الاستقرار السياسي يأتي الرخاء الاقتصادي، وقد اهتم بأمر الخراج، وبناء موارد الدولة الإسلامية لمواجهة الأعباء الجديدة والتطورات التي دخلت على كل نواحي الحياة، كما اهتم باستصلاح الأراضي الزراعية حتى يزيد الإنتاج، وينموا دخل الدولة.[2]

ولهذا نجد أن نظرة معاوية رضي الله عنه الاقتصادية نظرة شاملة من حيث الاعتماد على ما كان معمولا به في عهد الخلفاء الراشدين، وزيادات أدخلها في النظام المالي، مما دعت الحاجة إليه واستدعتها الظروف التي يمر بها في مواجهة التحديات.

وبعد أن انتظمت إدارات الدولة في مختلف الأنحاء، من الدولة بفضل سياسة

---

(١) ألبان: الموارد المالية للدولة إسلامية في العصر الأموي، ص١٢٦.

(٢) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص ١٥٥.

معاوية، وكفاءة ولاته الذين اختارهم، وهذا شرط لضمان الخراج وزيادة الإنتاج، عني معاوية بأمر الخراج وإنماء الموارد المالية، سواء منها العامة التي هي حق الدولة، والخاصة التي يملكها[1].

يفهم من هذا أن هناك أراضٍ خاصة ورثها معاوية رضي الله عنه من أبيه، وأراض اشتراها، واستصلحها، كان لها دور كبير في دعم موارده المالية؛ وتذكُر لنا بعض المصادر التاريخية شيئا من هذا؛ فمثلا كانت لأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه أيام تجارته إلي الشام في الجاهلية، ضيعة بالبلقاء[2] فصارت لمعاوية وولده[3].

وأيضا كتب معاوية رضي الله عنه إلى عامله في فلسطين أن "اتخذ لي ضياعا، ولا تكن بالداروم[4] المِجْداب[5]، ولا بقيسارية[6] النغراق، واتخذها بمجاري السحاب" فاتخذ له البطنان من كورة عسقلان[7][1].

---

(١) الريس:الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص ٢٠٠.

(٢) البلقاء: بفتح الباء وسكون اللام ثم قاف ممدودة معرف، كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي قرى، قصبتها عمان، وهو أقليم من المملكة الأردنية الهاشمية، تتوسطه مدينة عمان عاصمة الأردن.(الحموي: معجم البلدان،٤٨٩/١، صفي الدين: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٢١٩/١، الحربي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص:٤٩).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣١.

(٤) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر، وهي تعرف اليوم بدير البلح، في قطاع غزة،(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٢٤/٢، الحربي: معجم المعالم الجغرفية في السيرة النبوية، ص: ١٢٥،).

(٥) المِجْداب: هي الأرض التي لاتكاد تخصب، وضدها المخصاب، التي لاتكاد تجدب، والجدب العيب، (ابن منظور: لسان العرب، ٢٥٧/١، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص:٦٦، الزبيدي: تاج العروس،١٤٠/٢).

(٦) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)، وهي مدينة فلسطينية، بين حيفا ويافا، فتحها معاوية بعد حصار طويل أيام عمر بن الخطاب،(الحموي: معجم البلدان، ٤٢١/٤، شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص: ٤٥٤).

(٧) عسقلان: مدينة ساحلية قريبة من غزة على الطريق الممتد من عكا شمالا إلى رفح جنوبا، وكان يقال لها عروس الشام (الحموي: معجم البلدان، ١٢٢/٤، شامي: موسوعة المدن

= =

وأيضا استصلح له عامله على الخراج في العراق أراضين بالبطائح واستخرج له منها ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف درهم [٢].

وهكذا اهتم معاوية رضي الله عنه باستصلاح الأراضي، لكي يزيد من دخل الدولة، لتغطية احتياجاته واحتياجات الدولة؛ ولعلمه أن الزراعة من أهم الموارد المالية، أولاها اهتماما خاصا.

ومن الأمور التي أضافها معاوية رضي الله عنه في هذا الجانب ما يسمى بهدايا النيروز في العراق، حيث طالب أهل السواد بأن يهدوا له في (النيروز[٣] والمهرجان) فبلغت غلته من هذا ما يعادل عشرة آلاف ألف درهم في سنة[٤].

ومما زاد في موارد الدولة في عهد معاوية رضي الله عنه اتساع الفتوحات في المشرق والمغرب مما زاد في دخل الخراج مما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ومن ضمن الإصلاحات الاقتصادية التي عملها معاوية رضي الله عنه، إنشاء ديوان الخاتم، وذلك لضبط الوارد والصادر من الأموال، والبريد، وهو عامل هام في

= =

العربية، ص١٠١)

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب: ص ٢٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٨٧.

(٣) النيروز: أول يوم السنة عند الفرس ، عند نزول الشمس أول الحمل، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من مارس، وهو بدء فصل الربيع، وهو عيد الربيع عندهم،(الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ص٥٢٦، الزبيدي: تاج العروس: ٣٤٩/١٥، مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٣٠٤/٣).

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٢٤، واليعقوبي: تاريخه، ٢١٨/٢، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٤٢٠/٣.

انتظام الأمور وضبط الإدارة(١).

ومن هنا يتبين أن بيت المال كانت فيه وفرة هائلة أيام معاوية رضي الله عنه، وذلك لتنوع مصادر المال، والنظرة الثاقبة لمعاوية للاقتصاد على أنه عصب الحياة، وأن المال مهم لتوطيد الملك.

ومهما تكن الأموال التي جمعت من الموارد المختلفة، في عهد معاوية، فإن النفقات الواجبة عليه كانت كثيرة أيضا، فإنه نظرا إلى أن مركزه السياسي لم يكن قويا من كل الوجوه، ولم يجمع عليه في بداية عهده، ووجود الخصوم والمعارضين، فإنه كان في حاجة شديدة لاستمالة قلوب خصومه، أو غير الراضين عن مركزه بالعطايا والهبات، كما أنه يضمن أداء الأعطيات المقررة إلى جنده، في مختلف الأقطار، بانتظام، يضاف إلى ذلك ما كانت تستلزمه الفتوحات في ميادين عديدة من نفقات(٢).

هذا إضافة إلى ما كان يتصف به معاوية من الكرم، بإعطاء الأموال الجزيلة وخاصة لمن كان يفد إليه من الحجاز وغيرها من الصحابة وأبنائهم، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت مظاهر النعمة باديةً عليه وأبهة الملك تعلو محياه، من مأكل، ومشرب، وملبس، ومركب، وكان بيت المال ترد إليه الأموال من كل مكان والخير وافر.

ويُذكر أنه خطب يوما فقال "يا أيها الناس، ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدرّكم حلبا"(٣).

فقوله "أدركم حلبا" كناية عن كثرة الخير، ونماء الاقتصاد، ووفرة المال، وهذا يدل

---

(١) الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص ٢٠٨.

(٢) نفس المرجع: ص ٢٠٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٤٣٦/١١.

على نظرته الثاقبة، وسياسته المالية المحكمة، وهذا ليس تزكية للنفس، ولكن إبراز للقدرات عند الحاجة، حيث وجد في نفسه مقدرة على الإدارة المالية، بجانب الصفات القيادية التي كان يتحلى بها، وهذا مثل قول الله تبارك وتعالى حكاية عن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

(١) يوسف: آية رقم ٥٥.

المبحث الثاني: أهم موارد الدولة، وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: الزكاة.

أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح، وزكاة المال تطهيره، والفعل منه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته غيره، وسميت بذلك لأنها مما يرجى به زَكَاءُ المال، وهو زيادته ونماؤه،[1] قال الله تعالى:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2].

وفي الشرع: عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص[3].

والزكاة فريضة في الإسلام أو جبها الله تعالى على الأغنياء الذين يملكون النصاب، وهي أحد أركان الإسلام ففي الحديث "بني الإسلام على خمس، وذكر منها وإيتاء الزكاة"[4] وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

---

(١) الفراهيدي: العين:٥/٣٩٤، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٣/١٧، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٢/٣٠٧، ابن منظور: لسان العرب: ١٤/٣٥٨.

(٢) التوبة: آية رقم ١٠٣.

(٣) الجرجاني: التعريفات: ص١١٤.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم" بني الإسلام على خمس"، ١/١١ برقم ٨، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني = =

[1]

وغيرها من الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب الزكاة على المسلمين لمن ملك النصاب، من الأغنياء، وصرفها في مصارفها التي بينها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بأخذ أموال الزكاة وجبايتها ممن تجب عليه، فقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في "أموالهم" إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً – يعني الآية التي قبلها– .[4]

وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن يأتي بعده من أئمة الإسلام فهم مكلفون من الله ورسوله بجبايتها وصرفها في مصارفها[5].

وقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم العمال[6] لجلب الصدقات وكان يهتم

= =

الإسلام على خمس، ٤٥/١، برقم ١٦، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١) البقرة: آية رقم ٤٣.

(٢) التوبة: آية رقم ٦٠.

(٣) التوبة: آية رقم ١٠٣.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،٢٠٧/٤.

(٥) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص:٤٢.

(٦) ولمعرفة أسماء عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات، يراجع تاريخ خليفة بن خياط، ص:٩٨.

بهذا الأمر، ويزوِّد عماله بتوجيهاته ووصاياه التي تُعينهم على تحقيق الأمر بتمامه، ومن ذلك، وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال"فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[(١)]، في هذه الوصية فوائد عظيمة منها أن زكاة القوم تؤخذ منهم وترد على فقرائهم ولا تنقل إلى مكان آخر إلا لضرورة وحاجة ماسة تدعوا إلى نقلها.

وسار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على منهاجه بأمر الزكاة، وجبايتها وصرفها في مصارفها الشرعية، بل قاتلوا من أجلها من منعها كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، مع المرتدين.

وفي عصر معاوية رضي الله عنه وهو امتداد لعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اهتم بجباية الصدقات، وحث الناس عليها؛ حيث قال في خطبة له:" أيها الناس... تصدقوا ولا يقولن الرجل:إني مقل، فإن صدقة المقل أفضل من صدقة الغني...."[(٢)]

وكان للصدقات ديوان خاص بها في دار الخلافة، له فروع في سائر الولايات، فكان على المسلمين أن يؤدوا الزكاة بمقدار ربع العشر عما يمتلكونه من المال في زكاة النقدين[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري:كتاب الزكاة،باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ١٢٨/٢برقم ١٤٩٦، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين، والدعاء إليه،٥٠/١، برقم ١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، الطبقة الرابعة، ص: ١٢٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٣/٥٩، ابن كثير: البداية والنهاية: ٤٣٧/١١.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٢١٤، وحسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ٤٦٩/١.

أما الأشياء التي تجب فيها الزكاة فهي إجمالا:

زكاة المواشي (الإبل، والبقر، والغنم)، وزكاة المعدن (الذهب والفضة)، وزكاة النقد، وزكاة الزروع، وثمار النخل والشجر، وعروض التجارة.[(١)]

هذه هي الأشياء التي تجب فيها الزكاة؛ وقد كان الخلفاء يرسلون السعاة لجبايتها حسب ما أمر الله، وغالبا ما كانت تُوزع الزكاة على المنطقة التي تؤخذ منها ولا تُنقل إلا للضرورة، من الفائض الذي يَتَبقى حسب ما يراه الإمام.

ولهذا أمر معاوية رضي الله عنه مروان بن الحكم، وكان عاملا له على المدينة عندما اشتكى إليه عدم استيفاء العطاء، لأهل المدينة أمره أن يأخذ من صدقات أهل اليمن إذا مرت من عندهم.[(٢)]

وهذا يدل على أن الزكاة كان لها عناية فائقة لتغطية حاجات الدولة، ولها أهمية كبيرة، وكان معاوية رضي الله عنه يوليها اهتمامه لتُجلب من أقاصي البلاد.

وإذا كانت اليمن من أقل الولايات خصوبة وأن أهلها كانوا دون سكان الحجاز والعراق، والشام وغيرها من الأمصار ولبعدها عن حركة الجهاد كانت القطائع فيها أيضا أقل من غيرها من الولايات الأخرى، ومع ذلك كانت صدقاتها تفي بأن تحمل إلى مكان آخر؛ فما بالك بغيرها من الولايات الكبرى في الدولة[(٣)].

أما بالنسبة لصدقة الخيل والرقيق فإنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَدِم أهل الشام عليه فقالوا: إنا نحب أن تأخذ منَّا الزكاة في الخيل والرقيق وتطهرها لنا، فاستشار عمر أصحابه فقال على رضي الله عنه أما إذا طابت بها نفسهم

---

(١) وللمزيد من التفاصيل في النصاب التي تجب فيها الزكاة، والمقدار الذي يخرج منها مراجعة، أبو عبيد: كتاب الأموال: ٤٧٦/١، الماوردي:الأحكام السلطانية: ص٢٠٢،بالإضافة إلى شروح كتب الحديث، مثل فتح الباري: ٣٠٧/٣، وكتب الفقه عموما.

(٢) ابن زنجويه:كتاب الأموال، ص ٥٩١.

(٣) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص٩٣.

فحسن إن لم يكن عليهم جزية تؤخذ بها بعدك، فأخذ عمر من كل من الخيل والرقيق عشرة دراهم في كل منهما في السنة ورزق الخيل كل فرس عشرة أجربة[1] في كل شهر، ورزق الرقيق جريبين جريبين في كل شهر، وهكذا استمرت صدقة الخيل والرقيق فلما كان عصر معاوية رضي الله عنه، حسب ذلك فإذا الذي يعطيهم أكثر من الذي يأخذ منهم، فتركهم، ولم يأخذ منهم ولم يعطهم[2].

---

(١) أجربة: جمع جريب، والجريب هو عشر قصبات في عشر قصبات يساوي ما مساحته ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هاشمية مكسرة، والجريب في المكاييل، يساوي ١٣٢ لتر، أي أربع أقفز، والجريب في الموازين يساوي ٢٥٦ رطلا، والجريب يطلق على الحبوب التي تبذر بها مساحة جريب الأرض الذراعية،(الماوردي: الأحكام السلطانية، ٢٧١، عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص١٤٧).

(٢) عبد الرزاق: المصنف، ٣٥/٤ برقم ٦٨٨٧، هذا إذا لم تكن الخيل والرقيق معدة للتجارة فإن كانت معدة للتجارة ففيها زكاة عروض التجارة.

المطلب الثاني: الخراج.

من الموارد المهمة في الدولة الإسلامية الخراج، وهو من أكبر الموارد المالية للدولة الإسلامية في صدر الإسلام ولهذا اهتم به الخلفاء والأمراء في إثراء بيت المال، ولأهميته ألف العلماء كُتبا باسم الخراج[١]، يبينون للخلفاء أحكامه، في الشريعة الإسلامية، وكيفية العمل عليه حَسْبَ ما كان معمولا به في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

الخراج في اللغة: الخَرْج والخَراج الإتاوة، لأنه مال يُخرجه المعطي، وهو على أخراج وأخاريج، وأخرجة، ومنه قول الله تعالى:﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ ﴾[٢]. وقيل الخراج الفيء والخَرْج الضريبة والجزية[٣].

واصطلاحا: هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدَّى عنها[٤].

وأول من وضع هذا النظام، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن بعض الصحابة طالبوه أن يوزع عليهم الأراضي التي فتحوها، في العراق والشام

---

(١) مثل الخراج للقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، والخراج للإمام يحيي بن آدم القرشي، واستخراج لأحكام الخراج،: لابن رجب الحنبلي، وغيرها، إلا أن هؤلاء الأئمة سمو كتبهم الخراج لكن يذكرون فيها كل ما يتعلق بالأموال من موارد بيت المال سواء كان الخراج وغيره، لن غلب الخراج الذي يخرج من الأرض، لأنه أهم الموارد، إن لم يكن أهمها.

(٢) المؤمنون: آية رقم ٧٢.

(٣) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣٠٩/٦، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ١٧٥/٢،ابن منظور: لسان العرب: ٢٥٢/٢.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٦٢، وأبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص ١٦٢، وقيل: الخَِراج، بفتح الخاء وكسرها، هو ما حصل على من ريع أرض أو كرائها، أو أجرة غلام أو نحوها،(عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص١٨٦،).

ومصر وغيرها، وجاءته الرسائل من أمراء المناطق ليبدي رأيه فيها، وطرح عمر بن الخطاب الأمر على الصحابة رضي الله عنهم[1]، وأشار عليه بعضهم أن يجعله فيئا موقوفا على المسلمين ما تناسلوا، وهذا الذي مال إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأشار بعضهم أن يقسمها عليهم ويأخذ منهم الخمس، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر، واستدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما مال إليه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وجعلوا بينهم رضي الله عنهم حكما من الأنصار، واتفقوا على رأي عمر بن الخطاب ومن رأى رأيه، وكتب بذلك إلى أمراءه في الولايات[3].

وكلا الحُكْمين فيه قدوة ومتبع من الغنيمة والفيء، إلا أن الخيار يكون للإمام، بأن يأخذ أي الحكمين شاء، وذلك أن الوجهين جميعا داخلان فيه، وليس فعل النبي

---

(١) منهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وطلحة، وابن عمر رضي الله عنهم، وممن خالفه، الزبير بن العوام، وبلال بن رباح رضي الله عنهما، وغيرهم (وأبو يوسف: الخراج، ٢٥ -٢٦، وأبو عبيد: الأموال ١/١٢٢- ١٢٣).

(٢) الحشر: آية رقم ٧-٩.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص٢٣، أبو عبيد: الأموال، ١/١٢٠-١٢٤، الماوردي: الأحكام السلطانية ص٢٦٢.

صلى الله عليه وسلم في أرض خيبر، بِرَادٍّ فعل عمر ولكنه صلى الله عليه وسلم اتبع آية من كتاب الله تبارك وتعالى فعمل بها، وهي قول الله تبارك وتعالى:﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[(١)]، واتبع عمر آية أخرى وعمل بها، وهي التي استدل بها لإثبات حُجته وهما آيتان محكمتان فيما ينال المسلمون من أموال المشركين فيصير غنيمة أو فيئا[(٢)].

وبهذا صار الخراج من أكبر موارد الدولة، واهتم به الخلفاء من بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصارت الأرض المفتوحة بأيدي العاملين بها، مقابل ضرب الخراج عليهم، كمورد ثابت للدولة، يصرف في مصالحها.

والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله تبارك وتعالى، وفيه كانت الخيرة بين المسلمين، وعموم النفع لجماعتهم[(٣)]

ويشترط لصحة ولاية عامل الخراج شروط، منها: الحرية ، والأمانة، والكفاية؛ وإن تولى وضع الخراج اشتُرط، أن يكون فقيها من أهل الاجتهاد، وإن ولي جباية الخراج، صحت ولايته وإن لم يكن فقيها مجتهدا، ورزقه من مال الخراج[(٤)].

وقد اهتم معاوية وولاتُه على الأمصار بأمر الخراج اهتماما بالغا، إذْ إنَّ الخراج هو من أهم موارد الدولة الاقتصادية، بل أنهم استصلحوا الأراضي، وأجروا أنهارا على الأراضي الزراعية للري، وبذلوا في ذلك مجهودا مضنيا، وبهذا زادت غلة الخراج في

---

(١) الأنفال: آية رقم ٤١.

(٢) أبو عبيد: الأموال،١/١٢٣-١٢٤.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٧.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٧٠.

عهده مما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين من قبله.

فمثلا إذا نظرنا في العراق نجد أن زياد بن أبيه، حفر عدة أنهار[1] في الأراضي الزراعية،على حساب الدولة، بالإضافة على استصلاح الأراضي، والاهتمام بالزراعة مما كان له الأثر الكبير في زيادة الإنتاج الزراعي في تلك المناطق، ومن ثم زيادة الخراج للدولة.

بالإضافة إلى ذلك زيادة الفتوحات في عهد معاوية رضي الله عنه في شرق البلاد وغربها؛ كان لها دور كبير في زيادة أراضي الخراج، وأن هذا مما لا شك بفضل الله ثم بالجهود المبذولة مما ضاعف من زيادة غلة الخراج، ومن ثم أضاف إلى بيت المال أموالا طائلة.

وقد كان الخراج إما شيئا مقدرا من مالٍ، أو غلة، وإما حصة معينة مما تنتجه الأرض من المحصول حسب ما يتفق عليه[2].

وقد كان زياد بن أبيه، يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف، فيُخرج من ذلك رواتب المجاهدين، ويعطي الذرية، ويخرج نفقات السلطان، ويجعل في بيت المال الخاص بالولاية ما يستعين به للبوائق والنوائب، والحاجات الطارئة، ثم يحمل منها لمعاوية حوالي أربعة آلاف ألف، وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف، يحمل منها لمعاوية ثلثي الأربعة آلاف ألف[3].

هذا بالنسبة لما كان يجبى من العراق فقط أيام معاوية رضي الله عنه في ولاية زياد

---

(١) من ذلك: نهر الأبلة، ونهر معقل، نسبة إلى معقل بن يسار، ونهر دبيس، (ينظر، البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٤٧-٣٥٠).

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص،: ٢٦٢، وابن رجب: الاستخراج في أحكام الخراج، ص: ٩، حسن: تاريخ الإسلام السياسي والدين والثقافي والاجتماعي، ٤٦٢/١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢١٨/٥-٢١٩، وذكر اليعقوبي في تاريخه أن خراج العراق وما يضاف إليها، ستمائة وخمس وخمسين مليون درهم (تاريخ اليعقوبي: ٢٣٣/٢).

بن أبيه.

وكان خراج الجزيرة[1]، خمسة وخمسين ألف ألف (خمسة وخمسين مليون) درهم.

وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر ألف ألف (خمسة عشر مليون) درهم.

وخراج الأهواز[2] وما يضاف إليها، أربعين ألف ألف (أربعين مليون) درهم.

وخراج اليمن ألف ألف ومائتي ألف (مليون ومائتي ألف) دينار.[3]

وخراج الشام، وهي تشمل كل من فلسطين، وخراجه(أربعمائة وخمسين ألف) دينار.

والأردن وخراجها، (مئة وثمانين ألف) دينار.

ودمشق وخراجها(أربعمائة وخمسين ألف) دينار.

وجند حمص، (ثلاثمائة وخمسين ألف) دينار.

وقنسرين والعواصم، (أربعمائة وخمسين ألف) دينار.

في حين بلغ خراج مصر في أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ثلاثة آلاف ألف دينار.[4]

---

(١) الجزيرة: أرض ما بين دجلة والفرات، وهي الجزء الشمالي من الأرض التي يكتنفها نهرا دجلة والفرات، وهي من أخصب الأراضي، طول امتدادها في العراق، وسوريا، وتركيا،(الاصطخري: المسالك والممالك، ص: ٧١، الحربي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص: ٨٢، جنيدل: معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري، ص: ١٤٥).

(٢) الأهواز: أصله أحواز جمع حوزة، واسمها أيام الفرس خوزستان، وهي اليوم مدينة إيرانية، في منطقة خوزستان المحاذية للحدود العراقية الإيرانية، تبعد عن العاصمة طهران، حوالي ١١٥٠كلم باتجاه الجنوب الغربي،(الحموي: معجم البلدان، ١/٢٨٤، صفي الله: مراصد الاطلاع على أسماء البقاع، ١/١٣٥،موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ٢٥٨).

(٣) وقيل تسعمائة ألف دينار (اليعقوبي: تاريخه٢/٢٣٣).

(٤) اليعقوبي: تاريخه، ٢/٢٣٣.

وعلى هذا فمجموع خراج الشام والتي تحوي كل من فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص، وقنسرين، أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يعادل حوالي، مليون وثمانمائة وثمانين ألف، (١,٨٨٠,٠٠٠) دينار.[١]

وإذا أردنا أن نقدر ميزانية الدولة أيام معاوية حسب ما ورد من إحصائيات من الخراج فقط: (٦,٠٨٠,٠٠٠) ستة ملايين وثمانين ألف دينار،هذا بالنسبة لمن كان خراجه بالدينار من الولايات كالشام ومصر واليمن، وهذه المناطق كانت تتعامل بالدينار لأن التعامل مع الروم كان بالدينار الرومي، فاستمر هذا في عهد الدولة الإسلامية، إلى أن خرج الدينار الإسلامي فيما بعد.

وأما البلدان التي كانت تتعامل بالدرهم مثل العراق وما حولها من بلاد فارس في شرق الدولة الإسلامية فقد بلغ خراجها: (٢١٠,٠٠٠,٠٠٠) مائتين وعشرة ملايين درهم.

هذه هي الميزانية التقريبية التي كانت تجبى من الخراج في العام الواحد في عصر معاوية تقريبا وربما تزيد عن هذه أو تنقص.

إذ كانت ضريبة الأرض تقل وتكثر حسب الاهتمام بالتعمير وإصلاح الجسور والخلجان، وتحسين وسائل الرَّي[٢]، وخصوبة الأرض، و وقلة الفيضانات وكثرته في الأنهار، بالإضافة إلى كثرة الأمطار وقلتها، كل هذا كان له تأثير في عملية الخراج من حيث الزيادة والنقصان.

وعلى هذا تتغير قيمة الخراج تبعا لتغير هذه الأحوال، من تغير في طريقة الرَّي، أو قلته، أو زيادة في المحاصيل أو الانتفاع بالأرض لغير أغراض الزراعة[٣].

---

(١) هذه الإحصائيات كلها حسب ما ورد عند اليعقوبي في تاريخه: ٢/٢٣٣-٢٣٤، وقد ذكر خراج غير هذه من المدن والمناطق، في الدولة الإسلامية أيام معاوية.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ١/٤٦٣.

(٣) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص١٥٣.

ومما يلاحظ في جباية الخراج أنه لما حصل من أهل الخراج تلاعب في دفعهم الخراج وذلك أنهم صاروا يدفعون الرديء، ويمسكون الجيد وخاصة في العراق طلب منهم واليها زياد بن أبيه، أن يدفعوه بالدراهم[1]، وهذا حفاظا على أموال الدولة من التلاعب به.

ومن أساليب الجباية التي اتبعها معاوية رضي الله عنه للحفاظ على أموال الخراج ووصوله إليه كاملا أنه كان في بعض الولايات يفصل الخراج عن الوالي المعين في ولايته، ويعين في الخراج غيره، ويكون هذا مباشرة تابع للخلافة، وخارج عن سيطرة الوالي،[2] ورغم أهمية المنصب وحساسيته إلا أن هذا لم يكن عائقا أمام إسناده لغير العرب فقد تولى هذا المنصب بعض الموالي، بل إنه كان يفضل أن يكون منهم في بعض الأحيان[3].

---

(١) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص١٩٢.

(٢) وهذا في بعض الولايات، وبعض الأحيان، وليس غالبا؛ بل الغالب إسناد كل المهام افدارية والمالية إلى الوالي، وهو بدوره يعين عمال الخراج من قِبله، ويسند مسؤولية ديوان الخراج على أحد ثقاته،(ألبان: الموارد المالية، ص ٤٣٤).

(٣) مثل سرجون بن منصور، مولى معاوية رضي الله عنه؛ ووردان مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ وابن دراج، (الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: ٢٤).

المطلب الثالث: العشور والصوافي.

من الموارد المهمة في الدولة الإسلامية ، ما يسمى بالعشور، والصوافي، التي تملأ خزينة الدولة ومن ثم تنفق لمصالحها.

أولا: العشور: في اللغة:جمع عُشْر، جزء من عشرة، وعَشَرْتُ القوم إذا أخذت عشر أموالهم،، والعُشْرُ جزء من الأجزاء العشرة، عشرت ماله أعشره عشرا فأنا عَاشِر، مُعَشِّر، وعَشَّار[١].

واصطلاحا: هي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام[٢]، وهي الضريبة الجمركية في الوقت الحاضر[٣].

وأول من وضع العشور في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسبب في ذلك أن تجارا من المسلمين كانوا إذا اختلفوا بتجارتهم في أرض الحرب أخذوا منهم العشر في تجارتهم فأمر عمر أن يؤخذ منهم أيضا إذا دخلوا على أرض الإسلام، وقيل أن تجارا من أهل الذمة استأذنوه أن يدخلوا بلاد المسلمين على أن يأخذ منهم العشر، فاستشار عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وأشاروا عليه بذلك[٤].

وبهذا صارت العشور ضريبة تفرضها الدولة على التجار المارين بها، وصار هذا موردا من موارد الدولة، يُعيِّن فيه الخليفة من يتتبع التجار ويأخذ منهم حسب أموالهم التي يحملونها من غير ضرر يلحق بالتجار.

---

(١) (ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٣٢٤/٤،ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٢٣٨/٣، ابن منظور: لسان العرب: ٥٦٨/٤).

(٢) أبو يوسف: الخراج ص: ١٣٢، والريس: الخرج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص ١٣٨.

(٣) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص ١٨٠.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣٥، وأبو عبيد: الأموال، ص: ٦٤٢.

وقد حدد عمر بن الخطاب ما يؤخذ في ذلك من التجار، فقد كتب عهدا، أن يؤخذ من المسلمين مما اختلفوا فيه لتجارتهم ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العشر، وأن يؤخذ منهم مرة في العام[1].

أما ما يتعلق بالتجار المسلمين فإن الأمر لا يعدو كونه أخذ الزكاة التي فرضها الله عليهم، ونظرا لتنقلهم ببضائعهم فإن مسألة الزكاة أسندت إلى أصحاب المجازات والأسواق الذين تكلفهم الدولة بأخذ الضرائب من التجار[2].

ويشترط فيمن يرسل لجباية العشور أن يكون من أهل الصلاح والدين، ويأمرهم الإمام أن لا يعتدوا على الناس فيما يعاملونهم به فلا يظلموهم ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم، وأن يتفقد أمرهم وما يعاملون به من يمر بهم[3].

وقد اهتم معاوية رضي الله عنه وولاته بهذا الأمر فأرسلوا العشَّار في طرق التجارة وأخذ العشور منهم، وزيادة الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة، لا شك أنه مما يزيد شأنا في الحركة التجارية.

وقد بذلت الدولة قصارى جهدها لتأمين طُرق التجارة، وسلامة التجار والمحافظة على أموالهم لتدفق التجارة[4].

وقد كان يستعمل زياد بن أبيه في هذه المهمة القُرَّاء، والعلماء، وذوي الصلاح والتقوى، فقد استعمل مسروقاً[5] على سلسلة واسط، فجاءه بعشرين ألف، وكان

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣٥، وأبو عبيد: الأموال، ص ٢٠٤.

(٢) ألبان: الموارد المالية في الدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص١٠٠.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣٢.

(٤) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص ١٠٢.

(٥) مسروق: هو الإمام القدوة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله الهمداني ثم الوادعي أبو عائشة، الكوفي، له إدراك، قال له عمر ما اسمك؟ قال مسروق بن الأجدع، قال الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن؛ كان زاهدا عابدا، ولي القضاء، وكان = =

عفيفا، حتى أنه عندما قال له زياد خُذها لم يقبلها منه، وكان لا يفتش أحدا، ويقول لمن مر به إن كان لنا معك شيء فأعطناه[1].

وتعيين القراء وأهل الصلاح مطلوب في مثل هذه المهمة الحساسة، وإنَّ جباية العشور لا يصلح لها أي شخص، لأنها تحتاج إلى فِقه، وعدل ، وعِفة، لأن صاحبها يتعرض لمجموعة من الإغراءات، فإما أن يتعرض التجار لظلمه، فيقوم عليهم بأزيد من القيمة الفعلية لبضائعهم، أو يُعرض حقوق الدولة للضياع مقابل رشاوى قد تُقدم إليه من قبل التجار مقابل التغاضي عنهم[2].

ولا شك أن هذا المورد المالي كان يوفر لخزينة الدولة أموالا كثيرة، ولكن المعلومات عن مقاديرها غير متوفر[3].

ثانيا: الصوافي:. في اللغة جمع صافية، واستصفى صفو الشيء أخذه، وصفا الشيء أخذ صفوه، وصوافي الإمام: لما يصطفيه من قرى من استعصى عليه، وهي التي يستخلصها السلطان لخاصته، مثل الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لهم، وأحدها صافية [4]

= =

أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء منه وكان شريح يستشيره، مات سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ، (ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٧٦/٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٦٣/٤، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٣٩/١٠).

(١) بحشل: تاريخ واسط، ص ٣٧-٣٨، وذكر ممن استعملهم زياد من القراء غير مسروق، زياد بن جُدير.

(٢) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص ١١٠.

(٣) بطاينة: الحياة الاقتصادية، ص ١٦٧.

(٤) الأزهري: تهذيب اللغة: ١٧٤/١٢، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٤٠/٣ ابن منظور: لسان العرب: ٤٦٣/١٤، الزبيدي: تاج العروس: ٤٣١/٣٨.

واصطلاحا: ما اصطفاه الإمام لبيت المال من فتوح البلدان، إما بحق الخمس فيأخذه باستحقاق أهله له ، وإما بأن يصطفيه باستطابة الغانمين عنه، أو ما هرب عنه أربابه، أو هلكوا مما لم يكن بيد أحد، أو ما كان مملوكا للدولة التي فتحت، أو لحكامها، أو لقادتها أو لمن قتل في الحرب[1].

وتسمى القطائع، وذلك أن هذه الأرض التي استُوْلِيَ عليها والتي لم يكن لها مالك، سواء كانت للحكام أو القادة أو الذين هربوا وتركوها، أو ماتوا، فإن ملكيتها ترجع للمسلمين ويكون الإمام هو المتصرف فيها وأنه يقطعها على من يرى أنه الأصلح لها ليستصلحها ويدفع مما تنتجه لبيت مال المسلمين، وبهذا تعتبر هذه الملاك من الأراضي ملكا لجميع المسلمين.

ومن المعلوم أن الأراضي تنقسم أربعة أقسام:-

١- أرض استأنف المسلمون إحياءها، فهذه أرض عشرية، لا يجوز أن يوضع فيها الخراج.
٢- وأرض أسلم أربابها فهم أحق بها من غيرهم، وهذه تكون أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها الخراج[2].
٣- أرض ملكت من المشركين عنوة وقهرا، فهي غنيمة للمسلمين[3].
٤- ما صولح عليه المشركون من أرضهم، فهي الأرض المختصة بالخراج على

---

(١) أبو يوسف: الخراج، ص٥٧، والماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٣٢٩، زلوم: الأموال في دولة الخلافة، ص٩٥.

(٢) أبو يوسف: الخراج ص ٦٩.

(٣) واختلف العلماء في حكمها، فقال الشافعي رحمه الله أنها تقسم بين الغانمين، وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع فيها الخراج، وجعلها مالك رحمه الله أرض خراج، وقفا للمسلمين وقال أبو حنيفة رحمه الله، أن الإمام فيها بالخيار بين الأمرين، (ينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٦٣).

ما صالح عليه الإمام أهلها[١].

هذه هي تقسيم الأراضي من حيث أنها خراج أو أراضي عُشر، أما الخراج فقد ورد سابقا، وهنا سيكون الحديث عن أرض الصوافي أو القطائع.

قد أصفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل أرض كانت لكسرى، أو أهله أو كل من قتل في الحرب،أو مَغِيض ماء[٢]، أو دَيْر بريد[٣]، وغيرها من أنواع الأراضي في العراق، وبلغت الصوافي في عهده، أربعة آلاف ألف درهم[٤].

ورثت الدولة الإسلامية أراضي ومزارع تركها بطارقة الروم وحكامهم في بلاد الشام بعد هزيمتهم، فصارت تلك المزارع والقُرى صافية موقوفة للمسلمين، يتصرف فيها الإمام حسب ما يراه مناسبا، يدخل ريعها لبيت مال المسلمين، بحيث يطبق فيها التنظيم الذي عمل به في العراق[٥].

وصار الإمام يقطع من هذه الأراضي والمزارع على من يراه أهلا لأن يصلحها ويعمرها ويؤدي حق بيت المال منها، وينتفع منها لنفسه، وتكون ملكا له ولورثته من بعده، وقد أقطع الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة رضي الله عنهم[٦]،

---

(١) أبو يوسف: الخراج ص: ٦٩، والماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) مَغِيض الماء: بفتح الميم وكسر الغين ممدودة، هي الأرض التي تغمرها الماء . المستنقعات . ، (عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص ٥٥٠).

(٣) دَيْر بريد: بفتح الدال وسكون الياء، هو الخان المخصص لنزول القائمين بأمر البريد على الطريق التي تربط أجزاء الدولة، وحواضرها، (عمارة: قاموس المصطلحات الحضارية، ص٢٢٣ .)

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٥٧، وحكي أبو يوسف أنها كانت تجبي سبعة ملايين درهم، (نفس المصدر، وقدامة بن جعفر:الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٢١٧)، وقيل كان مبلغ غلتها في السواد تسعة ملايين درهم، (الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٢٩).

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/٢٠٥-٢٠٦.

(٦) مثل الزبير بن العوام، وغيره (قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٢١٦).

وتبعه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم في ذلك.

وعليه فإن الإقطاع: هو أن يدفع الأئمة إلى من يرون أن يدفعوا إليه شيئا من أراضي الصوافي، فيملك المدفوع ذلك إليه رقبته بحق الإقطاع ويجب عليه فيه العشر.(١)

وقد توسع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في الإقطاع، أكثر من غيره من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وذلك أنه رأى أن عمارة الأرض أدر على المسلمين من تعطيلها فأعطاها من رأى إعطاؤها إياه ليعمرها ويؤدي ما يجب للمسلمين فيها(٢)، فكان دخل غلتها في أيامه حوالي، خمسين ألف ألف درهم(٣)، فكان منها صِلاته وعطاياه، وإعانته للمحتاجين وإكرامه للضيوف.

وقد أعطى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أراضي كانت بالشام؛ وذلك لما كتب إليه معاوية أن ما يفرض له ما صار يوفي نفقاته، ومؤونة من يقدم إليه من وفود الأجناد ورُسل أمرائها ومن يقدم عليه من رُسل الروم، ووفودها، وسأله أن يقطعه من مزارع الصافيه ما يتقوى به على مواجهة هذه الأشياء التي ذكرها، فأقطعها إياه عثمان رضي الله عنه(٤).

ولما آلت الأمور إلى معاوية رضي الله عنه وأن الدولة توسعت في عهده أكثر مما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اهتم رضي الله عنه بأمر الصوافي والإقطاع، وذلك باستصلاح الأراضي وتعميرها، أو إقطاعها لمن يعمرها ويؤدي حق بيت مال المسلمين، بل إنه استصفي بعض الأراضين التي لم تُستصفى قبله.

---

(١) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٢١٨.

(٢) نفس المصدر ص: ٢١٧.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٢٩.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/٢٠٦.

وذلك أنه جعل في خراج العراق عبد الله بن دراج[1]، مولاه، وأمره أن يحمل إليه ما يستعين به، فكتب إليه ابن دراج، أن الدهاقين أعلموه أنه كان لكسرى وآله صوافي يجبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج، فكتب إليه معاوية أن أحص تلك الصوافي واستصفها، واضرب عليها المسنيات، فجمع الدهاقين وسألهم عنها فقالوا الديوان في حُلْوان[2]، فاستخرج من ما كان لكسرى وآل كسرى، وضرب عليه المسنيات، واستصفاه لمعاوية، فبلغت جبايته منه خمسين ألف ألف درهم، من أرض الكوفة وسوادها[3].

وأقطع معاوية أراضي ومزارع كانت بالشام أقطعها لمن يراه أصلح لتعميرها،وذلك أن أشرافا من العرب سألوه أن يقطعهم مزارع لم يكن عثمان أقطعها إياهم ففعل فمضت لهم أموالا[4].

وبهذا نجد أن عهد معاوية رضي الله عنه شهد وفرة كبيرة في بيت المال وذلك بسبب الأراضي التي أقطها لنفسه، واستصلحها في بلاد الشام، إضافة إلى الصوافي الجديدة التي ضمها للدولة، بسبب الفتوحات في شرق الدولة وغربها، فإذا كان ما ينتجه العراق من الصوافي حوالي خمسين مليون درهم، فإن غيرها من الأمصار ليس بأقل منها.

---

(١) عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ولاه على خراج الكوفة، (ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥/٢٨).

(٢) حُلْوان: مدينة بالعراق، وهي آخر حدود السواد، مما يلي الجبال، سميت بحلوان بن عمران بن قضاعة، كان أقطعه إياها بعض الملوك، فسميت به، فتحت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه،(الحموي: معجم البلدان، ٢٩٠/٢، صفي الدين: مراصد الاطلاع، ٤١٨/١، شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص: ١٠٣).

(٣) اليعقوبي: التاريخ ١٩٥/١.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٦/٢.

وبهذا وضع معاوية رضي الله عنه لمن بعده برنامجا عمليا لاستصلاح الصوافي، وإقطاعها لمن له القدرة على تعميرها وأداء حق بيت مال المسلمين منها.

المطلب الرابع: الغنائم.

من الموارد المهمة للدولة الإسلامية الغنائم، وقد أحلها الله تبارك وتعالى لهذه الأمة تفضلا منه وإحسانا، ومنحة وتكريما لنبيها الكريم صلى الله عليه وسلم، لتستفيد منها في مصالحها، وهي مورد مهم، للدولة، و هي التي يحرزها المسلمون بعد النصر في قتال عدوهم، وللعلم أن المسلمين همهم الأول في قتال خصوم الدعوة هولإعلاء كلمة الله، ونشر دينه بين العالمين، وليست الغنيمة غايتهم، ومن فضل الله تبارك وتعالى على المؤمنين الذين يقومون بنصر دينه، أن ينصرهم على عدوهم وترتب على هذا أن أحل لهم هذه الغنائم التي استولوا عليها بعد القتال.

والغنيمة مورد غير ثابت للدولة، فمتى ما كانت قوية وتستطيع القيام بواجبها في حمل رسالتها العالمية إلى عامة البشر، ومتى ما كانت هذه القوة موجهة لخدمة الإسلام ومسخرة لإزالة العوائق التي تقف في طريقها لنشر دعوة الإسلام، جاء النصر، وكان مع النصر الغنيمة التي هي من ثمار النصر(١).

والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢)، وقد خص الله بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم السابقة، فقد اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي"وذكر منها "وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي"(٣).

الغنيمة في اللغة: من الغُنْم، هو الفوز بالشيء في غير مشقة، وغَنِم القوم غُنْما، والمِغْنم: الفيء، غَنِمتُ أغنم غَنْماً وغنيمة، والغنائم جمعها، والمغانم جمع مَغْنم،

---

(١) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٥٥.

(٢)سورة ا لأنفال: آية رقم ٦٩.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً، رقم ٥٢١، ٣٧٠/١ من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.

والغَانِم آخذ الغنيمة[١].

من هذا التعريف اللغوي يُفهم أن الغنيمة هي الفيء إذ أنهما كلمتان مترادفتان، وبعض العلماء، يفرق بينهما، فيقول: إن الغنيمة هي ما أُخذ بالقهر والغلبة بعد قتال، والفيء: هو ما أُخذ عفوا، أو بالصلح[٢].

وأما الغنيمة اصطلاحا: هي اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة، وقهر الكفرة، وما أوجفوا عليه بالخيل والركاب، على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى[٣].

عموما أن الغنائم والفيء هو كل ما يستولي عليه المسلمون من المشركين، سواء بعد قتال وقهر، أو بعد صلح، وتراضي، وكلاهما فيهما الخمس.

وتشتمل الغنيمة على أربعة أقسام: أسرى، وسبي، وأرضين، وأموال[٤].

وأما من حيث تقسيمها فقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز طريقة تقسيمها، وما يجب فيها، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ

---

(١) (الفراهيدي: العين: ٤/٤٢٦،الأزهري: تهذيب اللغة: ١٤١/٨، الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٩٩٩/٥، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٣٨٩/٣، ابن منظور: لسان العرب: ٤٤٥/١٢،).

(٢) يحي بن آدم: الخراج: ص: ١٧، و الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٢٢٦، ويقول أبو يوسف: أن الفيء: هو الخراج، خراج الأرض، (أبو يوسف: الخراج، ص:٢٣).

(٣) الجرجاني: التعريفات، ص: ١٦٢-١٦٣، وعمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص: ٤١٤.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٢٣٢.

قَدِيرٌ ﴾[١].

فالخمس لمن سمى الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز، والباقي أربعة أخماس يقسم بين الجند الذي أصابوا الغنيمة، من أهل الديوان وغيرهم، يضرب للفارس من هم ثلاثة أسهم سهمان لفرسه، وسهم له، وللراجل سهم[٢].

وعلى هذا فخمس الغنيمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يرسله المجاهدون للإمام في مقر الخلافة ليقسمه حسب ما ورد في القرءان الكريم، وهذا الخمس كما ذكر الله تبارك وتعالى يقسم خمسة أخماس، لله، وللرسول ، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب خمس الخُمس الذي لله وللرسول، لإمام المسلمين يضعه فيما يراه مناسبا في مصالح المسلمين.

وهكذا صار من موارد بيت المال خمس الغنيمة الذي يرسله المجاهدون المنتصرون، وهو يكثر ويقل حسب النصر الذي يحرزه المسلمون على عدوهم، وقد امتدت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فكان خمس الغنائم يرسل في المدينة عاصمة الخلافة بأموال طائلة، وخاصة في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد سقوط دولة الفرس، والروم في بلاد الشام.

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، استمرت الفتوحات الإسلامية في شرق الدولة وغربها.

ففي المغرب، نجد جيوش المسلمين توالي فتحها ، وبالتحديد سنة ٤٤هـ تقريبا على يد القائد معاوية بن حديج[٣] رضي الله عنه، والقواد الذين كانوا معه، ففي

---

(١) سورة الأنفال: آية رقم ٤١.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص: ١٨.

(٣) معاوية بن حديج: بن جفنة بن قتير الكندي أبو نعيم، الكندي ثم السكوني، الأمير قائد الكتائب، له صحبة، شهد فتح مصر، أمره معاوية بن أبي سفيان على الجيش الذي جهزه إلى مصر، ولي غزو المغرب مرارا آخرها سنة خمسين، كان ملكا مطاعا من أشراف كندة، = =

فتحهم لمدينة جلولاء[1] نجد أن قواتهم تحاصرها شهرا ثم يفتح الله عز وجل لهم ويغنم منها المسلمون غنائم عظيمة، يذكر أنه أصاب كل راجل من الجيش مائتي مثقال، وبُعث إلى معاوية بن أبي سفيان بالخمس[2].

وأيضا غزا معاوية بن حديج صقلية وغنم منها غنائم كثيرة؛ منها: أصنام من الذهب والفضة مكللة بجوهر، بعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان، فأرسلها إلى الهند وبيعت هناك، وأخذ ثمنها، وأنكر عليه الناس إنكاراً كليا[3].

وفي الشرق امتدت الفتوح، وكانت هناك انتصارات متتالية، غنم فيها المسلمون غنائم كثيرة، أرسلوا خمسها إلى بيت المال، في العراق[4].

فقد استعمل زياد بن أبيه على خراسان الحكم بن عمرو الغفاري[5]، وغزا جبال

= =

مات بمصر، سنة ٥٢هـ، (ابن عساكر: تاريخ دمشق: ١٥/٥٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٧/٣، ابن حجر: الإصابة: ٢٢٠/١٠).

(١) جلولاء: مدينة قديمة لها حصن وعين ثرَّة في وسطها، مبنية بالصخر، كثيرة الأشجار، والثمار وأكثر رياحينها الياسمين، بينها وبين القيروان أربعة عشرون ميلاً، (البكري: المسالك والممالك، ٦٨٥/٢، الحميري: الروض المعطار في أخبار الأقطار، ص:١٦٨).

(٢) ابن عذاري:البيان المغرب، ١٦/١-١٧.

(٣) نفس المصدر ١٨/١.

(٤) ألبان : المورد المالية في الدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٦٣.

(٥) الحكم بن عمرو الغفاري: الأمير أخو رافع بن عمرو وهما من بني ثعيلة، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نزل البصرة، فولاه زياد خراسان، وكان فاضلا صالحا من دوي الرأي والإقدام، مات بخراسان، ودفن مع بريدة الأسلمي، سنة ٥١هـ وقيل سنة ٥٠هـ، (أبو نعيم: معرفة الصحابة: ٧٠٨/٢، ابن عبد البر: الاستيعاب: ٣٥٦/١، والذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٧٤/٢،).

الغور وفراونده، وغنم منها غنائم كثيرة وسبايا[1].

وقد ذُكر أنه غنم الحكم بن عمرو في هذه المعارك غنائم كثيرة من صفراء وبيضاء، حتى أنه قيل أن زياداً أرسل إليه، حسب طلب أمير المؤمنين يقول أن انتقِي من الغنائم كل صفراء وبيضاء لأمير المؤمنين فلا تحركن شيئا حتى تخرج ذلك، فرد عليه إن كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، ولم يجبه إلى طلبه وقال للناس اغدوا إلى غنائمكم، فغدا الناس، وقد عزل من الغنائم الخمس، فقسم بينهم تلك الغنائم[2].

ولا شك أن الغنائم مادامت بهذه الضخامة حتى يرغب فيها أمير المؤمنين ويستأذن الفاتحين، بأن ينتقوا له كل صفراء وبيضاء؛ أنها غنائم كثيرة، وأن الخمس الذي أرسل منها لبيت المال ليس بالأمر الهيِّن.

ومن هنا يتضح أن من أهم موارد الدولة، خمس الغنائم التي ترد للإمام في حاضرة الخلافة، من كل مكان، وفي عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كانت الفتوحات تمتد إلى أقاصي الأرض، شرقا وغربا، مما كان له الأثر في إثراء بيت المال.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،٥/٢٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٥٢، وابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٣٥٧، قال د/خالد الغيث، أن المصادر لم تورد هذه القصة بأسانيد صحيحة، وأيضا أن دين معاوية وعدالته تمنعه من رد حكم الله تعالى، الوارد في كيفية تقسيم الغنيمة، (الغيث: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص: ٣٥١-٣٥٢)، وربما أراد معاوية رضي الله عنه إذا صحت الرواية، أن يكون خمس الغنية التي يرسل إليه من الذهب والفضة والله أعلم.

المطلب الخامس: التجارة.

التجارة من الموارد المهمة للدول والشعوب قديما وحديثا، ولهذا اهتم بها العرب في شبه الجزيرة العربية، وغيرها من الدول، وتداولوها فيما بينهم، إذ أنها ترفع من قيمة المجتمع المتعامل بها، وفيها الفوائد العظيمة بالنسبة للتاجر، والمشتري، ولهذا نجد حتى في القديم التبادل التجاري بين الدول قائم، وجعلوا لها أماكن خاصة في المدن، وهي الأسواق.

والتجارة: هي محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرُّخْصِ وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعةُ من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش[(1)].

وقد ذكر الله تبارك وتعالى رحلات قريش التجارية بين الدول، فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[(2)]، وكانت رحلاتهم التجارية تتجه إلى كل من الشام ، واليمن، والحبشة وفارس، وربما يمكن أن يكون لهم تجاوزا إلى بلاد الهند وغيرها، وقد ركبوا في ذلك البحر وساروا في البر[(3)].

ولما جاء الإسلام لم يمنع التعامل بالتجارة بل هذبها، ووضع لها ضوابط وشروطا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[(4)]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[(5)].

وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم من كبار التجار، بل إن النبي صلى الله

---

(١) ابن خلدون: التاريخ، ١/٤٩٤.

(٢) قريش: آية رقم ١-٢.

(٣) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص:٣١.

(٤) البقرة: آية رقم ٢٧٥.

(٥) النساء: آية رقم ٢٩.

عليه وسلم كان يدعو لهم بالبركة في كسبهم، ويوجههم، التوجيه السليم، ولهذا برز منهم تجارا كبارا كانوا قوة للإسلام في ذلك الوقت بأموالهم فضلا عن أنفسهم(١).

ولم يقر الرسول صلى الله عليه وسلم التجار في بعض المعاملات التي كانوا يديرون بها تجارتهم، وحذر من البيوع كل ما كان الغش والخداع سبيلا له وعدها من الكَيفِيات التي لا يقوم بها للفرد حق في التمليك(٢).

وقد اهتم الخلفاء من بعده بأمر التجارة وكان لهذا أثر واضح في العناية بالطُّرق التجارية، وحراستها، وتأمينها؛ فحفروا الآبار، وأقاموا محطات في المرافئ والثغور واهتموا بإنشاء الأساطيل لحماية سواحلهم من المغِيرين، وقُرصان البحر(٣).

ومن المعلوم أن أبا سفيان رضي الله عنه كان من كبار رجالات قريش وأثريائهم الذين له خبرات ورحلات تجارية، بل إنه كان يقود تجارة قريش، وكان من بينها تلك القافلة التي كان يقودها، واعترضها المسلمون، وكان سببها غزوة بدر الكبرى(٤)، ولا شك أن معاوية رضي الله عنه استفاد من أبيه هذه المهنة، ولهذا نجده في خلافته أنه اهتم بأمر التجارة اهتماما كبيرا، وطورها وطور أساليبها، ووسع نطاقها.

فقد اتسعت رقعة البلاد أكثر مما كانت عليه أيام الراشدين رضي الله عنهم، وبسط المسلمون نفوذهم على البلاد المفتوحة، وأصبحت الهيمنة الإسلامية براً وبحراً أكثر وضوحاً في العالم المعروف آنذاك، واستفادت الحركة التجارية استفادة كبيرة، وأقبلت التجارات نحو البلاد الإسلامية، وتحرك التجار بنشاط عبر الحدود يحملون

---

(١) مثل أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وأرضاهم.

(٢) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص: ٣٤.

(٣) الشلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: ٢٥٠.

(٤) ينظر في غزوة بدر وأسبابها، سيرة بن هشام،١/٦٠٦.

التجارات عبر البرية والبحرية[١].

وكانت الطرق التجارية وغيرها تجري عليها عملية إصلاح دائمة لتأمين عملية التجارة، وهذا النشاط التجاري شجع الدولة على بناء أساطيل بحرية ربطت ساحل الشام بغيره من الموانئ العالمية في الشرق والغرب[٢].

وقد اهتم معاوية رضي الله عنه بنقل التجارة عبر الموانئ والسفن حتى أنه كانت له تجارات تنتقل إلى البلدان، وتُباع له هناك، ومن ذلك أنه، لما كان مسروق في سلسلة واسط عاملا في العشور، مرت عليه سفنٌ لمعاوية، محملة بالبضائع أرسلها إلى الهند والسند، تُباع له هناك[٣].

وقد تطورت التجارة البحرية، بعد أن نجح العرب في تثبيت أسطح السفن بمسامير من حديد، كما قاموا بطليها بالقطران منعا لتسرب الماء إلى داخلها[٤] حفاظا على البضائع التجارية، وزيادة في الاحتياط، وتشجيعا للتجار لتفعيل التجارة البحرية أكثر.

وكانت الطرق التجارية البرية تتسم بالأمان أيام معاوية رضي الله عنه وخاصة مما يلي العراق الذي كان واليه زياد بن أبيه؛ حيث أمَّن الطرق بقدر المستطاع، وأمِن الناس على أموالهم وأعراضهم.

وذلك أنه شدَّد أمر السلطان، وتقدم في العقوبة، وجرَّد السيف، وأخذ بالظِّنَّة، فخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا، حتى أمِن الناس بعضهم بعضا، حتى إن الشيء ليسقط من إنسان، فلا يأخذه أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه بنفسه[٥].

---

(١) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص: ١٦٥.

(٢) أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي، ص:٣٢٥.

(٣) بحشل: تاريخ واسط، ص: ٢٠، البلاذري: وأنساب الأشراف، ١٣٠/٥.

(٤) أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص: ٣٢٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥.

ولم يكن هذا فقط في داخل ولا يته، الكوفة والبصرة، بل امتد هذا إلى الطرق التجارية في الشرق، فأحكمه، حتى أنه كان يقول:" لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه"[١] .

وقد ساعد هذا الاهتمام من قبل ولاة العراق على ازدهار الحركة التجارية، في شرق الدولة الإسلامية ونشطت نشاطا ملحوظا[٢]، وهذا من جهته كان له دور كبير أيضا في امتداد التجارة إلى داخل الدولة الإسلامية في مناطق متعددة.

وأن العلاقات التجارية بين الدولة الإسلامية وبين الدولة البيزنطية، كانت قائمة رغم الحروب القائمة بينهما، والتي كانت شبه مستمرة، فإنها لم تمنع من استمرار تلك العلاقة التجارية التي كانت بين مصر وبيزنطة من جهة، وبين الشام من جهة أخرى[٣]. وهذا يفيد أن القائمين على الدولتين يدركون أن مصالح شعوبهم لا تنقطع بسبب الحروب ومن بينها التجارة المتبادلة.

وهذه العلاقة التجارية كانت مستمرة حتى في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ ومما يُذكر في سبب أخذ العشور التجارية من أهل الذمة أنهم طلبوا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأن يسمح لهم بالتجارة في بلاد الإسلام مقابل أخذ العُشر من تجارتهم[٤].

ولهذا نجد أن التجارة كان لها دور كبير، وكانت موردا مهما من موارد بيت المال، وخاصة أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، الذي كانت نفقاته تزيد عن غيره ممن سبقه من الخلفاء، فكان لابد أن يستعين بهذا المورد في مواجهة تلك التحديات الاقتصادية.

---

(١) نفس المصدر: ٢٢٣/٥.

(٢) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٠٣.

(٣) ألبان: الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ١٠٣-١٠٤.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص: ١٣٥.

المطلب السادس: الزراعة.

الزراعة من موارد بيت المال في الدولة الإسلامية في العصر الأول -بل هو مورد مهم لجميع المجتمعات- فقد اهتم بها الإنسان على مدار التاريخ، فهي المصدر الرئيسي للغذاء، وقد هيأ الله تبارك وتعالى للإنسان هذه الأرض لعمارتها، وإحيائها، والانتفاع بما فيها من الخيرات، وقد يسر الله تبارك وتعالى سُبل الزراعة ووسائلها، قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[(١)]. وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمن على استغلال الأرض بالزراعة لكي ينفع نفسه وغيره من مخلوقات الله فقال:" ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"[(٢)].

وقد اتخذها العرب في شبه الجزيرة العربية من وسائل المعاش والاكتساب، رغم قلة مواردهم المائية نسبيا، فإن المياه المتوفرة من الأمطار وغيرها ساعد على قيام زراعة في المواضع التي وجدت فيها المياه، وتبعا لذلك تنوعت الزراعة في شبه الجزيرة، بين زراعة تعتمد على مياه الأمطار، وزراعة تعتمد على السقي بالنواضح وغيرها، وعموما كانت متفاوتة في الكم والنوع[(٣)].

وعندما هاجر الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة، عملوا مع الأنصار

---

(١) سورة عبس: آية رقم ٢٤-٣٢.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والزرع إذا أكل منه، رقم (٢٣٢٠)، ١٠٣/٣، ومسلم: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، رقم (١٥٥٣)، ١١٨٩/٣، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص: ٢٤.

جنبا إلى جنب في الزراعة،[1] وكان الأنصار أهل مزارع، بينما أهل مكة أغلب أعمالهم بالتجارة، وكانت المدينة مشتهرة بمزارع النخيل.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم تنظيمات لهذا المورد، فبعد فتح خيبر، وكانت هذه المنطقة مشتهرة بمزارع النخيل، حيث كان يضرب بها المثل في إنتاج التمر[2]، جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم في أيدي أهلها، وعاملهم مقاسمة على النصف من الثمار[3]. ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر فقط بل إن كثيراً من المناطق التي افتتحها كان يجري عليها هذا النظام، وعليه سار خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم.

وأما الأرض الموات، وهي التي لم يملكها أحد، بحيث لم يكن فيها أثر بناء ولا زرع ولم تكن فيئا لأهل القرية ولا مسرحا ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطبهم ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهم وليست بملك أحد، فهي أرض موات فمن أحياها أو أحيا منها شيئا فهي له، وللإمام أن يُقطع منها ما أحب ورأى ويؤجرها ويعمل فيها بما يراه الأصلح[4].

وإحياء الأرض وعمارتها بالزرع ونحوه مما حث الشرع عليه، ورغب فيه، وكانت مكافأة ذلك أن الذي يحيي أرضا مواتا فإن الإسلام منحها له وجعلها أحق بها من غيره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق"[5].

---

(١) نفس المرجع: ص: ٢٦.

(٢) مثل قول حسان رضي الله عنه،

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا *** كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرَا. (ديوان حسان، ١/٢٤٤).

(٣) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص: ٢٧.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص: ٦٣-٦٤.

(٥) رواه البخاري: كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا، رقم ٢٣٣٥، ٣/١٠٦، من = =

ولهذا أن الأرض الموات التي لا حق لأحد فيها ولا ملك، فمن أحياها وهي كذلك فهي له يزرعها، ويزارعها، ويؤاجرها، ويكري منها ويعمرها، بما فيه مصلحتها، فإن كانت أرض عشر أدى عشرها، وإن كانت أرض خراج أدى خراجها[1].

وعلى هذا النظام سار الخلفاء الراشدون يحيون الأرض ويشجعون على إحيائها، ويقطعون منها من يروه مناسبا أنه يعمرها ويصلحها.

وفي عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهو بداية الدولة الأموية، وقد شهد نشاطا زراعيا واسعا كان وليد الأسس والقواعد التي وضعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في مجال الإقطاع وطرق الرّي ووسائله ولهذا يُعد هذا العصر استمرارا ومتمما للنظام الراشدي غير أن هذا العصر صادف ظروفا مالية صعبة كانت وليدة أمور سياسية وعسكرية وعمرانية وإدارية استوجبت منهم أن ينهجوا سياسة مالية مغايرة لما كان سائدا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وأظهرت آثارها في الحقل الزراعي خاصة[2].

ولهذا نجد أن معاوية رضي الله عنه اهتم بالأرض اهتماما كبيرا سواء باستصلاحها لنفسه أو إقطاعها لمن يرى أنه يصلحها ويعمرها، ويؤدي أجرتها إلى بيت المال.

ومن ذلك أنه كان هناك ثقوب في نهر دِجلة في العراق ومستنقعات حدثت في زمن بعض ملوك الفرس[3]، واستعصى عليهم إصلاحها، ولم يقدروا له على حيلة

= =

حديث عائشة رضي الله عنها، قال البخاري بعد أن ساق الحديث، قال عروة: "قضى بذلك عمر رضي الله عنه في خلافته"

(١) أبو يوسف: الخراج، ص: ٦٥.

(٢) طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر الأموي، ص: ١٤٩.

(٣) أيام قباذ، وابنه أنوشروان، وابورويز،

يوقفوه بها، إلى أن جاء معاوية بن أبي سفيان وكان قد جعل عبد الله بن دراج على خراج العراق، وتمكن من استصلاح تلك البطائح، بأن قطع القَصَب، وغلب الماء بالمسنيات، واستخرج منها لمعاوية ما بلغت غلته (خمسة ملايين)(١)، وقد قدرت مساحة هذه البطائح بأنها ثلاثون فرسخا في ثلاثين(٢)، ولا شك أن هذه أراضي واسعة كان لها دور كبير في إثراء بيت المال في عهد معاوية رضي الله عنه.

وأيضا كتب إلى عامله في فلسطين أن يتخذ له أراضي زراعية فيها فقال: "اتخذ لي ضياعا، ولا تكن بالداروم المجداب، ولا بقيسارية النغراق، واتخذها بمجاري السحاب" فاتخذ له البطنان من كُورة عسقلان(٣).

من المظاهر التي وُجدت في عصر معاوية للتشجيع على الزراعة حفر الآبار، و شق الترع وحفر الأنهار في الأماكن الزراعية، وقد قام ولاته وخاصة في العراق بحفر الأنهار وتوجيهها إلى الأماكن الزراعية، وأسهموا من بيت المال في الصرف والإنفاق على الشؤون الزراعية وخاصة واليه زياد بن أبيه، حيث ربط بين عملية اقتطاع الأرض وبين إحيائها فكان لا يقطع أرضا لشخص حتى يقوم بإحيائها وإذا أقطع لرجل وتمضي سنتان ولم يعمرها يأخذها منه(٤).

وقد بُدأ النشاط في حفر الأنهار في البصرة، بحيث أصبحت تلك المدينة عبارة عن شبكة من الأنهار والقنوات والجداول، وانتعشت الحياة الزراعية فيها أكثر من غيرها، وأيضا في الكوفة لم يقل النشاط فيها، فقد أقيمت الجسور والقناطر، وأيضا،

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٨٦-٢٨٧، الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) العلائق النفيسة ص: ٩٤، بواسطة الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص:٢٠٣.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب: ص ٢٦.

(٤) طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر الأموي، ص: ١٥٣.

في خراسان شُيدت قناطر على ثلاث أنهار في بلخ[(١)] [(٢)].

وهكذا كانت الزراعة من أكبر الموارد لبيت المال، ولمعاوية بالذات حيث إن نفقاته كانت تتزايد، ولهذا عضد بها دخله، وذلك أنه كانت له مزارع خاصة به كما مر معنا، واهتم بها أكثر من غيرها.

---

(١) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، من أجلها وأشهرها ذكرا، وأكثرها خيرا، وبينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا، ويقال لجيحون نهر بلخ، وهي اليوم تعرف باسم وزير أباد، تقع في أفغانستان، غرب مزار شريف،(الحموي: معجم البلدان، ٤٧٩/١، صفي الدين: مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، ٢١٧/١، شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ٢٣٦).

(٢) طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر الأموي، ص، ١٥٦.

المبحث الثالث: أهم مصارف الدولة، وفيه أربعة مطالب.

من واجبات الإمام أو الحاكم، بعد توفر المال لديه من مصادره وموارده عليه أن ينفقه في مصالح الدولة التي يرى أن تنفق فيه، فليست الغاية جمع المال بل أنه يجب ذلك أن يتبعه حسن التصرف وتنظيم الإدارة ووضعه في مواضعه، فكما أن للدولة موارد تجمع منها المال، لها مصارف تصرفه فيها، فلنبدأ في أهم مصارف الدولة في عهد معاوية رضي الله عنه، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: النفقات العسكرية.

من أبرز قطاعات الدولة والتي يجب على الإمام أن يُوليها اهتمامه، ويُنفق عليها، القوات العسكرية بكل مرافقها.

وتجهيز الجيش الذي يغزوا في سبيل الله ودعمه مما حث الإسلام عليه ورغب فيه[1]. قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾[2].

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على تجهيز الجيش فقال "من جهز غازيا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير، فقد غزا"[3].

ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان تجهيز الجيش فردي حسب

---

(١) حسين العواجي: النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، ص: ٣٠٤.

(٢) الأنفال: آية رقم ٦٠.

(٣) روه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير، رقم ٢٨٤٣، ٢٧/٤، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، رقم ١٨٩٥، ١٥٠٦/٣.

الاستطاعة، وأن أعطياتهم غالبا ما تعتمد على غنائمهم التي يغنمونها من عدوهم، بالإضافة إلى ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم بثواب الله والجنة لمن يقوم بتجهيز الجيش من ماله الخاص مثل قوله صلى الله عليه وسلم" من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان رضي الله عنه"[(١)].

ولم تكن أرزاق الجند في عهده عليه الصلاة والسلام محددة ولا معينة، وإنما كانوا يأخذون من أربعة أخماس الغنيمة، وما يرد من خراج الأرض التي بقيت في أيدي أهلها، على أن تقسم بينهم بالسوية[(٢)].

ولما كان عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سُجلت أسماء الجند في الديوان وجعل لكل منهم راتب سنوي، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأجري لهم ولأهلهم أرزاقا، وعلى هذا سار الخلفاء من بعده.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانت النفقات عليه أكثر من غيره، وخاصة النفقات العسكرية، وهذا ربما يرجع لأن بيت المال صارت فيه وفرة، أو لأن معاوية أراد استمالة قلوب الناس والتودد إليهم للأحداث التي سبقت خلافته، مهما يكن من الأمر فإن النفقات العسكرية في عهد معاوية اختلفت عما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وذلك: أنه قام بزيادة رواتب الجند، وذلك أن الجند كانت رواتبهم أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه تتراوح مابين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ درهم، فزادها معاوية رضي الله عنه إلى ألف درهم تقريبا لكل رجل[(٣)].

وهناك رتبة في الجهاز العسكري وهي شرف العطاء[(٤)] وهذه الرتبة كان راتبها

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، ١٣/٥.

(٢) حسن: النظم الإسلامية، ص: ٢١٣.

(٣) الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص: ٢٠٩.

(٤) وكان من أهل هذه المنزلة العباد والزهاد، منهم أيام معاوية، الربيع بن خثيم،(ابن عبد ربه: = =

أعلى من بين الجنود الآخرين وقد أنشأها عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ وكانت لذوي الشجاعة والبأس أيام القادسية، حيث جعل لهم ٢٥٠٠ درهم، وكانت تسير على هذا إلى أن جاء معاوية بن أبي سفيان وجعلها ٢٠٠٠، وهو أول من وضعها إلى هذا الحد[1].

وكان الجند يأخذون أعطياتهم من ولا تهم الذين يتبعونهم، ولهذا نجد زياد بن أبيه والي العراق يُبقي من الخراج نصيب المقاتلة وهو تقريبا ٣٦ مليون درهم، وكان إذا أهل هلال محرم أخرج لهم أعطياتهم[2].

ومما يتعلق بالنفقات العسكرية للدولة في عهد معاوية رضي الله عنه تجهيز الجيوش، وتمويل الحملات العسكرية التي يرسلها للغزو، فكانت الدولة تتحمل النفقات اللازمة لكل ما تحتاجه الحملة المرسلة.

وتشمل هذه النفقة عدة أمور منها:

- الطعام والماء والكسوة، فقد كان معاوية يُدِرُّ بالعطاء والأرزاق على الذين سكنوا جزيرة رودس[3]، حيث كانوا يتعرضون في البحر لسفن الروم.[4]

= =

العقد الفريد: ٢٣٢/١) ومنهم أيضا من ذوي الشجاعة والبأس، ومن بينهم أيام معاوية، ربيعة ولقبه مسكين بن أنيف الدارمي، كان شاعرا فصيحا وذلك لما بذله في حروب الخوارج، (ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: ٢٧٣/٨، حسين العواجي: النفقات: ص: ١٩٨-١٩٩).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١١٢/٥، حسين العواجي: النفقات، ص: ١٩٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢١٨/٥-٢١٩.

(٣) جزيرة رُودِس: بضم أوله ودال مهملة مكسورة، جزيرة في البحر الأبيض المتوسط افتتحها جنادة بن أبي أمية أيام معاوية، تقع بقرب الساحل الغربي الجنوبي من تركية وهي الآن تتبع اليونان،(البكري: معجم ما استعجم، ٦٨٣/٢، الحموي: معجم البلدان، ٧٨/٣، شُرَّاب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص: ١٣١).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٨/٥.

- تجهيزهم بالخيول والدواب ووسائل النقل، ومن ذلك أن عقبة بن نافع أخذ معه لفتح أفريقة أربعمائة فارس، وأربعمائة بعير، وثمانمائة قربة، وذلك سنة خمسين(١).
- تجهيزهم بالمعدات والأسلحة والسفن، وهذا مما اشتهر به معاوية وذلك هو أول من طلب بناء السفن والغزو بها وذلك لما كان واليا على الشام أيام الخلفاء الراشدين، ولما آلت الخلافة إليه اهتم بهذا الأمر وهي صناعة السفن، فبعد أن كانت السفن تصنع في مصر فقط، جلب الصناع والنجارين فجُمعوا ورتبهم على السواحل، وكانت الصناعة في الأردن(٢).

وأكبر الحملات التي أرسلت أيام معاوية رضي الله عنه، الحملة التي أرسلها لمحاولة فتح القسطنطينية، بقيادة ابنه يزيد، وذلك سنة ٤٩-٥٠هـ(٣) ولاشك أن هذه الحملة كلفت الدولة ميزانية ضخمة، وذلك أنها كانت برا وبحرا وقد اشترك فيها بعض الصحابة رضي الله عنهم.

من هذا يتبين أن نفقات الحرب وتبعاتها كانت تحتل المرتبة الأولى في اهتمام الدولة ، إضافة إلى ما كان من غزو الروم صائفة وشاتية، وشحن الحدود معهم بالمقاتلة وترتيب الحفظة في السواحل، ونقل الأقوام والجماعات إلى مناطق الحدود وغير ذلك(٤).

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص:٢٢٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ١٢٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٣٢، وبن الأثير: الكامل، ٣/٥٦.

(٤) بطاينة: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ج٢ الحياة الاقتصادية، ص: ١٢٨.

المطلب الثاني: النفقات الإدارية.

النفقات الإدارية ليست أقل شأنا من النفقات العسكرية في ميزانية الدولة، وذلك لأهمية هذا الجهاز بجميع مراكزه وموظفيه يكلف الدولة ميزانية هائلة تساير شؤونه؛ ولهذا نجد أنه كلما كان هذا الجهاز قويا، كانت الدولة قوية، ولهذا كانت النفقات عليه من الأمور المهمة.

وقد حث الإسلام على مكافأة كل من قام بعمل على أن يعطى أجرة في عمله، وهذا يعتبر حق من حقه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا"(١)، وينبغي أن يجعل ما يجري على القضاة والولاة من بيت مال المسلمين من جباية الأرض أو من خراج الأرض والجزية؛ لأنهم في عمل المسلمين فيُجرى عليهم من بيت مالهم، ويُجرى على كل وال مدينة وقاضيها بقدر ما يتحمل، وكل رجل يصيِّره الإمام في عمل المسلمين، عليه أن يُجري عليه من بيت المال، ولا يُجري عليهم من أموال الصدقة إلاَّ أن يكون من عمال الصدقة وجباتها(٢).

وقد رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاته وعماله الذين كان يرسلهم، فقد رزق والي مكة عتاب بن أسيد كل سنة أربعين أوقية، من فضة(٣).

وقد استمر الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على هذا فقد كانوا يرزقون عمالهم ويجعلون لهم أجورا على ما يقومون به من أعمال، فقد كان عمر بن الخطاب رضي

---

(١) رواه أبو داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال، برقم ٢٩٤٥، ١٣٤/٣، والبيهقي السنن الكبرى برقم ١٣٠١٨، ٥٧٧/٦، من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص:١٨٦-١٨٧.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، برقم،١٣٠٢٢، ٥٧٨/٦.

الله عنه فرض لمعاوية رضي الله عنه حين كان واليا له على بلاد الشام، ثمانين دينارا، في كل شهر(١).

ولما بعث جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم إلى بلاد العراق وكلفهم بعدة أعمال هنالك أجرى عليهم أرزاقا، تتفاوت بمقدار أعمالهم التي كانوا يقومون بها(٢).

وينبغي أن يرزق الإمام أمراء النواحي رزقا واسعا يقوم بهم وبمئونتهم حتى لا يشرهوا إلى مال واحد من أهل عملهم(٣).

وهكذا سارت الأمور إلى عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فقد زاد في مرتبات الولاة وجعل لهم امتيازات على ما كانوا عليه في السابق، وهذا ربما يعود لسياسة معاوية رضي الله عنه في إدارة شؤون البلاد.

ففي عهد معاوية رضي الله عنه نجد أن الوالي ربما يتصرف في أموال الخراج، فيعطي منه موظفيه وجنده ويأخذ منه لنفسه ثم يرسل الباقي إلى بيت المال في العاصمة، فقد ذكر البلاذري، أن زياداً كان يجبي من كور البصرة ستين مليون، فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين مليون، ويعطي الذرية ستة عشر مليون، وينفق في نفقات السلطان مليونين، ويجعل في بيت المال للبوائق والطوارئ، مليونين، ويرسل إلى

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٤١٤-٤١٥، حسين العواوجي: النفقات، ص:٥٤٢، وقد ذكر ابن عبد البر أنه أجري عليه ألف دينار كل شهر، وقيل عشرة آلاف دينار كل سنة (ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/١٤١٦، ١٤٢٢) .

(٢) منهم عمار بن ياسر، كان على الصلاة والجند، وجعل له ٦٠٠درهم في الشهر، وعثمان بن حنيف، ، على مساحة الأرض وجعل له ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم، وجعل عطاءه خمسة آلاف درهم في السنة ، وعبد الله بن مسعود على قضاء الكوفة، وأجرى عليه ١٠٠درهم في الشهر، وربع شاة في اليوم، وشريح على قضاء البصرة، وأجرى عليه ١٠٠درهم، وعشرة أجربة في الشهر، (البيهقي: السنن الكبرى، رقم، ١٣٠١٢، ٥/٥٧٥، وجورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ١/١٥٠).

(٣) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ص:٣٣٩.

معاوية أربعة ملايين[1].

من هذا يفهم أن الوالي كان يُبقي نفقته من دخل الولاية التي فيها، وطبعا هذا لا يكون إلا بعلم أمير المؤمنين، وهذا في بعض الولايات من الدولة وليس على إطلاقه.

أما بقية الولاة فقد كان يقرر لهم بنفسه، فقد رزق مروان بن الحكم حين كان واليا على المدينة ألف دينار في كل شهر[2].

فكان زياد أول من بسط الأرزاق على عماله وموظفيه في ولايته فقد جعل لهم ألف درهم، ولنفسه خمسة وعشرين ألف درهم[3].

وكتب زياد خمسمائة من مشيخة أهل البصرة في صحابته، ورزقهم مابين الثلاثمائة إلى الخمسمائة[4]. وأيضا نجد في ناحية غرب الدولة مثلا أن عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر كان ينفق على نفسه وعماله وجنده من خراج مصر، وهكذا نرى أن مصارف الولاة وعمالها كان كبيرا في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ومما يدخل في نفقات الوالي، اتخاذه السكن، وغالبا ما يكون دار الإمارة، وهذا يدخل من بين النفقات التي تخص الوالي، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا"

ومن النفقات الإدارية في عهد معاوية رواتب القضاة فقد كان للقضاة دور كبير في إدارة شؤون البلاد، وهو جهاز مهم، فكان لابد أن يحظى باهتمام الإمام.

وكان أول من فرض للقضاء راتبا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد استعمل

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٢١٨-٢١٩.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ١/١٤٣.

(٣) اليعقوبي: التاريخ، ٢/٢٤٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٢٣.

زيد بن ثابت على القضاء، وفرض له رزقا[١].

وقد كان شريح[٢] القاضي يتقاضى راتبا في زمن الخلفاء الراشدين خمسمائة درهم في كل شهر، وكان يقول "أستوفي منهم وأوفيهم"[٣].

ولا شك أن أرزاق القضاة مثلها مثل أرزاق الولاة، والجند، وغيرهم قد زادت أيام معاوية رضي الله عنه، وذلك أن دور القاضي مهم جدا في الدولة فلا بد له من مراعات أكثر من غيره، إذ هو يتولى الفصل بين الخصومات.

وقد استمر شُريح في ولايته للقضاء حتى زمن معاوية رضي الله عنه، وقد كان يتقاضى نفس الأجر الذي كان يتقاضاه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، بل إن زياد بن أبيه حاول أن يزيد في راتبه فقال شُريح لا حاجة لي في أكثر مما فرض لي عمر، ثم ولاه بيت المال كعمل إضافي، وأجرى عليه ألفا[٤].

ويدخل في نفقات القضاة، النفقة على حوائجه من قراطيس، وشرطة، وغيرها مما يحتاج إليه القاضي، قال الشافعي: وينبغي أن يجعل مع رزق القاضي شيئا لقراطيسه[٥].

إضافة إلى ما سبق كانت الدولة تتحمل من النفقات الإدارية، مثل تأمين مصالح

---

(١) وكيع: أخبار القضاة، ١/١٠٨.

(٢) شريح القاضي بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية الكندي، أبو أمية، الفقيه قاضي الكوفة، قيل له صحبه إلا أنه لم يصح ولكن أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء الكوفة، وله أقضية كثيرة مشهورة، وكان ذافطنة، ظل في قضاء الكوفة حتى وفاته، وكانت وفاته، سنة ٨٠، وقيل ٧٩، وقيل٧٨هـ، وكان عمره ١٢٠سنة، وقيل ١٠٨سنين.(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٦/١٣١، وكيع: أخبار القضاة، ٢/١٩٨-٢٠٠،الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/١٠٠).

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ٢/٢٢٧.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٢٣٥.

(٥) البغوي: شرح السنة، ١٠/٨٧.

الحكومة من نفقات الخليفة ورواتب القضاة والفقهاء والأئمة والولاة والعمال والشرطة وغيرهم من الموظفين، وأعطيات الجند، وتأمين المعدات الحربية، وكَرْيِ الأنهار وإصلاح مجاريها وحفر الترع وإقامة الجسور، وبناء الجوامع وغيرها من المنشآت العامة[1].

ولا شك أن نفقات معاوية الخاصة لم تكن أقل شأنا، إذ أن المال الذي كان يرد إليه من ولايات الدولة بعد أن يُخرج كل وال من المال ما يخصه ويخصُّ موظفي ولا يته؛ يُرسل الباقي إلى بيت المال المركزي في دمشق، فيجعل معاوية رضي الله عنه ذلك في النفقة على حوائجه، وحوائج أهله ومواليه وأقاربه، وجوائز الغادين والرائحين إليه من الوفود، ووسيلة يلجم بها المخالفين، ويطفئ ثائرة المعارض، ويقوي السامع المطيع ويؤلف المتمرد المباعد، وربما تدارك به نقصا في عطاء، أو قصورا في تجهيز غزوة، أو إرسال جيش، أو إقامة مرفق من المنشآت العامة[2].

---

(١) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص:٢٤٨، الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٨٤، البطاينة: تاريخ الحضارة، ج٢/١٣٢.

(٢) البطاينة: تاريخ الحضارة، ج٢/ص: ١٣٥.

المطلب الثالث: مصارف الزكاة.

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وقد فرضها الله على عباده بحيث تؤخذ من الأغنياء ثم ترد إلى الفقراء، وقد بين الله تبارك وتعالى مصارفها في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

فالواجب أن تُقسم صدقات المواشي وأعشار الزرع والثمار وزكاة الأموال والمعادن وخمس الركاز لأن جميعها زكاة على ثمانية أسهم، للأصناف الثمانية المذكورين في الآية إذا وجدوا، ولا يجوز أن يخل بصنف منهم[2].

هذا من ناحية مصارف الزكاة الذي جاء بها الشرع حيث أن الله تبارك وتعالى تكفل بتقسيمها ولم يترك ذلك لأحد حتى لا تصل الحساسيات في تقسيمها، أو يتلاعب فيها، وهذا الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده. وكون معاوية رضي الله عنه أقرب العصور إلى عصر الخلفاء لم يحد عن هذا وخاصة في تقسيم الصدقات وجبايتها، حيث كان يرسل في جبايتها السعاة[3] وكانت تقسم بقدر الإمكان على أهل البلد الذين تجبى منهم، وكان الفائض يرسل لبيت المال المركزي في بلاد الشام، كما جاء في صدقات أهل اليمن، حيث أن معاوية رضي الله عنه أمر مروان بن الحكم والي المدينة أن يأخذ من أموال صدقة أهل اليمن عندما تمر به وذلك عندما رفع إليه نقصان أعطيات أهل المدينة،

---

(١) سورة التوبة: آية رقم ٦٠.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٢٢١.

(٣) منهم ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، حيث أرسله على صدقات كلب، (ابن منظور: لسان العرب، ٤٦٤/١١).

وقد رفضها أهل المدينة، وقالوا إنما نأخذ أعطياتنا من أموال الجزية والخراج، وهذه أموال الصدقة للفقراء والمساكين، وأرسل لهم معاوية من بيت المال ما بقي من أعطياتهم[1].

وإعراض أهل المدينة عن أخذ أعطياتهم من الزكاة ذُوا مدلول اجتماعي مؤداه أنهم أهل الحاضرة، وأهل الفيء، خلافا لأهل البادية الذين ليسوا من أهل الديوان، وليسوا من أهل الفيء، وإنما تكون حظوظهم غالبا من أموال الزكاة، وأما العطاء فيكون من الوجوه المتصلة بمصارف الزكاة التي تلحق ب "وفي سبيل الله"[2].

---

(١) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص: ٥٩١ ،الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص: ١٥٠.

(٢) بطاينة: الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، ص: ١٧٢-١٧٣.

المطلب الرابع: نفقات الضمان الاجتماعي.

يقصد بالضمان الاجتماعي: في الإسلام التزام الجماعة ممثلة في الدولة بكفالة مستوى المعيشة اللائقة لكل فرد ويسمى هذا المستوى لدى رجال الفقه الإسلامي "حد الكفاية" تميزا له عن "حد الكفاف" بمعنى أن لكل فرد احتياجات ضرورية للمعيشة تختلف بإختلاف الزمان والمكان يجب على الدولة أن تضمنها له إذا لم تسعفه ظروفه الخاصة لتحقيق هذا المستوى اللائق[1].

من حقوق الرعية على الرعاة، أن يكفل لهم حقهم من أمن، ومأكل، ومشرب، وملبس، فكلما كان الحاكم يقوم على رعيته بتفقد أحوالهم وشؤونهم الخاصة والعامة، أعتبر ذلك من عدله وإنصافه، وكان ذلك مما يقربه إلى الله عز وجل.

وقد حث الإسلام الحكام على مساعدة أفراد الرعية بقدر الاستطاعة حتى بعد موته، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلا فإلينا"[2]،[3].

وهكذا راقب الإسلام حقوق الرعية وجعلها من أولويات الإمام، وعلى هذا الأساس سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، ووضعوا نُظما للضمان الاجتماعي، فنجد مثلا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في بداية خلافته لم يفرض للمولود حتى يفطم، ثم تبين له أن هذا لا يصلح وينبغي أن يفرض لكل مولود

---

(١) يوسف: النفقات العامة في الاسلام، ص:٣٣.

(٢) رواه البخاري: كتاب في الاستعراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الصلاة على من ترك دينا، برقم ٢٣٩٨، ٣/١١٨، ومسلم: كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته، برقم ١٦١٩، ٣/١٢٣٨.

(٣) (كلا) عيالا لا نفقة لهم أو دينا لا وفاء له، (فإلينا) يرجع أمره والقيام به، (تعليق مصطفى البغا، ضمن صحيح البخاري: ٣/١١٨، رقم الحديث٢٣٩٨).

للمسلمين فأمر مناديا ينادي لا تعجلوا أولادكم على الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك في الآفاق بالفرض لكل مولود في الإسلام[١].

وهذا يدل على سماحة الإسلام واهتمامه بذوي الحاجة والفقر، والذين لا يستطيعون الكسب بأنفسهم حيث أنه فرض لهم من بيت المال، حتى إنه أعطى النساء، و الإماء، والعبيد، بل حتى أهل الكتاب الذين أصابهم الفقر والحاجة وهم تحت رعاية الدولة الإسلامية ورزقهم[٢].

بل إن عمر رضي الله عنه لما جعل ديوان العطاء فرض لكل الناس، ورتبهم حسب ترتيب وضعه، حيث قدم بني هاشم عن غيرهم، ثم من شهد منهم بدراً، ثم من شهد بدراً من بني أمية لقربهم من بني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فرض للبدريين عربهم ومواليهم، ثم المهاجرين والأنصار، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفرض لنساء المهاجرين والأنصار[٣]. وهكذا نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لم يترك أحدا إلا وفرض له على قدر منزلته، وعلى هذا سار الخلفاء الراشدون من بعده.

ولما جاء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، سار على هذا المنوال، الذي كان في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فكان يتفقد الرعية ويرسل من يأتيه بخبر كل مولود للمسلمين، فقد كان يبعث رجلا كل يوم، فيدور على المجالس يسأل هل ولد لأحد مولود، أو قدم أحد من الوفود، فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان. يعني ليجري عليه الرزق[٤].

---

(١) أبو عبيد: الأموال، ٣٤٧/١، ابن زنجويه: الأموال، ص: ٥٢٧، الطبراني: المعجم الكبير،٢٥٩/١٢برقم ١٣٠٤١.

(٢) عبد الرزاق: المصنف، ٤٥٦/٦، برقم ٣٢٨٨٥، أبو يوسف: الخراج ص: ١٢٦.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص: ٤٤-٤٥.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ٤٣٧/١١-٤٣٨.

ولا شك أن هذا يدل على سماحة هذا الدين العظيم ومن اهتمام الولاة والخلفاء بالواجب الملقى على عاتقهم، بتتبع الرعية وأداء الحقوق إليهم حتى ولو كان مولودا جديدا، أو ضيفا قدم من أماكن بعيدة، فيأتيه حقه مهما يكن.

وصِلاته إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن مشهورة، حيث كان يرسل إليهن أعطياتهن كل سنة، ومن ذلك أنه قضى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثمانية عشر ألف دينار كانت عليها، وأنه بعث إليها مرة بمائة ألف، ففرقتها من يومها ولم تُبق منها درهما، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيت لنا درهما نشتري به لحما، فقالت: لو أذكرتني لفعلت[1].

وهكذا كان معاوية رضي الله عنه يُعطي كبار الصحابة وذوي الوجاهة والكرم ويغدق عليهم الأموال، وهذا لعلمه أنهم لا يدخرونها بل يوزعونها بدورهم إلى من يليهم من ذوي الحاجات من الفقراء والمحتاجين الذي لا يستطيع هو بنفسه أن يصلهم.

ومن ذلك أنه كان إذا وفد إليه الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، وابن عمر، وعبد الله بن الزبير وغيرهم، يكرمهم ويجزل لهم العطاء، فقد جاءه الحسن والحسين رضي الله عنهما مرة فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وأجاز الحسن مرة بثلاثمائة ألف، وبعث مرة لكل منهما بمائة ألف، فوزعها كل على جلسائه[2].

وكان لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه على معاوية في كل سنة مليون، ويقضي له معها مائة حاجة، وركب مرة عليه في غير موعده فقال معاوية ما أقدمك؟ قال دين ألح علي غرماؤه، قال كم هو؟ قال خمسمائة ألف، فقضاها له، وقال إن الألف ألف ستأتيك في وقتها[3].

---

(١) نفس المصدر: ١١/٤٤٣.

(٢) نفس المصدر: ١١/٤٤٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٤٤٦.

وكان معاوية يعرف أن عبد الله بن جعفر، لا يدَّخر المال لنفسه بل أنه ينفقه على الناس، وقد أدرك هذا أيضا، يزيد بن معاوية في خلافته، فقد أعطاه مرة أربعة آلاف ألف، فقال له الناس، أعطيت عبد الله بن جعفر أربعة آلاف ألف! فقال: ويحكم! إنما أعطيت الناس، عبد الله لا يمسك درهما[1].

وجعل معاوية رجلا على حوائج الناس، وكان يأذن للناس ويقول للحرس "ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان، فيقول: افرضوا لولده ويقول آخر فلان غاب عن أهله: فيقول فتعاهدوهم وأعطوهم واقضوا حوائجهم واخدموهم، وكان معاوية يقضي حوائج كل من تقدم إليه، وربما يقدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم في وقت الغداء فيقضي حوائجهم[2].

ومن مصارف الضمان الاجتماعي، النفقة على رد المظالم، حيث إن معاوية جاءته امرأة من ذكوان تشتكي إليه ظُلم وَاليه زياد بن أبيه، فكتب إليه أن يرد إليها مظلمتها، وأجزها بعشرين ألف درهم[3].

وقد كان عمال معاوية رضي الله عنه ليسو بأقل شأنا منه بتتبعهم للرعية وقضاء حوائجهم، بل إنهم كانوا يعملون طعاما جماعيا للناس في بيوتهم ومن حسابهم، فهذا زياد بن أبيه كان يغدي الناس ويعشيهم، وكانت له ألف ناقة يُؤتى بلبنها، وقد نثر التمر على الأنطاع فيتمجعون[4] اللبن بالتمر، فإذا ارتفع النهار غدوا، ثم يعشي بعد

---

(١) أبو جعفر البغدادي: المنمق في أخبار قريش، ص: ٣٧٧.

(٢) ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ص:٣٦٥-٣٦٦، حسين العواجي: النفقات المالية، ص٤٦٦.

(٣) الضبي: أخبار الوافدات إلى معاوية، ص: ٦١-٦٢، حسين العواجي: النفقات المالية، ص: ٤٨٦.

(٤) فيتمجعون: من المِجْعُ وهو أكل التمر باللبن، أو هو تمر يعجن بلبن، وقيل لبن يشرب على التمر، بأن يحسوا حسوة من اللبن ويلقم عليها تمرة، وفعله التَّمجُّع، (الجوهري: الصحاح، = =

العصر، ويحضر غداءه وعشاءه الصحابة والشرط والمقاتلة ومن حضر، وكان يطعم بالبصرة والكوفة، فإذا غاب عن أحدها قام عماله مقامه[1].

بل إنه كان يقول للناس، إني مهما قصرت في شيء فلست مقصرا في ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بليل، ولا مجمرا لكم بعثا ولا حابسا عنكم عطاء[2].

= =

١٢٨٣/٣، ابن فارس: مقاييس اللغة، ٢٩٨/٥، الزبيدي: تاج العروس، ١٨٧/٢٢).

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٤٢/٥.

(٢) التوحيدي: البصائر والذخائر،٢٤٠/٢.

المبحث الرابع: أنظمة وسائل النقل.

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، وسخر له كل ما في الأرض؛ لينتفع به في شؤون حياته الدنيا، وهو كثير الحركة والتنقل من مكان إلى آخر، حسب ما تتهيأ له الحياة والعيش الكريم، وهذه سنة الله على عباده، فإن الإنسان لا يستقر في مكان إلا إذا وجد فيه وسيلة مناسبة له تجعله يستقر فيها، ولهذا هيأ له أسباب التنقل من مكان لآخر ومن ذلك هذه الأرض الواسعة التي سخرها الله تبارك وتعالى له، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[(١)].

ولهذا شَكَّل النقل والمواصلات أحد وجهي الحياة البشرية، فهو بمثابة الحركة مقابل السكون، لذلك ظلت مسيرة تطور البشرية رهينة بابتكار الإنسان لوسائل جديدة تجعل حركته بين الأمكنة سهلة وأكثر سرعة[(٢)].

فما دام الإنسان كثير التنقل من مكان إلى أخر لأي سبب من الأسباب، فهو يحتاج إلى وسيلة مناسبة تساعده لهذه المهمة، فمن الطبيعي جدا أن يعتمد الإنسان للتنقل في البداية على نفسه، ويحمل أمتعته على ظهره، وذلك لعدة أسباب، لكن الله تبارك وتعالى هداه للاستعانة في ذلك بما سخره الله تبارك وتعالى له .

وكان الإنسان نفسه هو أول وسيلة للنقل البري حيث اعتمد على قدرته العضلية في التحرك على قدميه من نطاق لآخر مهما تباينت خصائص البيئة وخاصة فيما يتعلق بالسطح والمناخ، وكان الإنسان يحمل حمولته بنفسه، وما دام التنقل وحمل الأمتعة على هذه الحال فإن المسافة التي يقطعها أيضا كانت محدودة تتفق كل مع

---

(١) سورة الملك: آية رقم ١٥.

(٢) الجعماطي: النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصر الخلافة والطوائف، ص: ٥.

قدراته العضلية وطبيعة البيئة التي يتنقل فيها[١].

وبما أن السير على الأقدام للوصول إلى المواضع المقصودة هو المألوف عند أكثر الناس، بسبب فقرهم، وعدم تمكنهم من امتلاك دابة ركوب. ولقد كان أكثرهم يقطع مسافات طويلة مشيا على قدميه في ذهابه إلى قبيلته أو للتنقل من مكان إلى مكان، أما المتمكنون منهم فقد ركبوا الجمال في قطع المسافات البعيدة والأرضين الصحراوية، وركبوا الخيل والبغال والحمير، في الأرضين التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية[٢].

ولهذا سخر الله تبارك وتعالى للإنسان جميع ما في الأرض ليستخدمه في منافعه في الدنيا ومن ذلك الدواب، كوسيلة لتعينه على تنقله وحمل أمتعته، قال تبارك وتعالى ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾[٣].

وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على عباده أن هيأ لهم هذه الدواب لتحملهم وتحمل أمتعتهم، بل إن الله تبارك وتعالى سخر وسيلة أخرى للإنسان تساعده للتنقل من مكان لآخر غير هذا، وهي الفلك في البحر، قال سبحانه وتعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥ ﴾[٤].

هذه بعض وسائل النقل التي سخرها الله للإنسان وغيرها كثير، وقد اهتم

(١) محمد خميس: جغرافية النقل، ص:٩٩.

(٢) جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٥/٩.

(٣) النحل: آية رقم ٧-٨

(٤) الحج: آية رقم ٦٥.

الإنسان بها منذ فجر التاريخ، فكلٌ يمتلك منها حسب استطاعته، وبما يتناسب مع حاجته، فغالبا ما تكون الخيل مثلا لذوي اليسر والثراء، ومن دونهم يمتلك البغال، والحمير تكون غالبا للفقراء، فكل سخره الله تبارك وتعالى لعباده.

ولهذا تتعد أنواع وسائل النقل وإن كانت تتفق جميعها في أداء دور واحد وهو نقل البضائع والأشخاص والخدمات المختلفة، ولكل منها خصائصها التي تحدد أفضل أنواع السلع والخدمات التي تنقلها[1].

ولما قامت الدولة الإسلامية اهتمت بوسائل النقل، وجعلته من أولوياتها، وحثت الناس على اغتنائها، إضافة إلى تطوير ما يحتاج إلى تطوير من وسائل النقل والسفر من استصلاح الطرق وتهيئتها، وكذلك العناية بالدواب وغيرها، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم"[2]، فهذا فيه دليل على اغتناء الخيل، والتي هي من وسائل النقل الموجودة في صدر الإسلام، ولا شك أن غيرها كان له اهتمام كبير، على الأقل لم تقل الاعتناء بها من الخيل.

ومن هنا كان للعرب ميزة ملحوظة في مسألة النقل، فبينما استخدم البيزنطيون وغيرهم وسائل ثقيلة للنقل، استخدم العرب في نقلهم الخيل والجمال، وهي أكثر حيوانات جزيرة العرب نفعا للإنسان، فأما الجمل وهو أفضل حيوان أهلي عند العرب فلا تقطع البادية بغيره، وهو لقناعته وقوته واحتماله المشاق وصبره على العطش أياما لا يقوم مقامه حيوان في الركوب وحمل الأثقال، ومع هذا يقدر أن يأكل ما لا يقدر

---

(١) محمد خميس: جغرافية النقل، ص: ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب، الجهاد والسير، باب، الجهاد ماض مع البر والفاجر، ٤/٢٨، برقم ٢٨٥٢، ومسلم: كتاب الإمارة، باب، الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ١٤٩٣/٣، برقم ، ١٨٧٢.

حيوان عليه من الطعام[١].

وعموما فقد انتشر بين العرب في المشرق والمغرب على حد سواء معرفة جيدة بوظيفة كل نوع من دواب الركوب والحمل؛ إذ اعتبرت الخيل للرغبة والرهبة، والبراذن[٢] للدعة، والبغال للسفر البعيد وللأثقال، والإبل للتحمل وقطع المسافات البعيدة مع رفع الأثقال في الصحراء الشاسعة، والحمير للزينة وخفة المؤونة[٣].

بالإضافة إلى الاعتناء بدواب النقل اعتنوا أيضا بطرق النقل فهيئوها للمسافرين وزودوها بكل ما يحتاج إليه المسافر في سفره، من إصلاح وتأمين، وبناء مساكن واستراحات يرتاح فيها المسافرون، وغير ذلك من العناية.

وقد أولى معاوية رضي الله عنه وولاته هذا النظام عناية كبيرة من حيث الاعتناء بالطرق وخاصة طرق الحج، ووسائل التنقل، وتأمين الطرق من المفسدين وقطاع الطرق، بقدر المستطاع.

ولا شك أن من بين اهتمامه بوسائل النقل إنشاء البريد، فهو أول من أنشأ البريد في الإسلام[٤]، وذلك لسهولة التنقل بالرسائل الصادرة منه والواردة إليه، حيث إنه قسم الطرق إلى مراحل وجعل بعد كل مسافة رجالاً معهم خيول مضمرة، فإذا وصل حامل الرسالة إلى ذلك المكان وقد تعب وتعب فرسه أخذ الرسالة شخص آخر مستريح مع فرسه فيحملها إلى المكان الذي يليه وهكذا تصل الرسالة في أسرع وقت

---

(١) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١٧٩.

(٢) البراذن: جمع برذون ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال، من فصيلة الخيل، والأنثى برذونة، ويكنى الأخطل لخطل أذنيه وهو استرخاؤهما، بخلاف أذن الفرس العربي،(الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ١٧٣/١، عبد اللطيف عاشور، موسوعة الطيروالحيوان في الحديث النبوي، ص: ٧٧).

(٣) الجعماطي: النقل والمواصلات بالأندلس، ص: ١٤٩.

(٤) أبو هلال العسكري: الأوائل، ص: ٢٣٧.

ممكن، لأن الرسالة لم تتوقف وإنما يتوقف حامليها، وهذا لا شك أنه عمل عظيم سهل كثير من الأمور التي تحدث في الدولة وسرعة وصولها إلي الخليفة من غير تكلف ومن غير إرهاق لحاملي الرسالة.

هذا من وسائل النقل التي أحدثها معاوية في الدولة الإسلامية، ولا شك أن الأماكن التي تقف فيها الخيول وأصحابها أنها مهيأة بكل وسائل الحياة، من مياه، ومساكن، وغير ذلك مما كان يستفيد منه المسافرون غير أصحاب البريد، وهذا عمل كبير وتنظيم مميز.

ومما أُستحدث من وسائل النقل في عهد معاوية رضي الله عنه النقل المائي أو الأسطول، حيث إن المسلمين ركبوا الماء، والمواصلات المائية تنقسم إلى قسمين بحرية ونهرية وكل منهما متمم للآخر، وكانت البحار التي تمخر فيها مراكب المسلمين هي: البحر المتوسط، والبحر الأحمر، وخليج البصرة، والمحيط الهندي، وبحر العرب، أما الأنهار، فكان النيل، ودجلة، والفرات، وهي قليلة بالنسبة إلى اتساع الدولة الإسلامية وطول المواصلات البرية والبحرية[١].

وإنشاء الأسطول الإسلامي في عهد معاوية سَهَّل كثيراً من عملية التنقل بين الأماكن البعيدة، ربما لم يصلها العرب من قبل، وهذا بدوره أثرى التجارة في الدولة الإسلامية وأضاف في وسائل النقل التي كانت معهودة في السابق.

بالإضافة إلى هذا أن طرق النقل من حيث الأمن كان للدولة اهتمام كبير في هذا الجانب فكانوا يأخذون على يد قطاع الطرق، فهذا زياد بن أبيه مثلا في مشرق الدولة بعد تأمين المدن الداخلية في العراق يأخذ على عاتقه تأمين الطرق التجارية التي يسير بها الناس، فيقوم بحراستها، وقد ذكر عن نفسه أنه قال :" لو ضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه"[٢].

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٧٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٢٣.

ولا شك أن غيره من الولاة لم يكونوا يقصرون في حماية القوافل على الأقل التي تمر بمناطقهم ، وهذا من واجب الدولة، بل هو واجب شرعي على أن يأخذ الإمام بيد السفيه وكل من تسول له نفسه على أن يعتدي على أموال الناس وأعراضهم حيث إن الشريعة الإسلامية أوقعت فيه أقسى العقوبات.

قال الله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[(١)].

وفي نطاق سياسة الدولة تجاه قطاع النقل وما يتبعه، فإن كتب الحكم ونصائح الملوك تزخر بفيض من القواعد والأعراف والتوجيهات عن الدور الذي يتعين على أصحاب السلطان، من ملوك وأمراء وأرباب الدواوين، القيام بمهام قطاع النقل من أوجب ما تجب المحافظة عليه لأن في ذلك حفظ سكك المسلمين وكف التعدي عليها، إذ ليس لأحد أن يتزيد على طريق المسلمين والمواضع التي يرتفقون بها شيئا؛ ناهيك عن سد الثغور وأمن السبل برا وبحرا، وإقامة المرافق الموقوفة على المسافرين من التجار وأبناء السبيل[(٢)].

وعلى هذا كانت بعض أنظمة وسائل النقل التي وضعها معاوية رضي الله عنه، أو ولاته، منارا سار عليه من جاء بعدهم وطوّروه.

❁❁❁

---

(١) المائدة: آية رقم ٣٣.

(٢) الجعماطي: النقل والمواصلات، ص: ٢٧٢-٢٧٣.

الفصل الثالث

النظام العسكري في خلافة معاوية رضي الله عنه وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: الرؤية العسكرية لمعاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: نظام الجيش.

المبحث الثالث: أهم معدات الجيش.

المبحث الربع: أهم قادة الجيش.

المبحث الخامس: الأسطول البحري.

المبحث الأول: الرؤية العسكرية لمعاوية رضي الله عنه.

إن الله تبارك وتعالى بعث نبيه محمداً صلى الله عيه وسلم بهذا الدين العظيم، وهو الدين الإسلامي، إلى الناس كافة، وهذه من خصائصه عليه الصلاة والسلام، إذ إن كل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة، وبُعِث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]. وأمره الله تبارك وتعالى بتبليغ هذه الرسالة التي بُعث بها إلى جميع الناس حتى يسقط الحجة، على الناس، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]، وتنفيذاً لأمر الله تبارك وتعالى، وتوكلا عليه قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته، لقومه، ومن ثَمّ أَرسل إلى ملوك الدول المجاورة رسائل يدعوهم بها إلى الإسلام[3]، ويبين لهم ما بعثه الله به من الهدى قائلا: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

إلا أن الكفار أبوا هذه الدعوة، بل أنهم وقفوا ضدها وحاربوها، وحاربوا أهلها من كل حدب وصوب، وتكالبوا عليها ليصدوا الناس عن سبيل الله والهدى، مما

---

(١) سبأ: آية رقم، ٢٨.

(٢) المائدة: آية رقم ٦٧.

(٣) ينظر في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، صحيح البخاري: ٤/٤٥، ومسلم: ١٣٩٣/٣، الطبري: التاريخ، ٦٤٤/٢،

(٤) آل عمران: آية رقم ٦٤.

اضطر المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاهدوا في سبيل الله، وفي سبيل نشر هذا الدين بأمر الله تبارك وتعالى لهم قال سبحانه:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[1].

ولهذا نجد أن نشر الإسلام، هو غاية المسلمين الأولى،وهذا لم يكن يتطلب منهم بالضرورة أعمالا حربية، فالدين إيمان يَقِرُّ في القلوب، والقلوب لا يستطيع أحد أن يفرض عليها شيئا بالقوة، وكل ما كان يطلبه المسلمون أن يُفسح الناس لهم طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، بدون عوائق أو موانع؛ ولذلك كانت سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم قائمة على تأمين شبه الجزيرة العربية من أي عُدوان خارجي، ثم دعوة الناس خارج الجزيرة إلى الإسلام بالحُسْنى... ولكن الدول صاحبة القوة، والسلطان، والمهيمنة على حدود شبه الجزيرة العربية – الفرس والروم– لم يعطوا الإسلام هذه الفرصة، بل تصدت له وقاومته فكان لا بد من الصدام[2].

ومن متطلبات هذا الصدام، ومادام الجهاد فرض على المسلمين، والحرب أعلنت عليهم كان لابد أن يجهزوا له بكل ما أوتوا من قوة، وبقدر الاستطاعة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[3].

وعلى هذا الأساس بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يجهز الجيوش ويبعث السرايا، ويخرج للغزوات ضد أعداء الدولة، ويبشر أصحابه بأن النصر لهذا الدين، وأن النصر حليفهم ما داموا نصروا الله وأخلصوا العمل،قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن

---

(١) الحج: آية رقم ٣٩.

(٢) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، ص: ١٩١.

(٣) الأنفال: آية رقم ٦٠.

تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]. وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يفتحون البلاد، وينشرون دين الله سبحانه وتعالى.

وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجند فئة مخصوصة، وأنشأ لهم "ديوان الجند" للإشراف عليهم بتقييد أسمائهم، وأوصافهم ومقدار أرزاقهم، وإحصاء أعمالهم ، وكان القتال في ذلك العهد قائما على العاطفة الدينية، والرغبة في نشر الإسلام في كثير من الأقطار[2].

فوجه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم الجيوش الإسلامية للفتح، وعلى الخطط التي رسمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتشرت الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، في كل النواحي، وهَمُّهم في ذلك تبليغ دين الله إلى الناس، وخاصة على مناطق دولتي فارس والروم، حيث توغلوا في بلادهم فاتحين، وقد أظهرت جيوش المسلمين في معاركهم معهم من الشجاعة، والبسالة، والصبر، وفنون القتال، والتنظيم ما أبهر الأعداء[3].

ومع هذا الامتداد الذي بلغته الفتوحات الإسلامية، في عهد الخلفاء الراشدين فإن هذا لم يصل بها إلى حدود ثابتة، وكان على من يأتي بعدهم عبءٌ على أن يكمل ما بدؤوه، ويحافظ على ما أحرزوه من انتصارات.

ولما صار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خليفة للمسلمين، وضع لنفسه رؤية إستراتيجية وعسكرية، لمواصلة الفتح الإسلامي واستئناف الجهاد، بعد توقف دام قرابة خمس سنين، بسبب الأحداث الداخلية في الدولة الإسلامية.

فكان عليه بعد أن تسلم الحكم ووطد الأمن، واجب الجهاد في سبيل الله، فأحس بالمسؤولية، في هذا الباب وكيف لا وهو كان ضمن طلائع الفاتحين التي

---

(١) محمد: آية رقم ٧.

(٢) حسن: النظم الإسلامية، ص: ١٦٠.

(٣) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:٧٢.

توجهت لفتح بلاد الشام، فكان له دور كبير في فتح كثير من المدن سواء وهو جندياً أو أميرا وقائدا حيث تولى المهمة بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه في قيادة جيوش بلاد الشام، "فكان من سياسته وهو والٍ في الشام أن يُسيِّر الفتوح، وينشر الإسلام، ويوسع رقعته، واستمر في ذلك بعد أن أصبح خليفة"(١) .

ومن هذا المنطلق وتنفيذا لما أمر الله به جل وعلا من تبليغ رسالته إلى الأمم والشعوب وعملا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخصوص وجريا على سياسة الخلفاء الراشدين، أخذ معاوية بتوجيه جند الفتح الإسلامي، على جبهات عديدة(٢).

وكان انطلاق الجيوش على عدة جبهات في عهده:

- الجبهة الغربية: حيث قبائل البربر، وشمال أفريقيا وكان لها ارتباط بالروم وذلك لوجود مستعمرات رومية على سواحل بلاد المغرب كان لها أثرٌ كبير في عرقلة حركة الفتوحات الإسلامية في المنطقة.
- الجبهة الشرقية: حيث بلاد الترك سجستان، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وهي من أوائل البلاد التي انتفضت على المسلمين بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه.
- جبهة الروم: وهي التي كان يهتم بها معاوية أكثر من غيرها، لقربها من مقر الخلافة ومجاورتهم، ونظرا لقوتهم، فضلا عن امتلاكهم لجيوش برية وأساطيل بحرية على درجة كبيرة من التنظيم والخبرة (٣).

فكان عليه رضي الله عنه أن يتصدى لهذه الجبهات، ويرسل لها جيوشا إسلامية

---

(١) العش: الدولة الأموية، ص: ١٥٦.

(٢) الجبوري: دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي، ص: ٨٥.

(٣) ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة،ص: ٣٩٤، العش: الدولة الأموية، ص:١٥٦-١٥٧، الغيث: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص:٣١٣-٣١٤.

لفتحها ومواصلة الفتوحات، وكانت له في توجيه الجيوش سياسة حكيمة تختلف باختلاف الجهة التي يوجه إليها الفاتحين، وهي سياسة تصدر عن خبرة في مجال الفتوحات التي خاضها مع الأعداء في عهد الخلفاء الراشدين، بل إنه زاد عليها مما عَلَّمته الحياة في هذا الباب.

فكانت سياسته في مواجهة الروم وهي الجبهة القوية التي يمكن أن يهتم بها، كانت سياسة تقوم على تشديد الخناق عليهم بشتى الطرق، وعدم إعطائهم فرصة لمحاربة الدولة الإسلامية على الأقل، أو حتى التفكير في استعادة أراضيهم التي استولى عليها المسلمون، ولهذا حتى أنه كان من آخر وصاياه رضي الله عنه أنه قال: " شُدُّوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم"(١)، وهذا ما عمل به في خلافته، وحظي هذا الجانب وهو جانب الروم باهتمام معاوية لسببين رئيسيين:-

الأول: قرب الدولة البيزنطية من الدولة الإسلامية، ومركز الخلافة وعاصمتها دمشق.

الثاني: أن خطر هذه الدولة كان لا يزال قائما، وتهديدها لحدود المسلمين لا يزال مستمرا، كما أن معاوية بحكم طول عمله وإقامته في الشام – قبل أن يلي الخلافة- اكتسب خبرة كبيرة في التعامل مع البيزنطيين، وكان على وعي تام بأهدافهم ومرامي سياساتهم فركز معظم جهده للتصدي لهم، وإيقافهم عند حدهم، وخاصة في ميدان البحر(٢). ولهذا كان يرسل الجيوش عليهم برا، وبحرا، صيفا، وشتاءاً.

أما البحر: فكان الأسطول في زمنه بلغ ذروته من القوة، فصار يسيرها في البحر فترجع غانمة، وافتتح بها عدة جهات من جزر الروم في البحر الأبيض المتوسط، ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم، وكانوا أشد شيء على الروم يعترضونهم في البحر ويأخذون سُفنهم، وكان معاوية يكثر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم.

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ، ص:٢٣٠.

(٢) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ١١٣.

وأما في البر: فرتب معاوية الشواتي جمع شاتية وهو الجيش الذي يغزوا في الشتاء، والصوائف، جمع صافية وهو الجيش الذي يغزوا في الصيف فكانت الغزوات متتابعة والثغور محفوظة من العدوان(١).

ولهذا نجد أن معاوية أولى حروب الروم، والحروب البحرية منها بخاصة عناية فائقة، وكان عمله سلسلة رائعة من الهجمات البحرية حتى لا يكاد يخلو عام من الأعوام عند الطبري من الحديث عن غزوات البحر(٢).

بل إنه حاول فتح عاصمة الروم القسطنطينية، وأرسل إليها جيوشا، برا وبحرا وحاصرها. هذا الجيش وإن لم يحقق ما أراد من فتح العاصمة، إلا أنه كان تهديداً للدولة العظمى، حيث إن المسلمين لم يكتفوا بالدفاع فقط بل إنهم قادرون على التوغل في بلاد الروم ومصممون في ذلك، وإن كان ذلك عن طريق فتح القسطنطينية عاصمتها.

والواقع أن سياسات التعامل الخارجي لمعاوية رضي الله عنه لم تكن إلا استمرارا ودعما لسياسته كوَالٍ للشام، والذي تغير كان فقط امتلاكه كخليفة قدرة القول الفصل في إمضاء السياسة التي يرتأى صوابها، وهكذا ما أن تولى أمر المسلمين وما أن أمن الجبهة الداخلية حتى وضع سياسته الهجومية موضع التنفيذ برا وبحرا، وهي السياسة التي بلغت ذروتها بمحاصرة القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية(٣).

أما الجبهة الغربية وهي ليست أقل شأنا من جبهة الروم، وخاصة أنهم كانوا يستعمرون بعض المناطق هناك وكان لهم تواجد مستمر فيها.

ولهذا كانت جبهة شمال أفريقيا من أُولى الجبهات التي وجه إليها معاوية اهتمامه،

---

(١) الخضيري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، ص: ٤٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٧٢/٥، ١٨١، ٢١٢،شكري: حركة الفتح الإسلامي، ص: ١٩٠.

(٣) نادية: الدولة الأموية دولة الفتوحات، ص: ١٨.

لأنها تُتَاخم حدود مصر الغربية من ناحية، ومن ناحية ثانية فهي تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية التي صمم معاوية على تضييق الخناق عليها، وعدم إعطائها فرصة لالتقاط أنفاسها، ففي الوقت الذي واصل فيه ضغطه عليها في الشرق، وزحفه على جزرها في البحر المتوسط، تمهيدا للوصول إلى عاصمتها القسطنطينية، نراه قد قرر أن يطوقها من الجنوب، من شواطئ شمال أفريقيا التي كانت تعتبرها من أملاكها[1].

ولهذا وجّه إليها معاوية رضي الله عنه بعض القواد الأفذاذ الذين كان لهم دور كبير في فتح تلك المناطق التي كانت تعيش فيها شعوب البربر، والذين استولوا عليهم البيزنطيين، ففتح هؤلاء القواد تلك البلاد ونشروا فيها الدعوة الإسلامية، بل إنهم ضموا منهم قوادا في جيوشهم كان لهم دور بارز في امتداد الفتح الإسلامي إلى الغرب والأندلس.

أما عن الجبهة الشرقية فإن معاوية كانت له رؤية خاصة تجاهها تختلف قليلا عما كان يعامل فيها الروم في البر والبحر، وذلك أن الفتوحات الإسلامية قبله في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من الجهة الشرقية قد وصلت إلى عُمْق الأراضي الفارسية حيث أُسقطت الدولة الفارسية وتم الاستيلاء على عاصمتها المدائن.

وفي عهد معاوية رضي الله عنه كانت الفتوحات في هذه الجهة قليلة مقارنة بما كان في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أو مقارنة بما أحرزه المسلمون في عهده في جبهة الروم سواء عبر البحر من الاستيلاء على الجزر، أو على البر من الإنسياح في بلاد المغرب أو شمال أفريقا.

ومعنى هذا: أن خطر الهجوم العسكري من الفرس قد زال، ولكن الأمر كان يتطلب تثبيت الفتوحات والتصدي لحركات التمرد التي قد تنبعث هنا وهناك؛ نتيجة الشعور القومي عند بعض حكام المقاطعات الفارسية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان على معاوية أن يعمل على نشر الإسلام بين الفرس، حتى يدركوا

---

(١) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ٢٣٣.

تعاليمه الروحية والمادية، وتنفيذاً لهذه السياسة فقد عمد معاوية على إسكان عشرات الألوف من الأسر العربية في هذه المناطق وبصفة خاصة في خراسان، حتى يكون اختلاط العرب بالفرس سبيلا لانتشار الإسلام، واللغة، والثقافة العربية خصوصا وأن هؤلاء العرب من بقايا الصحابة والتابعين، ومع هذا لم يغفل معاوية حراسة الحدود، فكانت الغزوات تنطلق إلى ثغر السند، وتلامس بلاد ما وراء النهر[(١)][(٢)].

---

(١) بلاد ماوراء النهر: يراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كانمن شرقيه يقال له بلاد ما وراء النهر، وما كان من غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم، وهي تشمل الأراضي المحيطة بنهري سيحون وجيحون، وتشمل الآن جمهوريات تركستان، وأوزبكستان، وفرغيزية، وتاجكستان، (الحموي: معجم البلدان،٥/٤٥، وخصباك: علم الجغرافية عند العرب، ص: ٥٨).

(٢) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ١١٣

المبحث الثاني: نظام الجيش.

الجيش هو العنصر الأساسي لأي دولة بل ربما هو العمدة، إذ هو عدتها عند اللقاء، وحصنها وحاميها من الاعتداء، بقوته تقوى الدولة ويمتد سلطانها، وبضعفه تضعف، فكان الاهتمام به من أولويات الحكام، وتنظيمه مما يعطيه قوة وهيبة.

وإذا نظرنا إلى الناس في أوائل أدوار تَمَدُّنهم، قبائل مختلفة جندها رجالها، إذا احتاجت إلى القتال، اجتمع الرجال من كل قبيلة بلا نظام ولا ترتيب، وينال كل واحد من الغنيمة ما يستطيع الحصول عليه بنسبة شجاعته وقوة بطشه.

وبدأت الدول مثل الرومان، والفرس، واليونان، وغيرها تأخذ بمبدأ تنظيم الجيش وترتيبه على أنها كانت تتفاوت في ذلك حسب الخبرة والجهد والاستعداد.

وأما العرب لم يُعرف في جزيرتهم ترتيب الجيوش المنظمة كما كان عند الأمم الأخرى، بل كان كل شاب قادر على حمل السلاح يفزع مع قبيلته ويسير للغزو، حاملا سلاحه التقليدي من سيف، وتُرْس، ورمح، وقوس، ولم يَعرف تنظيم الجيوش منهم إلا من كان باحتكاك دائم مع الدول المجاورة كدولتي المناذرة، والغساسنة الذين كانت لهم فرق خاصة للقتال(١).

ومن المعلوم أن العرب كانوا مقسمين إلى عرب البادية، وعرب الممالك والقرى، فعرب البادية هم سكان البادية الذين ألفوا الرحلة، أما عرب الممالك والقرى فهم المتحضرون، وقد عرفت الحروب بينهم في هذه الآونة وسميت بأيام العرب، وكانت تسمى بأيام البادية، وأيام الممالك(٢).

وهكذا لم يكن لهم جيش منظم مثل ما كان للدول التي تجاورهم كالفرس والروم ولذلك نجد أنهم لم يُذكروا في القوة والحروب مثل ما كان يُذكر هؤلاء، حيث لم

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٢٩.

(٢) بهاء الدين: العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص:٤٦.

تجمعهم قيادة تنظم شؤونهم، بل إنهم كلما دعت الحاجة إلى أن يقاتلوا خرج كل من يستطيع حمل السلاح، وبعد انتهاء المهمة يعود كل إلى عمله الطبيعي وهكذا.

فلما جاء الإسلام ألَّف بين قلوب العرب، ووحد صفوفهم على الدين يداً واحدة، وجمع كلمتهم، وصاروا جند الإسلام تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم. ولما أُمر المسلمون بالجهاد، أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لقوافل قريش، ثم قاموا بالحروب ضد المشركين فصار يقود بعض المواقع بنفسه، ويرتب رجاله قبيل القتال، ويضع الكمين ويأمر بعض أفراد الجيش بالتريث في الهجوم ليفاجئوا العدو ونبغ في عهده كثير من القادة العرب الذين كان لهم دور كبير في حركة الفتح الإسلامي(١).

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم تنظيمه العسكري عند اجتماعه سراً بأتباعه ليلة العقبة الثانية عندما اختار منهم اثني عشر نقيبا ليكونوا رُسُله إلى الناس، ويبلغوا إليهم تعليماته ويجعلهم يشرفون على العرفاء الذين كان كل منهم يشرف على عشرة من المسلمين ويتصل بهم دائما(٢).

كان أول جنود المسلمين هم المهاجرون الذين هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وبعد هجرته عليه الصلاة والسلام اتحد المهاجرون والأنصار وكونوا جميعا جيشا موحداً بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان عدد جيش المسلمين في معركة بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار، وكان معهم فَرَسان فقط وسبعون بعيرا، وكانت أسلحتهم يسيرة جدا(٣).

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص:١٢٩.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١١٨.

(٣) ابن هشام: السيرة، ٦٠٦/١، الطبري: تاريخ الرسل الملوك، ٤٣٢/٢، الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١١٨، وبهاء الدين: العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص: ٤٦-٤٧.

وعلى هذا أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم النظم العسكرية وترتيب الجيش، ووضع الخطط الحربية، وأرسى نظام الاستشارة في الحرب، والاستفادة من خبرات الآخرين مادامت تخدم المصالح العامة، مثل استشارته في بدر في موقع النزول، أو أخذ الرأي في ملاقاة العدو، أو استفادته من خبرة سلمان الفارسي رضي الله عنه في اقتراحه بحفر الخندق يوم الأحزاب.

واتبع الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم السياسة العسكرية التي سار عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأضافوا إليها من التطورات والتنظيمات ما رأوه لازما للفترة التي تلت عصر النبوة، وخاصة أن الفتوحات الإسلامية بدأت تأخذ طريقها في سرعة كبيرة تطلبت من القوة البشرية والمادية ما ستطاع خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوفروه لها، بالإضافة إلى التخطيط العسكري السليم والمتجدد وفقا للظروف والميادين التي كانت تحارب فيها أجناد المسلمين(١).

وكان عمر بن الخطاب أول من جعل الجند فئة مخصوصة، فأنشأ "ديوان الجند" للإشراف عليهم، بتقييد أسمائهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم وإحصاء أعمالهم(٢).

إضافة إلى ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابتكر للجيش الإسلامي نُظماً أُخرى لم يألفها من قبل، كان الهدف منها تنظيمه والنهوض به كأنظمة الجيوش المعاصرة له أو أحسن منه، من ذلك أنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلا "إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس وعرف عليهم، وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا، وقدرهم وهم شهود، ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية"(٣).

وأيضا مما أضافه عمر في تطوير الجند، إقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة

---

(١) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص:٢٤٩.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام، ٤٧٧/١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،٤٨٨/٣،الدقدوقي:الجندية في الدولة الأموية، ص: ١٢٠.

الجند أثناء الطريق، بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل، ولا يرتاحون إلا في أكواخ مصنوعة من سعف النخيل، ومن ثم بُنِيت العواصم وأقيمت الحاميات في أماكن عدة لصد هجمات الأعداء المفاجئة[1].

وهكذا استمر تطوير الجيش وتنظيمه في عهد الخلفاء الراشدين، إلى أن جاء عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فشهد تنظيم الجيش في عهده طفرة هائلة من التنظيم، حيث أضاف إلى ما كان عليه الجيش أيام الخلفاء، أشياء أخرى، من التنظيم والترتيب والتطوير، بحيث استفاد من الدول المجاورة، وأيضا ما اكتسبه من خبرة في هذا المجال، حيث إن قيادته للجيوش في عملية الفتوح أيام الخلفاء الراشدين، تعلم منها أشياء كثيرة وأضاف إليها في أيام خلافته للأمة.

وورثت الدولة الإسلامية في عهد معاوية النظم العسكرية التي وضعها المسلمون في عهد النبوة والخلافة الراشدة، وأضاف إليها ما ستطاع استيعابه، وما تأثر به من النظم العسكرية البيزنطية التي عاصرها في بلاد الشام، مما يتلاءم مع النظم العسكرية الإسلامية[2].

وطور الخليفة الأموي معاوية نظام الجيش عما كان عليه في زمن الخلفاء الراشدين، واقتبس من الأنظمة البيزنطية وكانت الفرقة مؤلفة من خمسة أجزاء: القلب، والميمنة، والميسرة، والطليعة، والساق[3].

استخدم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعض آلات الحرب المستخدمة عند الرومان كالمنجنيق والعرادات، وأما ما يخص العناصر المشتركة في الحرب فقد أدخل عناصر غير عربية، كما أدخل بعض عناصر غير العربية[4] لكي يستفيد من

---

(١) حسن: تاريخ الإسلام، ١/٤٧٨.

(٢) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص: ٢٥٢.

(٣) بهاء الدين: العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص: ٤٨.

(٤) كالروم والفرس.

خبرتهم وخاصة في قسم البحرية، وكان هو نفسه الذي يختار قائد جيشه، وبحريته، وكان الجيش يتألف من صنفين: الفرسان والمشاة، وكان سلاح الفرسان الدروع والسيوف، والخوذة الموضوعة من الصلب والمحلاة بريش النور، بينما يتسلح المشاة بالدروع والسيوف والسهام، وخلاصة القول أن الجيش الإسلامي في عهد معاوية بنوعيه البري والبحري كان يتمتع بقوة هائلة، فاستطاع أن يتحدى الروم، ويمتد نفوذه إلى أقاصي الحدود[١].

أما عن الرُّتب العسكرية فإن العرب كانوا قليلي الاستخدام لها، بل إنهم إذا أرادوا القتال اتفقوا على أن يتولى أمرهم زعيم قبيلتهم، ويلتفون حوله ويقاتلون كل حسب ما يراه مناسبا له في قتال عدوه.

وإذا احتاج الأمير إلى من ينوب عنه على فصيلة أرسلها إلى غزو أو نحوه ولى رجلا يسمونه المنكب[٢]، وتحت المنكب العريف، والمنكب يكون على خمسة عُرفاء، والعريف يكون على عدد من النفر، وظل العرب على هذا في أوائل الإسلام على نحو ما كانوا عليه في الجاهلية، فقسموا الجند إلى عرفاء، وتحت كل عريف عشرة رجال، وسلموا القيادة إلى ناس من أهل السابقة، وكذلك كان نظامهم في أثناء الفتوح، وقلما حدث تغيير في رتب الجند أيام بني أمية[٣].

وهناك رُتَبٌ غير هذه عُرِفت في الدولة الإسلامية وبين جنودها وهذا كان من النظم التي عرفتها الدولة لترتيب جنودها في المعارك التي كانت تخوضها مع أعدائها، من هذه الرتب:-

أمير الجيش : وكان تحت أمرته حوالي عشرة آلاف مقاتل فما فوق.

أمير التعبئة: وهذا كان تحت إمرته خمسة آلاف تقريبا.

---

(١) بهاء الدين: العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص: ٤٨.

(٢) المنكب: رأس العرفاء، ويقال المنكب عون العريف، (الحميري: ٦٧٤٣/١٠).

(٣) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١٢٠.

أمير الكردوس: وهذا كان تحت إمرته ألف مقاتل.

القائد: وهذا كان تحته مئة مقاتل.

الخليفة: وكان تحته حوالي خمسين مقاتلا تقريبا.

العريف: وكان تحته عشرة مقاتلين[1].

هذه بعض الرتب التي كانت موجودة في عصر صدر الإسلام، حيث إن هذه الرتب قلَّ أن يحدث فيها تغير كل حسبما يراه مناسبا في عصره، وحسبما يستفيده من عدوه إن رأى أن هذا ينفع المسلمين في تقدمهم في الفتوح.

وكان يرافق الجيش الإسلامي إضافة إلى ما سبق من القواد، الرائد: وهو الذي يرتاد المواقع الموافقة لنزول الجيش، وصاحب الأقباض وهو الذي تنتهي إليه حفظ الغنائم وقسمة الفيء، والوازع الذي يتقدم الصف فيصلحه، والسعاة على الهجن، والفارص وهو المنوط به جمع الراغبين في الجندية والفرض لهم في ديوان العطاء، والعارض فهو عامل آخر يناط به عرض الجند للكشف عن لياقتهم والتفتيش عن أسلحتهم[2].

ومن نظام الجيش الإسلامي الذي استحدث أيام معاوية رضي الله عنه، الجيش البحري والقتال في البحر، وذلك أن المسلمين ما كانوا يركبوا البحر للقتال مع أعدائهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأيام الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بل إنه كانت هناك معارضة شديدة لركوب البحر من قِبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك عندما استأذنه بعض القواد في ذلك.

وأول من تعامل مع البحر هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما منذ تولي

---

(١) ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤٤٦/٩، ابن خلدون: التاريخ، ٣٧٣/٣، الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١٢٢.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ١٢٢، وذكر أيضا غير هم مثل الداعية، والقاضي، والترجمان، والكاتب، والقاص.

الأمر في بلاد الشام، فقد اتخذ خطوات إيجابية لتسليح الثغور وتحصين المدن الساحلية وتزويدها بالقوات المحاربة، واستعار من البيزنطيين نظاما عُرف بالرباط، ويقصد به الأماكن التي تتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض العدو،وطَوَّر معاوية هذا النظام فأعد الرباط لتكون حصونا يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لإغارة الأساطيل المعادية،وأصبح الحصن يضم حجرات للجند ومساكن لهم، ومخازن للأسلحة والمؤن، وبُرجاً للمراقبة، ثم أصبح بعد ذلك قاعدة للهجوم وشن الغارات[1].

ولا شك أن ركوب البحر ليس بالأمر الهين فهو يحتاج إلى استعدادات هائلة من تعلم السباحة، وقيادة السفن، والقتال فيها، وغير ذلك، وأن معاوية لو لم يبذل في ذلك جهوداً مضنية، وأدرك استعداد جنده التام لخوض هذه التجربة؛ لما أقدم على هذه المهمة الصعبة التي سيكون لها دور في الاستيلاء على بعض الجزر ونشر الدعوة الإسلامية فيما وراء البحار.

بعد بناء الرباط وهي أما كن تجمع الجيوش، والقلاع، كان من النظم التي اتخذها معاوية؛ ومن السياسة الحربية للتعامل مع البيزنطيين، أنه شجع الناس، والمقاتلين بصفة خاصة بالنزوح إلى المناطق الساحلية، وأمر بمنح كل راغب في الإقامة بإقطاعات من الأرض يستغلها ويتمتع بخيراتها، فترتب على ذلك زيادة سكان السواحل، ومما ساعد على طمأنينة السكان أن معاوية أعد جيشا ثانيا للدفاع عنها إلى جانب قوات الرباط[2].

ومن نظم الجيوش في صدر الإسلام، الرايات وهي من شعار الحروب والغزوات منذ نشأت الدول، واتخذت الرايات والألوية في الجيوش الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، ص: ٤٢١-٤٢٢.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:٢٠٩.

وكان لواء الرسول صلى الله عليه وسلم أبيض اللون، وهو نفس اللواء الذي احتفظ به الأمويون[1]، وكان لحمل اللواء في الحروب أهمية كبرى لمعرفة الجيوش مواطنهم وأماكن تحركهم، وتواجد قائدهم.

---

(١) نفس المرجع: ص: ١٧٣.

المبحث الثالث: أهم مُعدات الجيش.

من شروط خوض غمار الحروب الإعداد لها بكل ما يملك الإنسان وما يستطيعه من أسلحة، وعتاد، ومؤن، وهذا ما أمر الله تبارك وتعالى به عباده المؤمنين عند ما يعملوا على ملاقاة الأعداء، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]. وعلى هذا كان المسلمون يستعدون للقتال بكل ما أوتوا من قوة، من أسلحة القتال، ومعداته، ولم يكن لهم كبير قوة وعتاد أكثر مما يملكه أعدائهم، لكن قوة الإيمان، والعقيدة، بالإضافة إلى ما كان متوفر لديهم من الأسلحة المعتادة التي كانوا يعرفونها في الجاهلية، ولكن بعد مرور فترة من الزمن وتكنهم من الانتصار على عدوهم، بالإضافة إلى امتداد الفتوحات شرقا وغربا؛ اكتسبوا أشياء كثيرة من معدات الحرب التي كان لها دور كبير في الفتوحات الإسلامية.

وقد قطعت هذه المعدات الحربية شوطا كبيرا في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفي كل مرة يستفيد المسلمون من أعدائهم، ويزيدوا عليه من خبراتهم، حتى بلغت هذه المعدات في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مستوى عال مما كانت عليه من قبل.

وكانت الأسلحة المستخدمة تنقسم إلى أقسام منها أسلحة القتال، وأسلحة حصار، وأسلحة وقاية، وغيرها، وفيما يلي تفصيلها:-

أولا: أسلحة القتال.

السيف: هو السلاح الأول في المعركة وهو أهم سلاح عند العرب وأشهرها

---

(١) الأنفال: آية رقم ٦٠.

وأكثرها استخداما وأعظمها ذكرا واسما وصفة، وكان المسلمون، والعرب عموما يعشقون السيف ويحبونه، حتى إنهم أطلقوا عليه أسماء متعددة(١)، بلغت إلى مائة اسم(٢).

وهي أيضا أنواع كانوا يستجلبونها من الخارج، وأشهرها: السيوف اليمانية، والهندية، والسليمانية، والخراسانية، والدمشقية، وكانت سيوف البيزنطيين أمتن منها، ولهذا كان العرب إذا أصابوا سيفا قاطعا تناقلوا خبره وتوارثوه(٣).

وهو آخر الأسلحة استعمالا في المعركة بعد القوس والرمح، وذلك أن القتال يكون أول الأمر بالسهام عن بعد، ثم تطاعنا بالرماح عند المبارزة واقتراب الصفوف ثم تصافحا بالسيوف عند الاختلاط(٤).

وللسيف فضيلة عن غيره من الأسلحة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"(٥)، وكان السيف السلاح الأول للمسلمين في جهادهم ضد أعدائهم، ولهذا كان الاهتمام به أكثر من غيره.

وكانوا لا يجعلون الزينة في السيف امتثالا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التصوير والتمثيل، فلما اتسعت الفتوح صاروا يقلدون الفرس والروم في تحلية سيوفهم وإغمادها وحمائلها، أما عن طريقة حمل السيف، فقد جرت العادة المسلمين بتعليقه

---

(١) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٢.

(٢) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٧١/٦، وما بعدها، وذكر من أسمائه: إبريق، أذوذ، إصليت، أغلف، أنيث، بتار، باتر، حسام، صمصام، وغيرها.

(٣) زيدان: تاريخ التمدن، ١٨٥/١، الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٤٧.

(٤) شيت خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، ص:١٥٧.

(٥) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير: الجنة تحت بارقة السيوف، برقم ٢٨١٨، ٢٢/٤، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، برقم ١٧٤٢، ١٣٦٢/٣.

في أكتافهم وعواتقهم[1].

الرُّمح: من الأسلحة التي كانت عند المسلمين والتي كانت مستخدمة في الجاهلية ويُعْمَل عادة من أغصان الأشجار الصلبة[2]، وأحيانا كانوا يأخذونه من القصب الهندي المجوف بعد تسوية عقده بالسكين وتركيب نصل من حديد في رأسه[3]. وهو سلاح قديم، شاع استعماله عند قدماء المصريين والشعوب القديمة، وكان أكثر شيوعا عند الأمم التي كانت تسكن الصحراء ومنهم العرب، فهو عماد العربي في صحرائه الواسعة، ينشر عليه ثوبه فيستظل به إذا ألفحه الهجير، ويصيد به الوحش إذا جاع، ويهش به أوراق الشجر على غنمه، ويدفع به عدوان المعتدين، يتخذه الفقير من فروع الشجر، والغني من نادر الخشب وكرائم العيدان كالآبنوس[4] وألباب الغصون الكريمة[5].

وكان أكثر استخدام الرمح على الخيل، ولكنهم لم يكونوا يأمنون له خوف انكساره، ولهذا كانوا يقولون عندما يُسألون عن الرُّمح؟ "أخوك وربما خانك فانقصف"[6] وكانت أسنة الرماح عندهم تختلف شكلا، بين المشعب، والعريض، والرفيع والمستوي، والمموج، وغير ذلك[7].

---

(١) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٤.

(٢) مثل النبع، والشوحط، وغيرها.

(٣) شيت خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، ص: ١٥٥.

(٤) الآبنوس شجر أسود ينبت في الحبشة والهند خشبه صلب، وقيل هو الساسم،(ابن منظور: لسان العرب، ٢٨٦/١٢، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: ١١٢٠، إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ١/١).

(٥) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٤.

(٦)النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٧٠/٦.

(٧) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢١٧/٦، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ١٨٥/١-١٨٦.

وكان للرماح أطوال مختلفة تتراوح بين الأربع أذرع، والخمسة، والعشرة، وما فوقها، والرماح الطوال غالبا خاصة بالفرسان حيث تساعدهم الخيل على حمله، وأما النيازك أو المطارد وهي الرماح القصيرة فقد يستعملها الراجل والفارس، وطريقة حمل الرمح، كانت في الغالب الاعتقال، وهو خاص بالفرسان وهو جعل الرمح بين الركاب والساق، أما قريش فكانو يحملون رماحهم على عواتقهم(١)، وكان للرمح أنواع وأسماء، وأوصاف غالباً ما تنسب إلى صناعها(٢).

القوس: وهو من الأسلحة الهجومية في الحروب الإسلامية، فقد كان العرب لهم به مهارة عظمى أكثر من غيره، وذلك لحدة أبصارهم نتيجة سكنى البادية، ولأنهم أحوج إليها من سائر الأسلحة، فقد كانوا يستخدمونها في الصيد، فضلا عن الحروب والطعان، وبلغ من مهارتهم في النزع بالقوس ما يكاد يفوق طور التصديق، حتى لو أراد أحدهم أن يرمي إحدى عيني غزال دون العين الأخرى لرماها، ولذلك سموا مهرة الرمي، ورماة الحذَقْ(٣).

ومنذ أن اهتم العرب بالرماية وصناعة الأقواس صارت لهم قسي عربية معروفة بصلابتها وشدة جفافها، وينسب العرب صناعة القوس إلى ماسخة، وهو رجل من

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب،١٨٦/٦، شيت خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، ص: ١٥٥.

(٢) فمنها الرديني، ينسب إلى امرأة يقال لها: ردينة، تباع عندها الرماح، والسمهرية، منسوبة إلى سمهر، وهو رجل، واليزنية: نسبة إلى ذي يزن، والزاعبية: منسوبة إلى زاعب، وهو رجل وقيل بلد، ومن أسمائه رعاش، وخوار، وأسمر،(النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢١٥/٦، و الدقدوي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٥)

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٥٧/١، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٢٢/٦، زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ١٨٤/١.

الأزد، وهو أول من عمل القسي من العرب فلذلك قيل لها ماسخية[1].

وكان لهذا السلاح دور كبير في جهاد المسلمين ضد أعدائهم في الفتوحات الإسلامية، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على الرمي، فقال "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا،..."[2].

وقال صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر"﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3] ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"[4]، ومن هنا اهتم الصحابة رضي الله عنهم عموما، والخلفاء والقواد من بعده عليه الصلاة والسلام بالرمي، ويحثون رجالهم على إتقانه.

والقسي نوعان: قوس يد، وقوس رجل.

- وقوس اليد ثلاثة أصناف:-

- العربية: وهي نوعان الحجازية، والواسطية.
- الفارسية: وهي قسي العساكر الإسلامية في الشام ومصر.
- التركية: وهي مثل قسي الفرس إلا أنها أغلظ منها.

- أما قوس الرجل، فهي نوعان:-

١- التركية.

٢-قوس الجرخ وهي قوس لها جوزةٌ ومفتاح وأهل المغرب يعتنون بها كثيرا

---

(١) ابن سيدة: المخصص، ٢٥/٢، والدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٦.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، برقم ٢٨٩٩، ٣٨/٤، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٣) الأنفال: آية رقم ٦٠.

(٤) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، برقم ١٩١٧، ١٥٢٢/٣، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ويفضلونها[1].

والرمي بالقوس عليه أن يتقيد بأصول الرمي، وهي تعرف بأصول الرمي، وهي:- العقد، والقبض، والمد، والإطلاق، والنظر[2].

السهم: لابد للرامي بالقوس أن يتخذ السهام فهو كطلق ناري بالنسبة للبندقية، فالرامي لابد أن يحتفظ في كنانته بعددٍ من الأسهم عند القتال، وهو من لازم القوس.

ويتخذ السهم من عود يتسم بالدقة والصلابة يكون في طول ذراع تقريبا، يأخذه الجندي فينحته ويسويه، ثم يفرض فيه فروضا "حزوزا" دائرية، ليركب فيها الريش، ويشده عليها بالجلد المتين، أو يلصقه بالغراء ويربطه ثم يركب في قمته نصلا من حديد مدبب له سنتان في عكس اتجاهه يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، "إن الله لَيُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والممد به، والرامي به"[4].

والسهام من أداة الحرب التي كان يستخدمها المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية، وهو من الأسلحة التي كانت متوفرة لهم مع بداية غزواتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنها في بعض الأحيان كانوا يستخدمونها كأداة للتخاطب يكتب عليها راميها ما يشاء ثم يرميها لمن شاء حفاظا للسرية، وأكثر ما يحدث ذلك في محاصرة

---

(١) ابن القيم: الفروسية المحمدية، ص: ٣٨١.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٢٧.

(٣) محفوظ: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، ص: ٧٠.

(٤) رواه أحمد: المسند، رقم ١٧٣٠٠، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم ٢٥١٣،والترمذي: أبواب فضل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم١٦٣٧، والحديث في اسناده ضعف كما قال الشيخ الألباني، وقال محققوا المسند، حسن بمجموع طرقه وشواهده،(مسند الإمام أحمد، ٥٣٣/٢٨).

الحصون، فهي أداة لنشر الرعب والذعر والإرباك في سكان الحصون، وربما الإغراءات، أو أخبار، أو أمنيات، مما يجعلهم يميلون للتسليم[١].

وللسهم أسماء وصفات ونعوت نطق بها العرب[٢]،ولاشك أن كثرة الأسماء تدل على أهميته، ودوره الكبير.

هذه بعض أسلحة القتال التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ثم كانت عُدَّةً في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وهي غالبا تكون الأساس في مواجهة الأعداء. ويوجد أيضا غيرها من أسلحة القتال الخفيفة يستعملها المسلمون عند الالتحام والاختلاط، منها الحربة، والعنزة، والمحذق، والخنجر، والدبوس، وغيرها مما يحتاج إليه في المعركة.

ثانيا: أسلحة الحصار ووسائله.

لقد جعل لهذا النوع من السلاح جزءاً خاصا به لأهميته في الميدان، وبخاصة في حصار المدن؛ ولأن أسلحته تمتاز بالضخامة بحيث تُحمل على الجمال والبغال،وتحتاج إلى عدة جنود في إدارتها واستخدامها عند القتال بها[٣]. ولهذه الأسلحة عدة أنواع وأشهرها منها:-

المنجنيق:

هو آلة قذافة عُرِفت قديماً حيث استخدم لدى البيزنطيين والفرس قبل الإسلام، وهذا السلاح شديد النكاية بالأعداء، بعيد الأثر في قتالهم، فبحجارته تهدم الحصون

---

(١) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:، ٢٢٨، وهذا لعله أقرب ما يكون بالمنشورات الموجهة على الآخرين وتلقى عليهم في الوقت الحاضر.

(٢) منها: أذق، وأهزع، وأفوق، أمرط، وأغضف، أصمع، وغيرها،(النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٩٧/٦).

(٣)، وهو بهذه الصورة أشبه ما يكون بالمدفعية المستخدمة في القتال في الوقت الحالي،(عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص: ١٥٦).

والأبراج، وبقنابله تحرق الدور والمعسكرات[1]. وهذا السلاح مما استخدمه العرب بعد الإسلام؛ حيث لم يكن معهودا عندهم من قبل، واستفاده المسلمون من أعدائهم.

وكان الإنسان في بدايته وأول أمره يحارب بالحجر برميه بيده فيصيب، ثم اتخذ المقلاع بعد ذلك لتكون رميته بعيدة قوية، ثم فكر في طريقة لرمي حجارة كبيرة، ولهدف أبعد فهداه تفكيره إلى المنجنيق، فاتُّخِذ أولا على هيئة "الشادوف" الذي يسقى بعض الفلاحين زرعهم، وهو عبارة عن رافعة محور الارتكاز فيها في الوسط والقوة في ناحية، والمقامة في أخرى، على أن يكون ثقل الحجارة هو المحرك له بحيث إذا هوى الثقل ارتفع الشيء المرمي في كفته[2].

وكانت صناعة المنجنيق معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يستعملونها بل إنه صلى الله عليه وسلم أول من رمى بها وذلك في حصار الطائف[3]، وهذا يدل على أن المسلمين عرفوا المنجنيق في وقت مبكر، مع أن العرب في الجاهلية أغلب الظن أنهم لم يستخدموا هذا السلاح، إذ أن أشعارهم التي هي سجل حياتهم لم يرد فيها ما يدل على معرفتهم بالمنجنيق، ولو إشارة عابرة تفيد أنهم عرفوه، ولو كان ذلك لتناولوه بالوصف، ونسبوه إلى صانعه،وأماكن صنعته، كما فعلوا بسائر أسلحتهم[4]، وهذا والله أعلم لعدم حاجتهم إياه وذلك أن العرب غالبا ما كانوا يسكنون البادية، وأيضا أنهم رُحَّل لم يستقروا في أماكن معينة بل إنهم يتنقلون في الصحاري الشاسعة، والحضر الذين يسكنون المدن منهم لم يكن لهم حصون مثل ما كانت لغيرهم من الدول الكبرى، وأن هذا السلاح غالبا ما يكون لهدم الحصون والقلاع.

---

(١) عون: الفن الحربي، ص، ١٥٦.

(٢) نفس المرجع: ص: ١٥٨.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤٨٣/٢.

(٤) عون: الفن الحربي، ص: ١٦٢.

وقد طور المسلمون على مدار فتوحاتهم الإسلامية هذا السلاح ، وأدخلوا عليه كثيرا من التحسين، وكان حصارهم به للمدن المحصنة ذات الأسوار العالية في حروب الشام والعراق زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما بعده؛ حيث نصبوا على المدائن عند حصارها عشرين منجنيقا، فشغلوا أهلها بها[١].

ولاشك أن هذا التطور استمر حتى في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وذلك لاحتكاكه الكثير بالروم، براً وبحراً، فكان لا بد أن يتطور سلاح المسلمين، ومن بينها المنجنيق، وذلك لشدة فتكه، وخاصة عندما بدأ معاوية رضي الله عنه الغزو في البحر، وهذا يتطلب تطوير الأسلحة، على الأقل لموجهة النار الأغريقية التي كانت أحد أسلحة الروم التي عانى منها المسلمون في غزوهم للقسطنطينية.

وقد لوحظ في عهد الدولة الأموية أن المنجنيق أُدخِلت عليه بعض التعديلات فمن ذلك ما جرى من تعديل على كفة ذراعه، فبعد أن كانت مهمته مقتصرة على رمي الحجارة لهدم الأسوار، صار يرمى بها بمشاقة الكتّان فيها الحجر، وبالأخشاب المشتعلة، وبقدور النفط، وغير ذلك، وهذا لا يكون ممكنا بأمان إلا إذا كانت كفة الذراع مصنوعة من الحديد أو الخشب المبلل بالخلّ، أو اللبود المبللة لمنع اشتعال النار فيها، أو بأن تتدلى القذيفة في الكفة من الذراع بسلاسل من الحديد لا تضرها النيران[٢].

العرّادة:

هي آلة من آلات الحرب التي استخدمها المسلمون في فتوحاتهم، وهي نوع أصغر من المجنيق، وهي من نفس نوعه، كان يستعمل لإلقاء الحجارة والسهام، " وهي

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ٣٣٧/٢، الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:٢٣١.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٣٢.

شبيهة بمدفعية الميدان الخفيفة"(١).

وكانت تستخدم هذه الآلة عندما يصعب وضع الآلة الكبرى بالقرب من الجدار بسبب امتلاء الخندق بالماء، والعرادة نوع أصغر من المنجنيق، وتستخدم أيضا لرمي السهام الكبار دفعة واحدة إلى المسافات البعيدة والأهداف النائية التي لاتصل إليها رميات الأقواس، فكانت توضع فيها عدة سهام كبار، ثم يرمى بها مرة واحدة فتبعد وتصيب(٢).

وعلى هذا فإن العرادة من أنواع سلاح الحصار الذي كان يستخدمه المسلمون، إلا انه صغير الحجم، وربما خفيف الحمل، بحيث يحمل إلى مكان ربما لا يصل إليها المنجنيق الكبير، وله دور كبير في رمي مجموعة من السهام دفعة واحدة، وربما سهامه أكبر حجما من السهام العادية التي ترمى باليد من الأقواس.

الدبابة:

ومن أنواع سلاح الحصار التي عرفها المسلمون، الدبابة وسميت بذلك لأنها تدب حتى تصل إلى الحصون، ثم يعمل الرجال الذين بداخلها في ثقب أسوارها بالآت التي تحفر(٣).

وهي آلة من الخشب المغلف باللبود والجلود المنقعة في الخل لدفع النار، وتركب على عجلات يصعد الجند إلى أعلاها للنزول فوق الأسوار، وتستخدم أيضا لهدم الأسوار ويجتمعون بجدرانها، وهي أقدم من المنجنيق(٤). وكان سلاح المقاتلة الموجودين في أعلى الدبابة القسي والسهام ومهمتهم حماية المقاتلة الموجودين في أسفل الدبابة

---

(١) محفوظ: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، ص: ٧٤.

(٢) زيدان: تاريخ التمدن، ١/١٨٤، الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:٢٣٣.

(٣) خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، ص: ١٦٤.

(٤) زيدان: تاريخ التمدن، ١/١٨٩-١٩٠.

ليتمكنوا من فتح ثغرات في أسوار العدو باستخدام المعاول والمثاقب(١).

والدبابة سلاح أُدخل ضمن تسليح الجيش الإسلامي، أخذته المدرسة العسكرية الإسلامية عن الفُرس(٢).

تَعلَّم المسلمون صناعة الدبابة وأدخلوا عليه كثيراً من التحسينات حتى صارت ضخمة كثيرة العجل، وبمرور الزمن زادوا في حجم الدبابة فصاروا يصنعونها كبيرة بحيث تُجَر على ست عجلات أو ثمان عجلات وتسع الواحدة منها لعشر رجال من المقاتلين أو أكثر يعملون بها على نقب السور(٣).

ولا شك أن عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما شهد تطويرًا لكثير من تلك الصناعات الحربية إذ إنه بأمس الحاجة لوفرتها لديه ليتمم بذلك مهمته في نشر الدعوة الإسلامية، وحماية الدولة، وحيث إنه كان مهتما بصناعة الأسلحة أو آلات الحرب في الدولة بدل من استيرادها من الدول المجاورة.

الحَبلُ والسُّلم:

ومن أسلحة الحصار التي استخدمها المسلمون في فتوحاتهم ومحاصرتهم للحصون، الحبل والسلم، وفي الحقيقة هي ليست أسلحة بالمعني الذي يطلق عليه السلاح الذي يَقتُل، لكنه وسيلة لمهاجمة الحصون المنيعة، والارتقاء على أعلاها.

وكان السلم في بدايته حبالاً تكون على هيئة السلالم، وأول من استخدمه بكثرة القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه وذلك في فتح دمشق، عندما اشتد الحصار عليها، وكان قواد المسلمين موزعين في أكثر من باب، استخدم خالد بن الوليد حبالاً على هيئة السلالم من الجهة التي هو فيها وفتحها عنوة(٤)،بذلك يُعتبر خالد أول من

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٤٨.

(٢) محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، ص: ٤٠٩.

(٣) عون: الفن الحربي، ص: ١٦٩.

(٤) تجدر الإشارة إلى أن دمشق تم فتحها من الجهة التي كان فيها خالد عنوة، بينما فتحت = =

استخدم الحبال على هيئة السلالم في الفتوحات الإسلامية.

ثم تطورت الحبال بعد ذلك إلى سلالم تصنع من الخشب والحديد، مرتفعة بارتفاع السور تقريبا، يصعد عليها الرجال بعد أن يضعوها ويسندوها على السور في مكان آمن(١).

تلك بعض أسلحة الحصار التي كان يستخدمها المسلمون في حروبهم، ولاشك أن هذه الأسلحة، قد دخلها في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما تطوير وأيضا الكثرة، إذ أن الدولة امتدت إلى مسافات شاسعة بسب الفتوحات، وأن المسلمين أيضا علمتهم الحياة والممارسة العملية كثيراً من الأشياء.

ثالثا: أسلحة الوقاية.

هذه الأسلحة أيضا ليست أقل شأنا من التي سبقها، فهي أسلحة تقي المقاتل من الأسلحة المستخدمة ضده من قبل عدوه، منها:-

الدرع:

الدرع هو السلاح الوقائي الذي استخدمه جند المسلمين لحماية أنفسهم من ضربات السيوف وطعنات الرِّمَاح، وهو يُذكَّر ويؤنث، وعُرِف منذ القِدم(٢).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٣)، قال المفسرون: كان الحديد في يده كالعجين أو الطين في يد

= =

صلحا من الجهات الأخرى،(الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣/٤٣٩).

(١) عون: الفن الحربي، ص: ١٧٣.

(٢) أبو عبيد: السلاح،ص: ٢٨، ابن سيده: المخصص،٢/٤٤،الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٣٧.

(٣) سبأ: آية رقم ١٠-١١.

أحدكم، ولم يكن قبل داود عليه السلام دروع وإنما كانت صفائح من حديد مضروبة، وهو أول من عملها ولبسها وألبسها[١].

وهو أنواع كثيرة منها الحديد، والفولاذ، والكتان، وهي كلها من صنع الفرس، وكانت تتألف من جزء يقي الصدر يسمى الجوشن[٢]، وجزء يقي الرأس يسمى الخوذة[٣] والمغفر[٤]، وأجزاء تحمي الساعدين والساقين والكفين، وكانت الدروع حلقات متصلة تلبس فتغطي الظهر، والصدر، ونصف الذراعين[٥]، وله أسماء كثيرة منها "جاران"، و"جوشب"، و"خدباء"، وغيرها[٦].

وهكذا كانت الدرع من الأسلحة الوقائية المهمة في الحروب، وقد عرفها العرب قديما واستخدموها وكانت لهم بكثرة، وكانوا في الإسلام يلبسونها، والنبي صلى الله عليه وسلم كانت له درع[٧]، وكان علي رضي الله عنه يلبس درعاً لا ظهر لها، وإنما هي صدر، وعندما يسأل في ذلك يقول " لو أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله

---

(١) الطبري:جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥٩/٢٠، الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص: ٥٦.

(٢) الجوشن: الصدر، والدرع، والجوشن من السلاح، اسم زَرَدٌ يُلبسه الصدر والحيزوم ،وقيل اسم الحديد الذي يُلبسُ من السلاح،(الأزهري: تهذيب اللغة، ٢٨٥/١٠، ابن منظور، لسان العرب٨٨/١٣، الفيروز آبادي: القاموس المحيط ص: ١١٨٦).

(٣) خوذة: مفرد جمعه خوذات وهي غطاء معدني للرأس يضعه الجندي ونحوه على رأسه وقاية له، (مختر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٧٠٥/١).

(٤) المغفر: زَرَدٌ يُنسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، (أبو عبيد: السلاح، ص: ٢٩).

(٥) محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، ص: ٤١٨.

(٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٤١/٦.

(٧) الدينوري: عيون الأخبار، ٢١١/١.

عليه إن أبقى علي"[١].

الترس:

من أسلحة الوقاية أيضا ، الترس أو المجن، آلة وقائية يقي بها المقاتل نفسه من رميات الأعداء وضرباتهم، سواء أكانت بالسهام أو الرماح[٢]، وعندما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه[٣] عن الترس، قال: هو الجنّ وعليه تدور الدوائر[٤].

وكان الترس على أصناف، كل منها يصلح لشيء: منها المسطح، والمستطيل، والمحفر الوسط، والمقبب المنحني الأطراف، ولكل منها فائدة وكانوا ينقشون عليها الآيات، والحِكَم، والأشعار، وتميزت أتراس كل بلاد بشكل خاص، منها الترس الدِّمشقي، والترس العراقي، والغَزْنَاطي، وغيرها[٥].

وله عدة أسماء، وكثرة أسمائه تدل على أهميته، فمنها: بصيرة، وترس، وجوب، وجنة، وحجفة، ودرقة، وعنبر، وغيرها[٦].

هذه بعض الأسلحة التي كان المسلمون يستخدمونها في معاركهم وفتوحاتهم الإسلامية، منذ أن بدأ الإسلام، حتى عهد معاوية رضي الله عنه، منها ما كان

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤٠/٤٢.

(٢) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص:٢٤٠.

(٣) عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زُبيدة أبو ثور الزُّبيدي، الزُّبيدي، فارس العرب له وقائع في الجاهلية، وأدرك الإسلام فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلمه التبية وله في الإسلام شهد اليرموك، وأبلى في القادسية بلاءا حسنا، توفي في إمرة معاوية.(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥٢٥/٥، أبو نعيم: معرفة الصحابة، ٢٠١٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٣١/٢).

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٠٠/٦.

(٥) ابن سيدة: المخصص، ٤٧/٢، محمد فرج: المدرسة العسكرية الإسلامية، ص: ٤١٩.

(٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٣٩/٦.

مستخدما قبله، وأُدخلت عليه تعديلات وتحسينات، ومنها ما وُجد في عهده، وقد عرف المسلمون بعض الأسلحة في هذا العهد التي وُجدت عند أعدائهم، إما بالاستيلاء عليها من خلال الغنيمة، أو نقل تصنيعها إلى بلدانهم الإسلامية مما حقق لهم نجاحات متتالية في فتوحاتهم.

المبحث الربع: أهم قادة الجيش.

القائد له دور كبير في المجال العسكري، فهو المحرك الأساسي للجيوش، فبقوته تقوى الجيوش، وتنتشر الفتوحات والانتصارات، وبضعفه تضعف، فاختيار القائد من أصعب الأمور؛ حيث إن الخليفة يجب عليه أن يختار في قيادة الجيوش بعد تمحيص ومشاورات دقيقة، ويختار ذوي الكفاءات العالية والخبرة المستمرة، حتى يحقق ما يصبو إليه من انتصارت، وغير ذلك من الأمور المهمة.

ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يتولى قيادة الجيوش بنفسه في الغزوات الكبرى، وقد ضرب صلى الله عليه وسلم أعظم الأمثلة في حسن القيادة، وفي السرايا التي لم يخرج فيها بنفسه كان يُوكِّل أمر القيادة لمن يرى فيه الكفاءة، فخرج في عهده قادة أكفاء مثل جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم، ثم جاء بعده الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فكانوا يجعلون قيادة الجيوش لذوي الخبرة والكفاءة في هذا المجال، فبرز في تلك الفترة بعض القادة منهم: خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، والمثنى بن حارثة الشيباني، ويزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهم، وغيرهم، ويلاحظ أن بعض القادة الذين ظهروا في عهد الخلفاء الراشدين كان لهم دور في فن القيادة حتى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فاستمر عطاؤهم حتى زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عن الجميع.

ثم جاء عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فلم تتوقف الفتوحات بل امتدت شرقا وغربا، برا وبحرا، فتصدى للفتوحات الإسلامية في خلافة معاوية قادة كبار يشار إليهم بالبنان والكفاءة العالية في إدارة شؤون الحرب والمعارك، وكان معاوية رضي الله عنه يتحرى في اختيار القادة ذوي الصلاح والتقوى وخوف الله تبارك وتعالى مع الخبرة في إدارة شؤون الحرب، ولهذا يُذكر أنه رضي الله عنه كتب عهدا لعبد

الرحمن بن خالد بن الوليد[1]، فقال له ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتخذه إماما ولا أعصيه، قال: أُردد علي عهدي؛ ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي فكتب له عهده، ثم قال له ما أنت صانع بعهدي؟ قال: أتخذه إماما ما أم الحرم فإذا خالفه خالفته؛ فقال معاوية: هذا والله الذي لا يُكفكف من عجلة ولا يُدفع في ظهره من بطء ولا يُضرب على الأمر ضرب الجمل الثقال[2]، وهذا يفهم منه أن معاوية رضي الله عنه لم يعقد العهد إلا بعد تحرٍ، ومشورة واختبار، ثم يعقد له العهد بعد أن يتبين له كفاءته في ذلك، وممن اشتهر في عهد معاوية في القيادة ما يلي:-

عبد الله بن سوار العبدي[3]:.

كان من القادة الكبار أيام معاوية بن أبي سفيان، ولاه والي البصرة أيام معاوية عبد الله بن عامر، ثغر الهند وقيل بل ولاه معاوية نفسه، عموما تولى هذا الثغر فغزا القيقان[4] سنة ٤٥هـ فأصاب مغنما، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلا قيقانية وأقام عنده، ثم عاد إليها لغزوهم مرة أخرى فاستنجدوا بالترك وقتلوه، وكان كريما للغاية، حتى إنه يقال لم يكن أحد يوقد النار في عسكره، سأل ذات ليلة عن نار

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي، ابن سف الله، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مع أبيه يوم اليرموك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان معه لواء معاوية يوم صفين، وكان يستعمله في غزو الروم، وله معهم وقائع، وكان شريفا شجاعا مُمدَّحا، توفي سنة ست وأربعين.(أبو نعيم معرفة الصحابة، ١٨٤٤/٤ ابن عساكر تاريخ دمشق، ٣٢٤/٣٤، ، الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤١٩/٢).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤٩/٢١-٣٥٠.

(٣) عبد الله بن سوار بن همام بن ثعلبة بن عبد الله بن زيد بن الحارث العبدي، تابعي من أهل البصرة، كان واليا على سجستان أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، قتل سنة ٤٧، في معركة في القيقان حيث جمعوا له الترك،(تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٧، ٢٠٨، و ابن عساكر: تاريخ دمشق،٩٦/٢٩،).

(٤) القِيقَان: بالكسر من بلاد السند مما يلي خراسان، (الحموي: معجم البدان، ٤٢٣/٤).

رآها فقيل له خبيص يصنع للنفساء فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام[١].

المُهَلب بن أبي صُفرة[٢]:-

من القواد الكبار والفرسان الشجعان الذين دوّخوا الخوارج؛ في سنة ٤٤هـ غزا أرض الهند فسار إلى قندابيل[٣] ثم أخذ إلى بتة وألاهور وهما في سفح جبل كابل، فلقيهم عدو هزمهم الله وملأ المسلمون أيديهم وانصرفوا سالمين[٤].

الحكم بن عمرو الغفاري:.

من القادة الكبار الذين كان لهم دور كبير في الفتوح في شرق الدولة الإسلامية أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان عفيفا صالحاً وكان رجلا فاضلا وعلى جانب كبير من الأمانة والتقوى والورع وخوف الله تبارك وتعالى[٥]. كان قائداً اتسم رحمه الله بالورع والتقوى وشدة الخوف من الله فكان لا يخضع إلا للحق ولا يرى إلا

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص: ٢٠٧، البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٤١٧، ، ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ٨/٣.

(٢) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو الأزدي العتكي البصري، أبو سعيد، الأمير البطل قائد الكتائب، من وجوه أهل البصرة وفرسانهم وأجوادهم، ولد عام الفتح، قدم على عمر بن الخطاب هو وأبوه وإخوته، قال عمر لأبيه هذا سيدهم، ولي لبني أمية ولايات، وتولى حرب الأزارقة، وكانت له معهم مواقع مشهورة، توفي سنة ٨٢هـ وقيل ٨٣هـ، وله ست وسبعون سنة.(ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٢٨٠/٦١، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٨٣/٤)

(٣) قَنْدابيل: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء بنقتين من تحتها، ولام: هي مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها النّدهة، ومن قصدار إلى قندابيل خمسة فراسخ، ومن قندبيل إلى المنصورة ثماني مراحل،(البكري: معجم ماستعجم، ١٠٩٧/٣، الحموي: معجم البلدان، ٤٠٢/٤).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٠٦.

(٥) ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٤٠٥.

المصلحة العليا للمسلمين لا يطيع مخلوقا في معصية الخالق، وكان يتحلى بشخصية قوية ناقدة له مبادئ يطبقها ولا يحيد عنها، شجاعا مقداما، ومجاهدا صادقا، له إرادة صلبة، ولم يكن متسرعا في قراراته، له ماض ناصع مجيد، وكان يثق برجاله ويثقون به، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه ويحبهم ويحبونه، ويولي ذوي الكفايات القيادية العالية من رجاله عند الحاجة(١) .

وجَّهه زياد بن أبيه في سنة ٤٥هـ إلى خراسان(٢)، وجعل معه رجالا، وأمرهم بطاعته، غزا طخارستان(٣) فغنم منها مغانم كثيرة(٤).

ثم غزا بعدها في سنة ٤٧هـ جبال الغور، وكانوا قد ارتدوا، فقهرهم بالسيف عنوة وفتحها، وأصاب منها مغانم كثيرة وسبايا(٥)، وكان أول من قطع النهر ووصل إلى بلاد ما وراء النهر إلا أنه لم يفتح منها شيئاً، وكان أول من شرب من المسلمين مولى للحكم، اغترف بترسه من النهر فشرب، وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين،

---

(١) خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ص: ١٢٠.

(٢) خرسان: بلاد واسعة أول حدودها ممايلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبهيق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وهي تعني كل بلا تعب، وقيل معناها بالفارسية، مطلع الشمس، وتشتمل على أمهات البلدان منها نيسابور، وهراة ومرو، وغيرها، (البكري: معجم ماستعجم، ٤٨٩/٢، الحموي: معجم البلدان، ٣٥٠/٢).

(٣) طَخارستان: بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طخيرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبنها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا، وأما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ،(الحموي: معجم البلدان، ٢٣/٤).

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٦/٥، وابن الأثير: الكامل، ٤٩/٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٩/٥، ابن الأثير: الكامل، ٥٣/٣.

وكان أول المسلمين فعل ذلك[١].

سفيان بن عوف[٢]:.

من القواد الأبطال والنوادر الشجعان الذين تولو حرب الروم أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، استعمله معاوية على الصوائف[٣]، فقام بها حق القيام وكان يهاجم الروم في عقر دارهم إلى أن يصل بعض الأحيان إلى أسوار القسطنطينية، وقيل أنه كان قائد الجيش في الحصار الأول للقسطنطينية، و الحملة الأولى التي أرسلها معاوية، سنة ٤٩هـ وكان الأمير فيها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[٤].

وشتى بأرض الروم سنتي ٥٢ و٥٥هـ، [٥]، وساح في أرض الروم حتى أدركه أجله أجله واستخلف في الجند ومات، ولما بلغ معاوية وفاته كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه لهم فبُكيَ عليه في كل مسجد، وكان معاوية بعد ذلك إذا رأى في الصوافي خللا قال "واسفياناه ولا سفيان لي".[٦]

معاوية بن حديج السكوني:.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٦/٥، وابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٤٠٥، وابن الأثير: الكامل، ٥٣/٣-٥٤،.

(٢) سفيان بن عوف بن المغفل بن عوف بن عمير بن كلب بن ذهل بن سيار بن والبة الأزدي الغامدي، صحابي جليل من الشجعان الأبطال، كان مع أبي عبيدة عامر بن الجراح في فتح بلاد الشام، وأرسله بكتاب إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، توفي سنة ٥٥هـ وقيل ٥٤، وقيل ٥٢هـ .(ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٣٤٧/٢١- ٣٥٢، الذهبي: تاريخ الإسلام: ٥٠١/٢، الزركلي: الأعلام: ١٠٥/٣).

(٣)ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤٧/٢١.

(٤) ابن الأثير: الكامل،٥٦/٣.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ص ،٢١٨ وص: ٢٢٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٩/٥،

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥١/٢١.

قائد الكتائب الأمير، من القواد الكبار والمجاهدين الفاتحين، ومن الأبطال الصناديد، صحابي جليل، كان له دور كبير في فتح إفريقية أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حيث بعثه سنة ٤٥هـ في عشرة آلاف مقاتل إلى أفريقية ليغزوها[١].

وبعد دخوله أفريقية ، سرح إليه عامل الروم ثلاثين ألف فتقابل الجيشان عند حصن الأجم فهزمهم المسلمون شر هزيمة،[٢] ثم بعث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى سُوسة[٣] فافتتحها[٤]، وبعث عبد الملك بن مروان إلى جلولاء وافتتحها، وقيل إن إن معاوية حاصرها وطال مقامه فيها، ثم قفل عنها فذكر رجل قوسا نسيها فرجع إليها فإذا ركن من أركانها قد انهدم، فلحق بمعاوية وأخبره، ودخل المسلمون المدينة عنوة بالسيف وغنموا منها غنائم كثيرة[٥].

وغزا بَنزرت[٦] وغنم منها غنائم كثيرة من نواحيها ورجع قافلا إلى مكانه[٧]، وكان معاوية بن حديج رضي الله عنه رفيقا بأصحابه، وقد شهد له بذلك بعض من

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٧، ومحمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ٢/ ٢٠.

(٢) الناصري: الاستقصا، ١٣٣/١.

(٣) سُوسة: بضم أوله مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، تقع الآن في جمهورية تونس، وتبعد عن العاصمة حوالي ١٤٥كلم، إلى الجنوب من خليج الحمامات، (الحموي: معجم البلدان، ٢٨٢/٣، الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ١٥٣).

(٤) ابن العذاري: البيان المغرب، ١٦/١، و شهاب الدين: الاستقصا، ١٣٣/١.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ٢٦١/١، المالكي: رياض النفوس، ص: ٢٩، الناصري: الاستقصا، ١٣٣/١.

(٦) بنزرت: بفتح الزاي وسكون الراء، مدينة بإفريقية، تقع في جمهورية تونس حاليا على ساحل ساحل البحر الأبيض المتوسط عند رأس الأبيض، إلى الشمال الغربي من عاصمة تونس(الحموي: معجم البلدان، ٤٩٩/١، الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ١٤٨).

(٧) المالكي: رياض النفوس، ص: ٣٠.

حضر معه عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال: ما نقمنا عليه شيئا، إن هلك بعيرٌ أخلف بعيراً وإن هلك فرسٌ أخلف فرساً، وإن أبق خادمٌ أخلف خادما[(١)]، وهذا دليل على رفقه بجنوده وسهره على مصالحهم وحرصه على راحتهم وإرضائهم وإعطائهم ما يستحقون[(٢)]،

عقبة بن نافع:.

قائد كبير من قادة الفتح في الشمال الأفريقي في صدر الإسلام، ومن الفُرسان الشُّجْعان شارك في الفتح في تلك المنطقة منذ بداية الفتح مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأبلى بلاءا حسنا في الجهاد، واكتسب من ذلك خبرة واسعة تأهله لأن يكون قائدا للجيوش وقد عرف معاوية رضي الله عنه له ذلك ولهذا اختاره ليتولى الفتح هناك في عام ٥٠هـ[(٣)].

ففي هذه السنة أرسل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى عقبة بن نافع وهو في برقة عشرة آلاف جندي ليواصل الفتح في الشمال الأفريقي، وانضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه[(٤)].

وبعد أن واصل الفتح في تلك البلاد أراد أن يتخذ له ولجنده مدينة يقيم فيها عسكر المسلمين وأموالهم ليأمنوا من أي ثورة تكون من قبل أهل البلاد، وذلك أن أهل البلاد كانوا كثيراً ما ينقضون العهد ويرتدون عن الإسلام بعد رجوع الأمير منهم، فأختط عقبة بن نافع مدينة القيروان[(٥)]، وهي كانت واديا كثير الشجر كثير السباع

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٤١٤/٣.

(٢) خطاب: قادة فتح المغرب العربي، ص: ٨٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ص، ٢١٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ٦٣/٣.

(٥) القيروان: مدينة عظيمة في أفريقية من أهم مراكز العلم في المغرب العربي، تقع حاليا في جمهورية تونس، وهي مدينة داخلية إلى الغرب من سوسة، وكانت عاصمة تونس قبل أن = =

والهوام، فقام عقبة ودعا الله تبارك وتعالى وكان مستجاب الدعوة ونادى، يا أهل الوادي إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلون في هذا المكان فارحلوا عنا ومن وجدناه بعد هذا قتلناه، ونادى في الناس كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا، فنظر الناس بعد ذلك إلى أمر عجيب، فما من حجر ولا شجر إلا يخرج من تحته دابة، حتى يهبط بطن الوادي، ثم قال أنزلوا بسم الله[1].

وأقام الناس بعد ذلك أربعين عاما لا يرون فيها حية أو عقربا ولا سباعا، فاختط عقبة أولا دار الإمارة، ثم أتى موضع المسجد فأختطه، وكان في أثناء عمارة المدينة يغزوا ويرسل السرايا وكان فراغه من بنائها سنة ٥٥هـ [2].

كانت مرحلة عقبة بن نافع هذه على جانب كبير من الأهمية في توجيه الفتوحات وتثبيتها في أفريقية، وكان تأسيس مدينة القيروان دليلا على الإصرار على مواصلة الفتح ولم تقم القيروان بدور كبير في فتح شمال أفريقيا كله والأندلس فحسب، وإنما قامت بدور عظيم في نشر الإسلام في المغرب، وأصبحت مركزاً من أهم مراكز الحضارة الإسلامية[3].

وبعد أن قضى عقبة في هذه المنطقة حوالي أربع سنين، فإن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استعمل على مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، فعزل من إفريقية عقبة بن نافع، وولى عليها مكانه مولاه أبا المهاجر دينار، وذلك في سنة

= =

تنتقل العاصمة إلى مدينة تونس،(الحموي: معجم البلدان، ٤٢٠/٤، الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ١٥٦).

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢١٠، وابن عذاري: البيان المغرب، ٢٠/١،

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٦٣/٣، ابن الغذاري: البيان المغرب، ٢١/١.

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص:٢٣٦.

٥٥هـ[1].

هذه هي الولاية الأولى لعقبة على إفريقية انتهت عام ٥٥هـ، ولكنه عاد إليها واليا في خلافة يزيد بن معاوية مرة أخرى وواصل الفتوحات في تلك المنطقة.

أبو المهاجر دينار[2]:.

بعد عزل عقبة بن نافع تولى أبو المهاجر قيادة الجيوش المرابطة في شمال أفريقية، وكان قائداً محنكا، اتخذ مع البربر أسلوبا مغايرا نوعا ما من أسلوب عقبة بن نافع؛ فقد رأى بثاقب نظره أن سياسة القسوة التي كان يسير عليها عقبة لا بد أن تتغير، وعليه أن يصطنع بدلها سياسة كسب القلوب، فالبربر قوم أشداء يَعتَدُّون بكرامتهم وحريتهم، فسياسة اللين معهم قد تكون أجدى من سياسة الشدة، وقد نجح أبو المهاجر في سياسته تلك نجاحا كبيرا، حيث أنه كان يتمتع بقدر كبير من الكياسة والسياسة وحسن التصرف[3].

ومع هذه السياسة التي اتخذها لم يتخل عن الغزو والفتوحات لمن لم يرض بذلك؛ ففي سنة ٥٩هـ غزا أبو المهاجر قرطاجنة[4] فخرج إليه أهلها فالتقوا فكثر

---

(١) ابن العذاري: البيان المغرب، ٢١/١.

(٢) أبو المهاجر دينار، مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وقيل مولى بني مخزوم، وكان من التابعين، ولاه مسلمة بن مخلد أفريقية بدل عقبة بن نافع، سنة ٥٥هـ ، وكان عزله في سنة ٦٢هـ، فمدته في المغرب ٧سنين، استشهد في معركة تهوذة، سنة ٦٣هـ.(ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ٢٦٩/١، و رياض النفوس: ٣١/١، شهاب الدين: الاستقصا، ١٣٦/١، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير،٣٠/٢، خطاب: قادة فتح المغرب: ص: ١٣٧).

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص:٢٤٠.

(٤) قَرْطاجَنَّة: بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة وجيم ونون مشددة، بلد قديم من نواحي إفريقية، تقع على خليج تونس شرقي العاصمة تونس، وتبعد عنها حوالي عشرة كيلومترات، اسمها قرطا وأضيفت إليها جنة لطيبها ونزاهتها وحسنها، أسستها الأميرة الفينيقية غاليا، = =

القتل والجراح في الفريقين، وحجز الليل بينهم وانحاز المسلمون من ليلتهم فنزلوا جبلا في قبلة تونس، ثم عاودوهم القتال فصالحوهم على أن يُخلو لهم جزيرة شريك[١]، وأنزل بها طائفة من جنود المسلمين، وكان غرضه من احتلالها أن يراقب الروم عن كثب، ويصدهم إذا هموا بالمسير إلى المسلمين أثناء غزو البلاد، ثم افتتح ميلة، وغنم منها غنائم كثيرة، وكانت ميلة تتوسط المغرب الأدنى والأوسط، فهي أحسن مكان يراقب منه أمور البربر والروم في هذه البقاع[٢].

ثم أراد أبو المهاجر أن يوسع ويتقدم إلى المغرب الأوسط، خاصة أن أنباء وصلت إليه بتجمع جيش كثيف من البربر والروم، قد تجهز للقضاء عليه، فسار إليهم، وكانوا قد عسكروا في منطقة اسمها تلماس، فالتقى الجيشان فوقعت معركة عنيفة سقط فيها قتلى كثيرين من الطرفين، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزموا جيش البربر والروم، وأُسِر زعيم البربر[٣] في هذه المعركة وحمل إلى أبي المهاجر، فأحسن إليه أبو المهاجر وقربه وعامله معاملة الملوك[٤]. وبهذا يكون أبو المهاجر أول قائد مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط[٥].

= =

سنة ٨١٤ق.م.،(الحموي: معجم البلدان، ٣٢٣/٤، الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص:١٥٥).

(١) جزيرة شَرِيك: بفتح الشين المعجمة، وكسر الراء وياء ساكنة وكاف: كورة بإفريقية بين سوسة وتونس، تنسب إلى شريك العبسي، وكان عاملا بها وقصبة هذه الكورة بلدة يقال لها منزل باشو، هي مدينة كبير آهلة.(الحموي: معجم البلدان، ١٣٦/٢، صفي الدين: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣٣٢/١).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٢٦، و محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ٣٤/٢.

(٣) وهو كُسيلة بن كيزم الأوربي.

(٤) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ٣٨/٢، و شهاب الدين: الاستقصا، ١٣٦/١.

(٥) شهاب الدين: الاستقصا، ١٣٦/١.

هؤلاء بعض القادة الذين كان لهم دور كبير في الفتوحات الإسلامية أيام معاوية رضي الله عنه، وهي نماذج وليس على سبيل الاستقصاء، فإن هناك غيرهم كثير من القادة الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم، وبذلوا مُهَجَهم في سبيل نشر الدين الإسلامي في الشرق والغرب، والبر والبحر.

المبحث الخامس: الأسطول البحري.

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وسخر له كل شيء في هذه الدنيا، ومن مخلوقات الله تبارك وتعالى التي سخرها للإنسان هذا البحر العظيم، حيث أحل له ميتته، وسخره له ليركبه ويقطع به مسافات هائلة ليختصر له الطريق، قال تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

وهكذا سخر الله البحر للإنسان بل وجعل وسائل لتسييره في وسط البحر من الريح الطيبة حتى يصل إلى بر الأمان، وهذا من فضل الله على الناس. قال تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

وقد عرف الإنسان وسائل ركوب البحر من قديم الزمان وهي السفن التي تمخُر عُباب البحر في وسط أمواجه ومياهه، إلا أن العرب لطبيعتهم الصحراوية، لم يعرفوا البحر إلا نادرا، ولم يستخدموه كما كانت تستخدمه الأمم المجاورة لهم، "وذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومَرْبَاهُم في التقلب على أعواده مَرِنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته"[3]، ولهذا لم يكن اهتمام العرب بالبحر لدرجة عالية وركوبهم له لم يكن إلا نادراً، وعليه فإننا نجد أن

---

(١) يونس: آية رقم ٢٢.

(٢) النحل: آية رقم ١٤.

(٣) ابن خلدون: التاريخ ٣١٣/١.

أخبارهم واهتمامهم بكل ما يتعلق بشؤون البادية والبعير والخيل حتى لنجد في لغتهم أسماء كثيرة ومصطلحات عديدة للشيء الواحد منها، بينما هي نسبيا فقيرة في أسماء أجزاء السفن وما يتعلق بالبحر(١).

ومع ذلك فإنهم كانوا في بعض الأحيان يضطرون إلى ركوبه سواء للتجارة أو نحو ذلك، ولذلك فإن المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة لابد أنهم ركبوا البحر، وهذا يعني أنهم كانوا يركبون البحر ويعرفونه من قبل، لكن ليس كما كان عند الأمم المجاورة لهم.

بل إن الأمم المجاورة لهم كانت لهم سفن حربية لاحتلال الجزر ومناطق نائية وسيطرة للموانئ، ولهذا كان لهم صولات وجولات خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولأن هذا البحر له استراتيجية كبرى "ولأن المسيطر عليه هو الرابح والمسيطر"(٢)، غالبا.

ولما جاء الإسلام وبدأت الفتوحات الإسلامية تنتشر في أنحاء المعمورة، كان لابد من ركوب البحر، وخوض غماره، ولهذا كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وعندما استقر واليا على بلاد الشام ويرى أمام عينيه سفن البيزنطين تتعرض لسواحل بلاد المسلمين بصورة مستمرة، ويرى أن المسلمين لم يقاوموا هذه القوة التي تزعجهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا أمامها شيئا، رأى أن يعاملهم بالمثل وأن يركب المسلمون البحر، ويخوضوا هذه التجربة، إلا أنه لم يستطع أن يقدم على شيء إلا أن يطرح الأمر على الخليفة آنذاك وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستأذنه في ركوب البحر والغزو فيه، فلم يأذن له عمر، وقال: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، وكان عمر يمنع الغزو في البحر شفقة بالمسلمين(٣).

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية ص: ١٥٥.

(٢) إسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص: ٣٩١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ١٥٣، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٥٩-٢٦٠، ابن = =

ثم طرح الأمر أيضا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أيضا في بداية الأمر رفض له ذلك، ثم أعاد عليه مرة أخرى وهوَّن له الأمر، ولم يزل به حتى عزم عثمان بعد ذلك بآخرة، وأذن له وقال: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خَيِّرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه، وأمره أن يركب البحر مع امرأته(١).

وهكذا بدأ معاوية رضي الله عنه بالمسلمين ركوب البحر والغزو فيه ومنافسة الروم فيه، وبهذا يعتبر معاوية أول من رسم سياسة العرب المسلمين إزاء البحر المتوسط، وعمل على حل المشكلة البحرية التي اعترضتها منذ فتوحاتهم الأولى في الحوض الشرقي من هذا البحر، أمام ذلك أدرك معاوية الضرورة اللازمة لبقاء المسلمين في هذا البحر لأنه المنطقة التي دارت عليها أحداث النزاع بين قوى العالم الكبرى من أجل السيطرة عليه، ووضع معاوية خطة سليمة لتحقيق أهدافه البحرية، وتعتبر فترة ولايته على الشام نقطة البداية في بناء البحرية العربية الإسلامية(٢).

وبعد ما أذن له أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بدأ الغزو في البحر الأبيض فغزا جزيرة قبرص، وصالح أهلها على جزية مقدارها ٧٠٠٠دينار يؤدونها للمسلمين كل سنة، وكان ذلك سنة ٢٨هـ،(٣).

ثم خاض الأسطول الإسلامي معركة أخرى من كبرى المعارك البحرية مع الروم وهي معركة ذات الصواري، وكانت بقياد عبد الله بن سعد بن أبي السرح(٤)، وذلك

= =

الجوزي: المنتظم، ٣٦٤/٤.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ١٥٣، و الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٦٠/٤.

(٢) إسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص: ٣٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٦٠/٤-٢٦٢، ابن الأثير: الكامل، ٤٦٨/٢.

(٤) عبد الله بن سعيد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب العامري، الأمير قائد الجيوش، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أسلم قديما وكان يكتب الوحي، فارتدَّ، وأهدر النبي صلى = =

أن الروم وجهوا سفنا حربية بلغت حوالي خمسمائة مركباً، لاستعادة السواحل الأفريقية، وواجههم المسلمون في البحر ودارت معركة كبرى أبلى فيها المسلمون بلاءا حسنا حتى نصرهم الله وهزم الروم، وكانت هذه المعركة سنة ٣١هـ[١]، ورفعت هذه المعركة من معنويات المسلمين وشجعتهم على مواصلتهم في هذه التجربة.

ومنذ ذلك الحين انطلق الأسطول الإسلامي وبدأ ينافس الأسطول الرومي في هذا البحر وبكل قوة، بل ويتفوق عليه في أكثر الأحيان ويوقع عليه الهزائم تلو الهزائم.

ولما ولي معاوية الخلافة عَنِي بإنشاء السفن الحربية لصد غارات الدولة البيزنطية على البلاد الإسلامية ورتب لغزوها الشواتي و الصوائف، ووضع نظاما يكفل استمرار الحرب بينه وبينهم صيفا وشتاء، وبلغ أسطول الشام ١٧٠٠ سفينة[٢].

وقد وكل بناء هذا الأسطول إلى عناصر خبيرة في صناعة المراكب البحرية في البلاد المفتوحة في كل من مصر والشام، وبخاصة القبط، الذين ساهموا بنصيب كبير في بناء الأسطول الإسلامي في دور صناعتهم[٣].

واهتم معاوية رضي الله عنه ببناء الأسطول الإسلامي وجعله من أولويات

= =

الله عليه وسلم دمه، فاستأمنه عثمان يوم فتح مكة ثم رجع إلى الإسلام، له صحبة ورواية حديث، ولي مصر لعثمان، وفتح أفريقية، مات بعسقلان سنة ست وثلاثين، وقيل توفي بالرملة سنة تسع وخمسين، (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤٩٦/٧، وأبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٦٧٠/٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩/٢٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٣/٣،)

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٨/٤.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام، ٤٨٣/١.

(٣) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٥١.

اهتمامه عندما وصل إلى السلطة، وآلت إليه الخلافة، واستقرت أحوال المسلمين؛ حيث أنشأ دوراً لصناعة[1] السفن في مصر والشام، واختار لها أمهر الصناع وأغدق عليهم الأجور والهبات حتى يبذلوا قصارى جهدهم في العمل، وقد أدى هذا التعاون الذي كان بين مصر والشام في هذا المجال سواء من حيث المواد الخام اللازمة لصناعة السفن، أو الأيدي العاملة المدربة إلى بروز الأسطول الإسلامي قوة ضاربة في البحر المتوسط في وقت قياسي، بحيث لم يقف نداً للأسطول البيزنطي فقط، وإنما انتزع منه السيادة على هذا البحر، ففي الشام كانت تتوفر أخشاب الصنوبر القوي والبلوط والعرعر التي تصلح لبناء السفن، وفي مصر كانت توجد أخشاب الصنط التي تصلح لعمل الصواري، وضلوع جوانب السفن، وخشب الجميز والبلخ والدوم التي تصلح لصناعة المجاديف، كذلك استغل معاوية معدن الحديد الذي كان متوفرا في مصر والشام واليمن لدعم المسامير والمراسي والخطاطيف والفؤوس، كما كان يتوفر في مصر مادة القطران اللازمة لطلاء السفن، ونبات الدقس التي كانت تصنع منه الحبال[2].

وهذا التعاون شجع الدولة لتطوير الأسطول سريعا في مجال البحرية الإسلامية، والاستفادة من البعض؛ لأن من الطبيعي أنه إذا توفر شيء هنا فإنه يفتقر إلى شيء آخر، فكان لا بد من ربط هذه بتلك حتى تكتمل الأمور، وتسير الأحوال على هذا الشكل الذي أغاظ ولا شك البيزنطيين وحسبوا له ألف حساب.

ومع هذه الطفرة الهائلة في صناعة الأسطول الإسلامي في عهد معاوية رضي الله

---

(١) دار الصناعة: يراد بها تلك المعامل التي تقام على ساحل بحر أو شاطئ نهر لبناء السفن، وهي ما يعبر عنه اليوم بالترسانة والترسخانة، وكانت أول دار صناعة بنيت كانت في جزيرة الروضة، سنة ٥٤هـ وظلت الصناعة فيها حتى عهد الطولونيين (زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ص: ٢١٠،سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص: ٣١١، والرفاعي: النظم الإسلامية، ص:١٥٨-١٥٩).

(٢) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ٢١٥-٢١٦.

عنه بدأ يُرسل السفن الحربية لفتح الجزر في البحر المتوسط ففي عام ٥٢هـ[١]، و٥٤هـ، أرسل جنادة بن أبي أمية الأزدي[٢]، فاستولى على عدة جُزر[٣] في البحر الأبيض المتوسط من الروم وأجلاهم عنها[٤].

وكل هذا تمهيدا لحصار القسطنطينية، وغزوها حيث إنها كانت مركز إزعاج للمسلمين، ومنطلق الروم للإغارة على الدولة الإسلامية فرأى معاوية أن فتح هذه المدينة والاستيلاء عليها ضروري لإسقاط هذه القوة والتخلص من الروم إلى الأبد، كما فُعل بالفرس بعد الاستيلاء على عاصمتهم المدائن.

ولما أحكم المسلمون السيطرة على سواحل الشام ومصر، بل وفتحوا عدة جزر في البحر المتوسط، وجهزوا أسطولا قويا بسبب الجهود الجبارة التي بذلتها الدولة لهذا الصدد، تطلعوا إلى غزو القسطنطينية، بدأ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يجهز جيشا ضخما للقيام بهذه المهمة، براً وبحراً وذلك سنة ٤٩هـ[٥]، فحاصر الأسطول الإسلامي القسطنطينية، ومع أن هذه الغزوة لم تحقق أهدافها، إلا أنها

---

(١) وقيل ٥٣هـ، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٨٨).

(٢) جنادة بن أبي أمية كريب الدوسي الأزدي من كبراء التابعين وقيل بل هو صحابي، لأبيه صحبة وأدرك وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وسكن الأردن وقدم دمشق، ولِي غزو الروم في البحر لمعاوية وشهد فتح مصر، توفي سنة ثمانين، وقيل سنة خمس وسبعين، وقيل سنة سبع وسبعين(ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٢٤٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١/٢٩٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٦٢).

(٣) من هذه الجُزر، جزيرة رودوس، وهي من أخصب الجزر فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة، وجزيرة أرود، وأقريطش وغيرها.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص:٢٣٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٨٨، وص: ٢٩٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٣٢، وابن الأثير، الكامل، ٣/٥٦، وذكر قول آخر في تاريخ الغزوة، وهو أنها حصلت سنة ٥٠هـ.

كانت إنذاراً شديد اللهجة للروم مفادهُ أن أسطول المسلمين لم يعد يكتف بالدفاع فقط؛ بل هو قادر على تهديد العاصمة والاستيلاء عليها في أي وقت.

وقد اعتمد العرب لما أنشئوا أسطولهم في البحر المتوسط على سكان البلاد المفتوحة في صناعة السفن أو في الملاحة، ثم ظهر منهم صناع تفننوا في عمل السفن البحرية واشتهر أشخاص برعوا في الثقافة البحرية، وكانوا يصنعون السفن على أشكال وأنواع متعددة وأحجام مختلفة(١)، تتفاوت شكلا وجرما وقوة، فمنها الحربية، ومنها التجارية ومنها ما هو للرحلة والنزهة فقط(٢).

ومن أنواع السفن التي كانت موجودة في تلك الفترة ما يلي:

"الشونة" وهي مراكب كبيرة كانوا يقيمون فيها أبراجا وقلاعا للدفاع، و"الحراقة" كانوا يحملون فيها منجنيقات يرمى بها النفط المشتعل على الأعداء، و"الطرادة" وهي سفينة صغيرة سريعة الجري، و"العشاريات" وهي مراكب يسار بها في النيل، وهناك سفن أخرى لأغراض أخرى مثل الشلنديات، والمسطحات، وغيرها، وكانوا يبنون سفنهم على مثال سفن اليونان والرومان، لأنهم أخذوا هذه الصناعة عنهم وعدلوها(٣).

وهكذا فإن السفن تختلف باختلاف مهماتها، وقوتها فمنها لحمل الأسلحة والذخيرة، ومنها لحمل الجنود المقاتلين، ومنها سفن صغيرة الحجم، سريعة الجري، وهي غالبا ما تستخدم لأجل المراسلات، والمهمات السريعة الخاطفة، وكل سفينة لها مهمة.

كما أن السفن كانت مقسمة إلى قسمين: سفنٌ للحرب مجهزة بالأسلحة

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٥٩.

(٢) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص: ٣٢٧.

(٣) زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ص: ١/٢١٠-٢١١، وسعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص: ٣٢٨-٣٧٣.

والمقاتلين، وسفن نِيلية لحمل القمح والبضائع، وأيا ما كان شكل السفينة وحجمها، فإن الجزء الغائص من هيكلها في الماء صمم على شكل الحوت[١]. وأيضا كانت سفن المسلمين أضخم من سفن البيزنطيين، غير أنها في الغالب كانت أقل منها سرعة[٢].

وكانت هذه السفن الحربية إذا ما أرادت الغزو تتجهز بكل ما تحتاج إليه من معدات وأسلحة، وذخائر، وكانت معدات السفن تختلف باختلاف أحجامها، وأسلحتها أيضا غالبا تختلف عن ما يجهز به جيش البر، وذلك أن أكثر سلاح السفن من الأسلحة الخفيفة.

ومن أشهر معدات السفن الحربية هي الأسلحة البريَّة تقريبا، ويضاف إليها الكلاليب، والباسليقات . وهي سلاسل في رؤوسها حديد تكسر كل ما تقع عليه لشدة دفعها . والعرادات، وكانوا يجعلون في أعلى الصواري صناديق مفتوحة من أعلا ها يسمونها التوابيت يصعدون إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق، وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للاشتعال، أو جررا النورة، تعمي الرجال بغبارها، وقد تلتهب عليهم إذا تبددت، أو يرمون عليهم قدور الحيات والعقارب[٣] أو قدور الصابون اللين فإنه يزلق أقدامهم، ومن أهم المعدات المركبة في السفينة،"اللجام" وهي أداة كالفأس طويلة محددة الرأس جدا وأسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من أسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها السطام فيصير اللجام كأنه سنان رمح بارز فيحتالون لطعن المراكب

(١) الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص: ٢٥٨.

(٢) حسن: النظم الإسلامية، ص: ١٧٨.

(٣) وهذا أشبه ما يكون ما يسمى اليوم بالقنابل الجرثومية.

فيخرقها وتنصب المياه فيها حتى تتعرض للغرق فيطلب أصحابها الأمان[1].

أما عن وسائل الدفاع التي كانوا يستخدمونها لحماية السفن فهي أيضا أنواع كثيرة وتختلف باختلاف المراكب، أو الأحوال، فمن هذه الوسائل:-

أنهم كانوا يعلقون حول المراكب من الخارج اللبود المبلولة بالخل أو الماء والشب والنطرون أو الخطمي المعجون بالخل فإن هذه مواد تقاوم فعل النفط، ومن احتياطهم في أثناء الحرب أنهم إذا جن الليل لا يشعلون في مراكبهم نارا ولا يتركون فيها ديكا، وإذا أرادوا المبالغة في الاحتياط أسدلوا على المراكب قلوعا زرقا كي لا تظهر عن بعد[2].



---

(١) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، ص: ٢٠٣-٢٠٤، والرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٦٤.

(٢) زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ٢١٢/١.

الفصل الرابع

النظام الإداري في خلافة معاوية رضي الله عنه وفيه سبعة مباحث.

المبحث الأول: تقسيم الولايات وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: تعيين الولاة والعمال على الأمصار.

المبحث الثالث: صلاحيات الولاة وسلطاتهم.

المبحث الرابع: الدواوين وفيه أربعة مطالب.

المبحث الخامس، اتخاذ الحرس الشخصي.

المبحث السادس: نظام إنشاء المدن وتعميرها.

المبحث السابع: الاهتمام بالمساجد.

المبحث الأول: تقسيم الولايات وفيه خمسة مطالب.

كانت المدينة المنورة هي عاصمة الإسلام الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مقر المسلمين، وكانت الشؤون الإدارية كلها تنطلق من توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم، مباشرة فهو المباشر لها، وذلك أن الدولة لم تتوسع كثيرا في بداية الدعوة الإسلامية، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لغزوة أو نحو ذلك من المدينة فإنه يُعين عليها من ينوب عنه في سفره لإقامة الصلاة وغير ذلك، فلما توسعت الدولة في عهده وفتحت مكة وغيرها من المناطق في شبه الجزيرة العربية كان يُرسل إليها عمالا يقومون بشؤونها، بنشر الإسلام، وإقامة الصلاة، وجمع الزكاة، وغير ذلك من الأعمال التي يكلفهم بها مع الرجوع إليه عليه الصلاة والسلام في الأمور المصيرية التي يصعب عليهم البت فيها.

ولما كان عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم توسعت الفتوحات الإسلامية وأصبح الخليفة في المدينة المنورة،كان العمال يباشرون أعمالهم التي لم يتسن للخليفة أن يقوم بنفسه عليها؛ ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له عمال يباشرون العمل في بعض المناطق، فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى الخلافة أبقى عُمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أماكنهم[1]ولم يعزل منهم أحداً.

وقد قُسِّمت الدولة في عهده إلى عدة ولايات، وهي مكة والمدينة والطائف وصنعاء وحضرموت ونجران والبحرين[2]، وأما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اتسعت مساحة الدولة الإسلامية بسبب الفتوحات الكبرى، فكان لابد من تقسيم الدولة إلى ولايات إدارية كبرى ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، فاختار لها ولاة أكفاء مع المراقبة الدائمة، والتحري الدقيق الذي كان معروفا عن عمر

---

(١) ولا شك أن تولية النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء العمال هي تزكية لهم.

(٢) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٧٣.

رضي الله عنه ولم يتساهل في ذلك.

والولايات التي كانت في عهد عمر رضي الله عنه هي: ولاية الأهواز، والبحرين، وولاية سجستان وكرمان، وولاية طبرستان، وولاية خراسان، وجعل العراق قسمين، الكوفة والبصرة، وبلاد الشام قسمين أيضا أحدهما حاضرته حمص، والثاني حاضرته دمشق وجعل فلسطين قسما قائما بذاته، بالإضافة إلى ولاية مصر[١].

وهكذا استمر تقسيم الولايات في العهد الراشدي، وكلما امتدت الفتوحات الإسلامية، يرسل الخليفة واليا على الولاية إن كانت ذات أهمية كبرى، أو يسند إدارتها إلى أقرب ولاية ويكون والي تلك المنطقة هو المشرف عليها.

ولما آلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، كانت الدولة الإسلامية قد اتسعت رقعتها، فقسمها إلى عدة ولايات كبرى حتى يَسْهل إدارتها والإشراف عليها، وفي هذا المبحث سوف أتناول الولايات الكبرى التي كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وفق المطالب التالية:

---

(١) حسن: النظم الإسلامية، ص: ١٤١.

المطلب الأول: ولاية الكوفة[1].

ولاية كبرى من أكبر الولايات في الدولة الإسلامية، وهي من الولايات المهمة منذ تأسيسها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان تخطيطها سنة سبعة عشر من الهجرة، وذلك أن المسلمين بعد فتح المدائن، تغيرت ألوانهم، بسبب وُخُومة[2] المدائن ودجلة فكتب عمر بن الخطاب، إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، أن يختط لهم منزلا، وأمره أن لا يجعل بينه وبينهم بحراً[3].

فسأل من قبله عن هذه الصفة — وهي أن يكون بريا بحريا ليس بينه وبينهم بحر ولا جسر- فأشار عليه من رأى العراق، من وجوه العرب "باللّسان" وهو ظهر الكوفة، وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم [4].

وأول شيء خُط في الكوفة وبُني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع السوق، فاختطوه، ثم أقام رجلا في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربعه غلوه من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمه ليس لها مجنّبات ولا مؤخرات، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا، وخططوا الشوارع وجعلوها على مقادير معينة تتفاوت مابين ٤٠، و٣٠ و٢٠ ذراعا،

---

(١) الكوفة: بضم الكاف المصر المشهور بأرض بابل العراق سميت بذلك لاستدارتها، وقيل لاجتماع بها، وهي اليوم تقع في جمهورية العراق تقع في محافظة النجف، على شاطئ نهر الفرات،(الحموي: معجم البلدان، ٤٩١/٤، الحربي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة، ص: ٢٦٦-٢٦٧، الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص: ٨٠).

(٢) بلدة وخام ووخمة ووخيمة وموخمة، أي لا ينجع كلأها ولم توافق ساكنها، (الجوهري: الصحاح، ٢٠٤٩/٥، وابن منظور: لسان العرب ٦٣١/١٢).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤١/٤.

(٤) الدينوري: المعارف، ص: ٥٦٤-٥٦٥، البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٧٠ .

والأزقة حوالي ٧ أذرع [١] .

ومنذ ذلك الحين سكنها المسلمون، وصارت ولاية من الولايات المهمة في الدولة وصارت منطلق الجيوش، في فتوحاتهم الإسلامية، وكان الخلفاء يعينون عليها الولاة الذين لهم باع طويل في إدارة شؤونها.

والتخطيط الذي وضع للكوفة ينبئ عن نظام هندسي جميل، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب؛ إذ لم يحجب هذا التخطيط هواء البادية عن أهلها الذي نشأوا في بادية الجزيرة العربية؛ لكثرة المناهج واتساعها؛ فعاد إليهم نشاطهم واستردوا قوتهم[٢].

وهكذا صارت لهذه المدينة أهمية كبرى على مدار عهود الدولة الإسلامية، فلما جاء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، كان لها دور كبير وأهمية عظيمة، وخاصة في مجال الفتوحات الإسلامية، أو في المعارضات التي كانت ضد الدولة.

وتكمن أهميتها في أنها تتولى القتال في شمال العراق، وغيرها، وفي الوقت نفسه هي مركز ثقل بالنسبة للذين يرفضون الحكم الأموي، كما أنه يقيم فيها عدد من الخوارج الذين يعادون أيضا العهد الأموي واعتاد أهلها الخروج على الحكم ونقده كلما لان لهم الولاة فإذا اشتدوا خنعوا[٣].

وهذه الولاية تسكنها جماعات معظمها كانت عرفت حكم الأكاسرة والمناذرة فهي سَلسَة القيادة إن عرف الحاكم قيادها، على أن فيها خطرا كبيرا وهو أنها متشيعة لعلي رضي الله عنه، لكن في المقابل نجد أن أهلها يخشون الحاكم ما دام شديدا عظيم السطوة، ولكنهم إن وجدوه متساهلا معهم قاوموه وتعددت مطالبهم[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤/٤٤، الحموي: معجم البلدان،٤/٤٩١.

(٢) شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص: ٢٣٩.

(٣) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٤/٧٩.

(٤) العش: الدولة الأموية، ص: ١٤٤.

عموما هذه الولاية كانت أيام معاوية من أكبر الولايات في الدولة، ومع ذلك كان أكثر سكانها لم يكونوا راضين عن حكم معاوية رضي الله عنه لما لهم من مواقف أيام علي رضي الله عنه، فكان لا بد أن يتعامل معهم بحذر وسياسة، ولهذا نجد الولاة الذين تولوا مهمة إدارتها أيام معاوية رضي الله عنه، يتمتعون بالدهاء والذكاء مع قوة الشخصية.

ونجد الولاة في هذا المصر بعض الأحيان من أعنف الولاة وأقساهم، وكان السكان يقبعون في بيوتهم ويتركون من تعهدوا نصرته إذا لاحت لهم الشدة[1].

وكان الولاة مع القسوة التي كانت فيهم؛ كان بعضهم يتحلى بالذكاء والحنكة فكان يعامل الناس، باللين الذي يختلط بنوع من الدهاء بحيث لا يعطيهم فرصة أن يحدثوا حدثا يخل باجتماع الكلمة.

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٧٩/٤.

المطلب الثاني: ولاية البصرة.

ومن الولايات الكبرى في الدولة الإسلامية أيام معاوية رضي الله عنه البصرة، وهي مدينة تقع في العراق، وهي من أقدم المدن الإسلامية، تقع عند ملتقى نهر دجلة والفرات،و هو ما يعرف بشط العرب[١]،وكان أول تأسيسها أيام أمير المؤمنين عمر بن ا لخطاب رضي الله عنه، فقد كتب إلى قائده[٢] هناك، أن يجمع أصحابه في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والرعي واكتب إلي بصفته، فكتب إليه يقول: إني وجدت أرضا كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة المشارب والمراعي والمختطب وكتب إليه أن يُنزلها الناس، فأنزلهم إياها، فبنو مساكن من قصب، وبنى عتبة مسجدا من قصب، وذلك سنة ١٤هـ[٣].

فأنشئ بها أولا المسجد، وبني بجواره دار الإمارة، وحوله خطط، لكل قبيلة خطة ومسجد ومقبرة، وقد اتخذت الدور من الغاب أولا، ولما وجدوا أن الغاب لا يقوى على مقاومة الحريق بنو الدور باللبن[٤] ثم بنوها في عهد زياد بن أبيه بالآجر والحجارة بعد أن اتسعت ثروتهم[٥].

---

(١) البكري: المسالك والممالك، ٤٣١/١، الحموي: معجم البلدان، ٤٣٠/١، شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: ٢٣٣.

(٢) وهو عتبة بن غزوان رضي الله عنه

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص:٣٣٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥٩٠/٣.

(٤) وذلك في عهد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (الحموي: معجم البلدان، ٤٣٣/١).

(٥) الحموي: معجم البلدان، ٤٣٣/١، وحسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي. ٥١٧/١، وبناء على ماورد في المتن يمكن القول بأن البصرة مصرت وفق التنظيم القبلي في بداية أمرها مثلها في ذلك مثل بقية المدن التي أنشأت في الدولة الإسلامية مثل الكوفة والقيروان وغيرها.

وهي على مقربة من الكوفة، لكن فتوحات المشرق تتبعها، ومن هنا تأتي أهميتها؛ إذ تعد من أوسع الولايات؛ وواليها هو الذي يرسل الأمراء منها إلى الإمارات التي تتبعها وإن كان الخليفة أحيانا يُعينهم، أو يأمر بإرسال أشخاص بعينهم، وأحيانا قليلة يكونون منفصلين عن البصرة[1].

ولهذا نجد ولاة هذه المدينة من كبار الولاة ومن السياسيين المحنكين الذين لهم خبرة كبيرة في اصطفاء الرجال المناسبين، حيث إنهم كانوا يشرفون على الفتوحات التي توجه إلى شرق الدولة، بالإضافة إلى إدارة شؤون الولاية بتعدد مراكزها وتنوع سكانها، علما أن هذه الولاية منذ نشأتها بدأت تتطور بسرعة هائلة، والناس يفدون إليها من شتى الأماكن والبقاع.

ولم يكد يمضي على تأسيس البصرة عشرون عاما حتى أصبحت من أهم مراكز التجارة في العالم الإسلامي وخاصة في التجارة بين الهند والصين بحرا، وبذلك حلت محل الأُبلة على الخليج الفارسي، ولم تلبث أن أصبحت مقصد القوافل ومحط رجال الشرق والغرب من مجاهل الصين، إلى مفاوز الصحراء الكبرى[2].

أما من الناحية السياسية فإن القبائل النازحة إلى البصرة كانت على وجه الإجمال بدوية الأصل، أقامت في البصرة مع الفتوح وبعد الفتوح، وأحاطت بجهات البصرة وامتدت إلى الأهواز وغيرها، فهم في مجملهم عدة أقسام، منهم من كان لا يفهم النظام ولا الحرية، يعيش ببداوته على طراز الجاهلية من الثأر والنهب والغزو وما شابهه، ومنهم من تطرف في الإسلام فأخذ يكفر كل من خالفه، ويوجب قتله إلا إذا اعترف بأنه كافر وتاب من كفره وهذا القسم يتألف من الخوارج، فالشأن في البصرة كان في اضطراب وشغب مستمر، والحالة كانت تنذر بأسوأ مما هي عليه[3]. ولا

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٧٩/٤.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٥١٧/١.

(٣) العش: الدولة الأموية، ص:١٤٥.

شك أنه وجد فيها من كان على غير هذين القسمين من الصالحين، والعلماء، وذوي الرأي الرشيد الذين كان اهتمامهم منصبا على الجهاد والفتوحات الإسلامية، ومحاربة أولئك الخوارج، والمفسدين، الذين كان همهم إرعاب الناس، والتعدي على أموالهم وأعراضهم، ولهذا اهتم الخليفة معاوية رضي الله عنه بهذا المصر، وجعل ولا يته على رجال كان لهم دور كبير في استتباب الأمن.

المطلب الثالث: ولاية المدينة.

المدينة المنورة هي عاصمة الإسلام الأولى، ومهبط الوحي ومهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنطلق شعاع الإسلام في الأرض، وحاضرة الخلافة الراشدة ومنها انطلقت جيوش المسلمين الفاتحين، ومنها كانت تُدار الدولة الإسلامية على مدار عقود من الزمن، حتى بعد أن انتقلت الخلافة إلى غيرها .

وتعد المدينة من أهم الولايات ومركز الثقل بالنسبة إلى الخلافة، إذ فيها الصحابة وأبناؤهم من المهاجرين والأنصار ولا تكاد تنعقد البيعة إذا لم يبايع أهل المدينة، إذ فيها عدد من أهل الحل والعقد ومن يطيعه الناس ويسيرون برأيهم(١) .

وتكتسب المدينة أهمية سياسية متميزة بين الولايات المختلفة في زمن الخلفاء الراشدين لعدة أسباب على رأسها أنها مقر الخلافة، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية، ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة، يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان الخليفة يمنعهم من الانتشار في الأمصار، لذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم الذين يريدون أن يأخذوا القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وفقههما من أفواه الصحابة رضي الله عنهم مباشرة(٢) .

وظلت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية وحاضرة الخلافة الراشدة حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خرج منها نظرا للأحداث التي كانت في عهده فاضطر للخروج منها إلى الكوفة وبذلك حولت العاصمة في عهده إلى الكوفة، وصارت المدينة ولاية من الولايات التابعة له حيث عيَّن عليها عددا من الولاة لإدارة شؤونها.

وفي عهد معاوية رضي الله عنه، صارت المدينة إحدى ولايات الدولة، بل من

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٨١/٤.

(٢) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص: ٩٣.

أهم الولايات إن لم تكن أهمها، وذلك أن معاوية رضي الله عنه عرف لها أهميتها وتأثير أهلها على شؤون الدولة وإدارتها، ولذلك عندما آلت إليه الخلافة ذهب إليها بنفسه.

فكان دخول المدينة في خلافة معاوية بعد عام الجماعة سنة ٤١هـ حيث قدم معاوية المدينة عام الجماعة، ولا بد أنه قدم لتأكيد البيعة له وفرض سلطانه، وحدد سياسته في الخطبة التي ألقاها[١].

وعلى أية حال فإن المدينة في عهد معاوية كانت هادئة، نوعا ما بعد مبايعته، وانشغل أهلها وفيهم الكثير من الصحابة الذين حضروا التنزيل، بنشر العلم للناس، وأصبحت قلوب الناس تهفوا إليها لتنال العلم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وكان معاوية رضي الله عنه، يراعي كل من قدم إليه من أهل المدينة، ويُجزل لهم العطاء، ويولي عليهم من يراه مناسبا لهذا البلد مع توصيته بهم، وكان الوالي على المدينة يشرف على شؤونها الإدارية إضافة إلى قيامه في بعض الأحيان بإمرة الحج.

---

(١) شراب: المدينة في العصر الأموي، دراسة سياسية وإدارية، ص:٧٠.

المطلب الرابع: ولاية مكة.

لم تكن مكة المكرمة بأقل شأنا من المدينة فهي من الولايات الكبرى في الدولة الإسلامية ولها أهمية كبرى بين الولايات الإسلامية، ولهذا كان اهتمام الخلفاء بها اهتماما كبيرا وذلك لمكانتها الدينية، والسياسة.

وبديهي أن مكة المكرمة اكتسبت أهمية خاصة في الدولة الإسلامية تميزت بها عن بقية الأمصار، وذلك لأسباب دينية معروفة(١).

وبعد أن فتحها النبي صلى الله عليه وسلم ترك عليها واليا وهو عتاب بن أسيد رضي الله عنه، وظل واليا عليها حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وفرض الرسول صلى الله عليه وسلم لعتاب درهما كراتب في كل يوم(٢).

وهكذا أصبحت مكة من أهم الولايات أيام الخلفاء الراشدين فكانوا يعينون عليها الولاة، وقد كانت في عهد الخلفاء الراشدين ملتقى الأمراء والولاة من مختلف الأصقاع بالخليفة في موسم الحج حيث كان الخليفة في العهد الراشدي غالبا يكون هو الذي يحج بالناس، وبالتالي كان لمكة دور أساسي كبير كإحدى الولايات الرئيسية للدولة الإسلامية(٣).

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حُفظت لها هيبتها ومكانتها الإسلامية، لأهميتها الدينية، حيث يُقام فيها أحد أركان الإسلام، ويقع فيها المسجد الحرام، فكان ولا شك اهتمام معاوية بها كبيرا، وكان يولي عليها الرجال الأكفاء، وكان الوالي على مكة غالبا يكون هو أمير الحج ، إذا لم يكن حج الخليفة بنفسه أو

---

(١) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص: ٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٩٤/٣، و عبد الشافي: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص:١٥٦.

(٣) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص: ٩٢.

أرسل أحداً من عنده يكون أميرا للحج، فكان على عاتق والي مكة مهمة كبيرة ربما أكثر من غيره لمكانة مكة المكرمة الدينية.

وقد يُشرف والى مكة في بعض الأحيان على مدن أخرى غيرها، حيث تكون الطائف تابعة له في بعض الأحيان، وفي بعض الأحيان أن كليهما تكونان تابعتين لوالي المدينة المنورة فهو الذي يشرف على شؤونهما الإدارية[1].

---

(١) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٤/٨٢.

المطلب الخامس: ولاية مصر.

من أكبر الولايات في الدولة الإسلامية في عهودها المختلفة فمنذ أن فتحها المسلمون، صارت من أهم ولاياتهم، وذلك لما تملكه من ثروات بشرية، وزراعية، وبحرية، وغيرها، بل إن النزاع فيها مع الروم كان مستمراً وذلك أنها كانت قبل المسلمين إحدى ولايات الروم وبعد أن فتحها المسلمون كانت حسرة الروم فيها كبيرة، ومحاولاتهم لاسترجاعها مستمرة إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك وكان المسلمون لهم بالمرصاد.

فكانت مصر قبل الفتح ولاية تابعة للإمبراطورية البيزنطية، تعين عليها واليا من قبلها وكان لهذا الوالي بعض الصلاحيات؛ إلا أنه كان يتصل بالقسطنطينية ويأخذ منها الأوامر مباشرة(١). وقد توجه عمرو بن العاص رضي الله عنه إليها مع جيشه الإسلامي من الشام لفتحها أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢).

وبعد فتحه مصر اتخذ من الفسطاط حاضرة له ومنها توجه إلى الإسكندرية وفتحها، ومع أنها كانت حاضرة البيزنطيين إلا أن عمرو بن العاص لم يتخذها كذلك لأنها تشرف على البحر، وبما أن العرب لم تكن أمة بحرية آن ذلك، لم يكن بد من أن يتخذوا حاضرتهم الجديدة في مصر في نقطة برية سهلة الاتصال ببلاد العرب،

---

(١) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص: ١٠٢.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ص: ١٤٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٠٤/٤، وذكروا أنها فتحت سنة ٢٠ وقيل سنة ١٩هـ، ذكره (الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٩)، وقيل أنها فتحت سنة ١٦،هـ وقال النويري: بعد ذكره القولين ٢٠و١٦، و" والصحيح أنها فتحت قبل عام الرمادة سنة ثماني عشرة فإن عمر حمل منها الطعام إلى المدينة" (النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨٤/١٩)، ويُرجح العمري: في الولاية على البلدان، ص: ١٠٣ أنها فتحت عام ١٦هـ.

أضف إلى ذلك حكمة عمرو بن العاص رضي الله عنه في اختيار الفسطاط، لأنه كان يستطيع فيه أن يشرف على قسمي الديار المصرية شمالا وجنوبا؛ ثم لقربه من الطريق إلى بلاد العرب(١).

وقد كان سكان مصر حين فتحها عمرو في الغالب من الأقباط وهم أهل البلاد الأصليين، بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من الروم الذين كانوا يمثلون الجنود والموظفين ورجال الدين، وكان هؤلاء أشد مقاومة للمسلمين من أهل البلاد الأصليين، وقد عامل المسلمون سكان البلاد معاملة حسنة، كما عاملوا الروم الذين كانوا في الإسكندرية -رغم غدرهم بالمسلمين غير مرة- معاملة حسنة أيضا(٢).

وبنى عمرو بن العاص رضي الله عنه مسجده بالفسطاط وهي العاصمة التي اتخذها المسلمون لولاية مصر، وهو المسجد المعروف إلى اليوم بمسجد عمرو بن العاص، وخط الناس حوله الدور والبيوت(٣)، وهذه طبعاً كانت عادة المسلمين في أي بلدة يفتتحونها ويسكنون فيها، فأول ما يقومون به أنهم يتخذون لهم مسجدا للصلاة ويبنون حوله الدور والمساكن.

وبهذا صارت ولاية مصر من أكبر الولايات في الدولة الإسلامية، وكان واليها يشرف على الفتوح المتوجهة إلى شمال أفريقيا، والمغرب عموماً، والمناطق الجنوبية إلى بلاد النوبة، بالإضافة إلى إدارة شؤونها وشؤون المناطق المفتوحة.

---

(١) حسن تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ٥١٩/١.

(٢) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص:١٠٤.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ١٣٣/١.

المبحث الثاني: تعيين الولاة والعمال على الأمصار.

لا شك أن الخليفة أو ولي أمر المسمين الذي عينوه ورضوا به، أن يسوس شؤونهم ويتفقد أحولهم؛ فإنهم حملوه المسؤولية كاملة، ومن واجبه أن يدير شؤونهم بنفسه، لكن لبُعد المسافات وتوسع البلدان، قد لا يتسنى للخليفة أن يشرف على كل شؤون الدولة بنفسه، فيضطر إلى إسناد بعض المهمات إلى من يرى فيه الأهلية فيوليه بعض الشؤون الإدارية في هذه الدولة المترامية الأطرف.

وهذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يرسل الولاة على البلدان، ويحث الناس على طاعتهم والإتمار بأمرهم في كل ما وافقوا عليه الحق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني"[1]، وقد أمر الله تبارك وتعالى ولاة الأمر، أن يولوا على المسلمين من يرونه أهلا لها، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[2]، فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين، أصلح من يجده لذلك العمل، وعليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان، والقضاة ونحوهم، ولكل من تمَّت ولا يته له الحق على أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده.[3]

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، برقم: ٢٩٥٧، ٤/٥٠، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم: ١٨٣٥، ٣/١٤٦٦، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) النساء: آية رقم ٥٨.

(٣) ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص: ٧-٨.

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عمالا في بعض المناطق البعيدة عن المدينة؛ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان في بدية نشأت الدولة الإسلامية هو الذي يدير شؤون الدولة بنفسه لأن المجتمع كان صغيرا، ومكان اجتماع المسلمين مكان واحد وهو المدينة، ولهذا لم يحتج إلى أن يسند شيئا إلى غيره؛ ولكن وبعد اتساع الدولة والفتوحات، ودخول قبائل في هذا الدين العظيم وهي مناطق في أطراف الجزيرة العربية، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمالا وولاة[١] ليعلموا الناس أمور دينهم وإدارة شؤون دنياهم مع أخذ التوجيهات منه عليه الصلاة والسلام.

وقد حرص الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، على تقليد الولاة وعمال الأقاليم، وذلك لتقوية أواصر الصلة بين الأقاليم المفتوحة وبين المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية انطلاقا من أن الإمام هو المسئول عن رعيته في أنحاء الدولة الإسلامية، وازدادت أهمية الإمارة باتساع الدولة الإسلامية وتمكين الفتوحات للإسلام في آسيا وأفريقيا، ومن ثم عَوَّل خلفاء المسلمين على عدد من الولاة الأكفاء لحكم وإدارة تلك الأقاليم[٢].

ولما تولى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما مقاليد الحكم، كانت الدولة الإسلامية في أوج اتساعها، فقد قُسِّمت إلى عدة ولايات كبرى، فأسند مهمة إدارة تلك الولايات إلى رجال أكفاء كان لهم دور كبير في إدارة شؤون الدولة، وكانوا على قدر كبير من المسؤولية، وكان لهم دور كبير في توطيد الأمن ومواصلة

---

(١) من هؤلاء العمال الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم في أطراف الجزيرة العربية: علي بن أبي طالب،في اليمن، وأبو موسى الأشعري في عدن، ومعاذ بن جبل في حضرموت، وعتاب بن أسيد في مكة، وأبان بن سعيد في البحرين، وعمرو بن العاص في عمان، وخالد بن سعيد بن العاص في صنعاء، رضي الله عنهم، وغيرهم، (تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٩٦-٩٧).

(٢) النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص:٦٨.

الفتوحات بالإضافة إلى جباية الأموال في ميزانية الدولة.

وكان ولاته أكفاء قادرين على العمل، ينتخبهم من أعظم الرجال، حتى إذا لم يجد بين يديه رجلا عظيما، أرسل إلى من يعهد فيه الكفاية إلى ولاية صغيرة، فإذا ظهرت منه مقدرة وموهبة رفعه إلى ولاية أكبر، حتى يبلغه ولاية الأقطار المهمة[1].

فكان يضع الرجل المناسب في المكان المناسب له، حسب الولاية التي يرسله إليها وحسب قوة الرجل وعمله وجهده، فقد كانت الولايات تختلف عن بعضها، وكان معاوية خبيراً باصطفاء الرجال ووضعهم في المكان المناسب لهم.

على ولي الأمر أن يستعمل الأصلح الموجود، وقد لا يكون في الموجود من هو صالح لتلك الولاية فيختار الأمثل فالأمثل، في كل منصب بحسبه، وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام، وأخذ الولاية بحقها، فقد أدى الأمانة، وقام بالواجب في هذا[2].

فمثلا كانت بلاد العراق كثيرة الشغب على معاوية رضي الله عنه، من فتن واضطراب وعدم استقرار، ولذلك استعان عليها بولاة أكفاء، من أكثر الناس صلة به، وأقواهم إلى إعادة الأمور إلى نصابها[3].

ومعاوية من الدهاة الأفذاذ ذوي كفاءة كبيرة في الإدارة، وتولى البلاد بعد اضطراب وفتن فكان لابد أن يستعين لإعادة الأمور إلى نصابها، برجال ليسوا بأقل منه كفاءة في الإدارة، ومهما اختلفوا في الشدة والتساهل إلا أنه لابد أن يعملوا عقولهم أكثر مما يعملوا سيوفهم.

فقد كان له على الكوفة مثلا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وعبد الله بن عامر ثم زياد بن أبيه ومن بعده ابنه عبيد الله كلهم على البصرة، وفي المدينة مروان بن الحكم بالتناوب مع سعيد بن العاص، ومن ذكرنا من رجال عظام أكفاء.

---

(١) العش: الدولة الأموية، ص: ١٣٩.

(٢) القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي الحياة الدستورية، ص: ٤٩٤.

(٣) الشلبي: موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ٢/٤٢.

ومعاوية غالبا يبحث عن شبيه له بين الولاة ممن يفهمون سياسته وعقليته ويجارونه بها، ولا بأس أن يتشدد بعضهم أكثر منه وأن يتساهل البعض أكثر منه لكن الأصل فيهم أن يعملوا اللسان والفكر بدل السنان، فاللسان والفكر عند معاوية أنجح وأنجع من السنان[(١)].

وبعد هذه المقدمة لنستعرض بعضا من ولاة معاوية رضي الله عنه الذين كان لهم دور كبير في إدارة شؤون الولايات في الدولة الإسلامية مع ذكر الولاية التي كانوا عليها.

أولا: البصرة:

كانت هذه الولاية من أكبر الولايات وأهمها، وكان واليها عليه عبء كبير من حيث تثبيت الأمن، واستمرار الفتوحات، إضافة إلى ما كان في هذه الولاية من مشاغبين وقطاع طرق الذين أرعبوا الناس، وكان معاوية يعرف ما يجري في دولته، إذ إنَّ الأخبار ترد إليه من أنحائها في كل وقت، ولهذا كان لابد أن يعين عليها واليا يعيد إليها الأمن والاستقرار، بالإضافة لقيامه بالفتوحات في هذه الجهة، فقد توالى عليها أيام معاوية عدة ولاة أكفاء.

منهم:

عبد الله بن عامر: فقد ولاه البصرة سنة ٤١هـ، إضافة إلى حرب سجستان وخراسان،[(٢)] ويفهم من رواية الطبري، رحمه الله، أن ابن عامر طلب ولاية البصرة بنفسه، حيث قال: "إن لي فيها أموالا وودائع فإن لم توجهني عليها ذهبت"[(٣)] وكان

---

(١) العش: الدولة الأموية، ص: ١٤٣.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٤، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٧٠/٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٧٠/٥، قال مخرجوا روايات تاريخ الطبري، اسناد هذه الرواية معضل، ١٧/٩.

في نفس معاوية رضي الله عنه أن يولي فيها غيره[١]، ثم ولاه إياها.

ولكن تعين بن عامر لأسباب شخصية فلم ترد رواية صحيحة تؤكد ذلك، ولكن اختيار معاوية رضي الله عنه له كان نتيجةً لخبرة ابن عامر السابقة في ولاية البصرة وفتح سجستان وخراسان أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فما كان من معاوية إلا أن أسند الأمر إلى أهله، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب[٢].

وقد أمضى عبد الله بن عامر، حولي ثلاث سنين، وهو يواصل الفتح وله في ذلك الباع الطويل في تلك الفترة، حتى امتدت إلى كابل[٣]،إلا أنَّ معاوية رضي الله عنه رأى أن الأمور الإدارية فيها نوع من القصور، وأن هذه الولاية تحتاج إلى رجل حازم يضبط الأمور مع استمرار الفتوحات في تلك البلاد.

مع أن عبد الله بن عامر كان واليا عليها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان يسعى إلى تهدئة الحالة فيها، إلا أن الأمر كان قد اختلف شدة عما كان عليه، ولم يكن شديدا فأفلت الزمام من يده، ورأى معاوية أنه لابد له أن يَحُل محله رجلا أحزم وأقوى منه، فنحى عبد الله بن عامر، وجعل مكانه زياد بن أبيه[٤].

ففي سنة ٤٥هـ ولى معاوية بن أبي سفيان البصرة زياد بن أبيه في ربيع الآخر منها[٥]، ولما قدمها خطب فيها خطبته المشهورة وهي التي تسمى "بالبتراء" حيث إنه لم يحمد الله فيها، وقيل إنه حمد الله فيها[٦]، فبين فيها منهجه والطريقة التي سيسلكها معهم، وهي في الحقيقة خطبة عصماء فيها التهديد، والوعيد، مع إيصال

---

(١) وهو عتبة بن أبي سفيان، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٧٠/٥).

(٢) الغيث: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص: ٢٣٤.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٠٦.

(٤) العش: الدولة الأموية، ص: ١٤٥.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٧، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢١٥/٥.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،٢١٧/٥-٢٢١.

المستحقات إلى أصحابها، وقد ظهرت فيها فصاحة زياد وموهبته في الإلقاء.

وقد عمل زياد في الأمور الإدارية قبل هذا في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأثبت جدارته في ذلك، وخاصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لا يتساهل في اصطفاء الرجال، وقد كان يختبر كل من يتحمل المسؤولية في دولته، من ذلك أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه لما كان واليا على البصرة أيام عمر بن الخطاب، استكتب زياد، ولما خرج عازيا استخلفه على البصرة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه أن يرسله إليه، فأرسله إليه، فسأله عن بعض الأسئلة ، وأمره أن يخاطب الناس فتكلم فعجب الناس من حفظه وعقله، وأمره عمر أن يكتب كتابا فعجب من سعة معرفته وتصرفه وبلاغته، ورده إلى البصرة(١).

وكان عظيم السياسة ضابطا لما يتولاه، ولي العراق عَقِب فتنة واختلاف أهواء، فضبط العراق برجال العراق، وجبى مال العراق إلى الشام، وساس الناس فلم يختلف عليه رجلان(٢).

ولهذا استعان به معاوية رضي الله عنه في إدارة شؤون البصرة في أيامه، والحقيقة أن زياداً قد قام بمعظم الإصلاحات الضرورية في ذلك الجناح الشرقي من الدولة، وكان يتمتع بمقدرة إدارية فائقة(٣)، بالإضافة إلى الشجاعة والفصاحة والبلاغة التي كان يتصف بها.

ولم يكن زياد ينتقم لنفسه من خصومه وشانئيه ولم يثبت أنه استغل نفوذه وسلطانه لمصلحته الشخصية؛ بل الذي يَهِمُّه في المقام الأول استتباب الأمن والنظام العام، وكان يعلم أن له خصوما كثيرين، وأن علاقته بالناس لن تكون هي التي توجه

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٨٧/٥-١٨٨.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ١٢٠/٢.

(٣) العقيلي: خلافة معاوية، ص: ٨٦.

سياسته لهم فلن يظلم إنسانا أو يعطيه ما لا يستحق لأنه يحبه[1].

بل إنه لم يفتش على نوايا الناس، وما يكتمونه في صدورهم تجاهه من حقد وكره، وهذا ما أكده في خطبته بقوله:"إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا، حتى يبدي لي صفحته"[2].

ومع ذلك لم يدع أحدا يعبث بأمن الناس ويفسد أمورهم، وهذا لعمري هي مهمة أي حاكم يتوخى الصالح العام في أي عصر من العصور، وله بعد ذلك بعض العذر إن أخطأ أو تجاوز الحد، فالعصمة من الخطأ لله وحده سبحانه وتعالى[3].

وكان زياد يقظا كل اليقظة عارفاً بما يجري حوله، مستعملاً الرأي السديد؛ أما الوسائل التي بين يديه، فشرطة عددها لم يتجاوز ما كان عند الولاة الآخرين، لكنها شرطة تأتمر بأمره وتطيعه، ويشرف عليها إشرافاً شديداً، وما مضى زمن طويل حتى استكانت البصرة وعاد الأمن إلى نصابه بل طأطأ الخوارج رؤوسهم أمامه، فقد قُوبلوا بأعنف منهم، ولو حسب حاسب عدد من قتلهم أو نكل بهم زياد، لما بلغوا إلا عدداً يسيراً بالنسبة لما فعله غيره، أضف إلى ذلك أنه لم يستعمل جيشا أبدا[4].

وبعد موت المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن ولاية الكوفة، ورأى معاوية رضي الله عنه ضبط زياد للبصرة، وإدارة شؤونها واستقرار الأمن وفيها، قرر أن يضم إليه الكوفة أيضا وبهذا يكون زياد أول وال جمعت له العراق[5].

وأيضا من ضمن الولاة الذين وُلُّوا البصرة وكان لهم أثر كبير، عبيد الله بن

---

(١) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص:٤٧٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٢٠.

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص:٤٧٠.

(٤) العش: الدولة الأموية، ص:١٥٠.

(٥) العسكري: الأوائل ٢٩٩.

زياد[1]،فقد ولاه معاوية إياها سنة ٥٥هـ[2]، وقد ظل واليا عليها حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ثانيا: ولاية الكوفة.

وقد تولى هذا المصر أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عدة ولاة، أهمهم:

المغيرة بن شعبة، حيث جعله فيها واليا سنة ٤١هـ[3]، وقد سار في الناس سيرة لين ودهاء[4].

كان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه صحابياً جليلاً، ومع ذلك كان من الدهاة الأفذاذ وقد ولي الإمارة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولذلك يعتبر هو من المخضرمين في تولي الإدارة وشؤونها، ولهذا استعان به معاوية رضي الله عنه لخبرته السابقة، ولدهائه وحسن إدارته وقد رمى به أهل الكوفة.

وقد عامل المغيرة أهل الكوفة على حسب عاطفتهم التي تميل إلى أهل البيت فهو ترك لهم هذه العاطفة ماداموا لا يعملون فَلْيتكلموا؛ فما ضرر هذا إذا لم ينتج عنه شيء؟ على أنه عليه أن يدفع العصيان إذا ظهر، وعليه أن يضرب بشدة، فكان يعاملهم بسياسة أكثر منها بالإرهاب، وقد أعجب به أهل الكوفة ورضوا عنه وما

---

(١) عبيد الله بن زياد بن أبيه أبو حفص، أمير العراق، ولي البصرة سنة ٥٥هـ وله اثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان فكان أول عربي قطع نهر جيحون، وكان جميل الصورة، قبيح السريرة، سفاكا للدماء، قتل سنة ٦٧هـ يوم عاشوراء،(ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٣٣/٣٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٤٥/٣).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٢٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٩/٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٦٦/٥.

(٤) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٧٩/٤.

وجدوا له مثيلا[١].

وهكذا استمر المغيرة في ولاية الكوفة، وإدارة شؤونها، بالإضافة إلى محاربة الخوارج، والاستمرار في الفتوحات، والإصلاحات الداخلية في الولاية، حتى وفاته وذلك سنة ٥٠هـ، وبعده أسندت ولايتها إلى زياد بن أبيه فظل واليا على الكوفة والبصرة فكان أول من جُمعت له العراق[٢]، ووليهما حتى وفاته سنة ٥٣هـ، وقد توفي بالكوفة [٣]، وكان ممن تولاها بعده من الولاة الضحاك بن قيس الفهري[٤]، حيث ولاه إياها معاوية بعد وفاة زياد، وذلك سنة ٥٣هـ[٥].

ثالثا: ولاية الحجاز:-

المدينة المنورة من الولايات المهمة كما أسلفنا، وتكمن أهميتها لوجود الصحابة وأبنائهم بالإضافة إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فكان لابد أن يولي هذه الولاية أهمية خاصة، وقد كان الولاة الذين يختارهم لهذه الولاية على قدر كبير من الإدارة، وغالبا ما كان يولي عليهم من قرابته، ولا يُوليه إلا بعد أن يختبره في إدارة ولايات أقل منها يعني أن الذي يتولى المدينة يكون قد حذق وتولى الإدارات قبلها لحساسيتها.

---

(١) العش: الدولة الأموية، ص: ١٤٤-١٤٥.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢١١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٤/٥.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢١٩.

(٤) الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب الفهري، القرشي، الأمير، عداده من صغار الصحابة، شهد فتح دمشق وسكنها، ولاه معاوية الكوفة بعد وفاة زياد بن أبيه سنة ٥٣هـ وكان جوادا ، قتل بمرج راهط، سنة ٦٤هـ،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤١٠/٧، أبو نعيم: معرفة الصحابة، ١٥٣٧/٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٤١/٣).

(٥) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢١٩.

فأول من تولى إمرة المدينة في عهده: مروان بن الحكم، وذلك سنة ٤١هـ[١]، واستمر فيها حتى سنة ٤٨هـ[٢]، وهذه كانت ولايته الأولى على المدينة، ثم ولاها مكانه سعيد بن العاص، واستمر في ولايته عليها حتى سنة ٥٤هـ، وأعاد فيها مكانه مران بن الحكم[٣]، وكان واليا عليها حتى سنة ٥٧هـ، ثم عزل عنها، ووُلّي مكانه، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان،[٤] وبقي واليا عليها حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[٥]، وكان ولاة المدينة هم غالبا ما يكونون أمراء الحج أيام ولا يتهم، يتهم، وقد تضاف إليهم بعض الأحيان ولاية مكة والطائف[٦].

أما مكة فقد ولَّى فيها معاوية رضي الله عنه سنة ٤٢هـ، خالد بن العاص بن هشام[٧]،أما الطائف فإنها كانت تابعة لمكة، وبعض الأحيان كان يولي عليها أحدا من أهل بيته تدريبا له على إدارة شؤون الولاية فإن نجح في إدارتها، ترقَّى إلى أعلى منها، أو أكبر منها، فكان معاوية "إذا أراد أن يولي أحدا رجلا من بني حرب ولاه الطائف، فإن رأى منه خيرا وما يعجبه ولاه مكة معها، فإن أحسن الولاية وقام بما وُلِّي قياما حسنا، جَمع له معها المدينة"[٨]

رابعا: ولاية مصر:-

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٤، والذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٨٥/٢.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٨.

(٣) نفس المصدر، ص: ٢٢٢.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط،ص:٢٢٤، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٨/٥.

(٥) شاكر: التاريخ الإسلامي، ٨١/٤.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٠٥.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٧٢/٥، وذكر خليفة بن خياط في تاريخه في حوادث سنة سنة ٤١هـ قولا أن الذي الذي تولى مكة في هذه السنة هو عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة،(تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢٠٥).

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٦/٥.

هذه من الولايات الكبرى في الدولة الإسلامية، وقد تولى عليها في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عدد من الولاة ذوي الكفاءة العالية في الإدارة، والخبرة في تسير شؤون الناس.

أولهم عمرو بن العاص رضي الله عنه، فهو صنو معاوية بن أبي سفيان في الإدارة والدهاء، فمصر ليست غريبة عليه فهو الذي افتتحها أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان واليا عليها في خلافة عمر بن الخطاب كاملة ثم في بداية خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حتى عزله عنها وذلك سنة ٢٧هـ[١]، وقد عاد إليها[٢] أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وبقي عليها واليا حتى توفي سنة ٤٣هـ[٣]، وتولي بعده ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما،[٤] ثم عزله معاوية وولّى مكانه

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص:١٥٩.

(٢) تداول بعض المؤرخين رواية تدل على أن عمرو بن العاص رضي الله عنه اشترط على معاوية معاوية أيام حربه مع علي رضي الله عنه أنه يكون معه بشرط أن يعطيه مصر طعمة، وقال عمرو لمعاوية في هذا الشأن " لا أعطيك من ديني حتى آخذ من دنياك، فقال معاوية صدقت سل تعط قال: مصر طعمة" ذكرها بهذا اللفظ صاحب الإمامة والسياسة، ص: ١٦١، لكن هذه الرواية فيها نظر وذلك أن فيها طعن للصحابة الكرام رضي الله عنهم، فهي من جهة الإسناد أن كتاب الإمامة والسياسة فيه كثير من الآثار الضعيفة، والموضوعة، ولم يذكر هذه الرواية بإسناد، ثم إن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم "أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص" (رواه أحمد المسند رقم ١٧٤١٣، والترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنه، برقم٣٨٤٤، وحسنه الألباني مشكاة المصابيح، برقم ٦٢٤٥، ١٧٥٨/٣،) فهذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي الجليل، ولا يُتوقع منه أن يبيع هذه الشهادة وهذا الإيمان بِلعاعة من الدنيا بل ولا بالدنيا بأسرها، فهذا لا يُعقل، ولكن جعله معاوية رضي الله عنه في هذا المكان من باب وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، حيث أنه عرف مصر منذ أن فتحها وكان واليا عليها أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، فكان من الطبيعي أن يستعين به معاوية ويوليه عليها.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ص:٢٠٦، و الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٨١/٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٨١/٥.

مكانه أخاه عتبة بن أبي سفيان، وذلك في ذي القعدة سنة ٤٣هـ،[١] واستمر عتبة واليا على مصر حتى وفاته سنة ٤٤هـ[٢].

ثم وليها بعده عقبة بن عامر رضي الله عنه، وجمع له صَلاتها وخراجها، وكان قارئا فقيها عالما بالفرائض شاعرا، وليها حتى سنة ٤٧، في شهر ربيع الأول، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر[٣]، ثم وليها سنة ٤٧هـ مسلمة بن مخلد الأنصاري، وجمع له الصلاة والخراج وبلاد المغرب، وانتظمت غزواته في البر والبحر وقد أمر في ولايته هذه بالزيادة في مسجد عمرو بن العاص، وكان واليا فيها حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٤].

وكان الوالي على مصر يشرف على الفتوحات التي تسير إلى المغرب بالإضافة إلى الغزو في البحر مع الروم إن استدعى الأمر.

---

(١) وجعل هذا على شرطته زكريا بن جهم، (الكندي: الولاة والقضاة، ص٣٤).

(٢) الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣٤-٣٥، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ١٢٢/١.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة، ص٣٧-٣٨،وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ١٢٦/١.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣٨-٣٩، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة،١٣٢/١.

المبحث الثالث: صلاحيات الولاة وسلطاتهم.

إنَّ خليفة المسلمين بصفته ولي أمرهم والقائم على شؤونهم يختار لهم من الولاة بعد اجتهاد وتحر ومشاورة، ثم يلقي عليهم مسؤولية القيام بواجباتهم تجاه الرعية في البلاد التي لم يصلها بنفسه، وهؤلاء الولاة تختلف صلاحياتهم حسب ما يلقيها الإمام عليهم من مهام، وهذه أيضا تختلف من أمام إلى آخر، لكن في النهاية هي لمصلحة الأمة والمجتمع، وهذا لا يعفيه بل إنه يجب عليه متابعتهم.

لكن إذا نظرنا إلى الإمارة نفسها فقد قسمها العلماء إلى قسمين: إمارة استكفاء وهي بعقد عن اختيار، وإمارة استيلاء وهي بعقد عن اضطرار.(١)

فإمارة الاستكفاء، والتي تكون بعقد من الإمام واختيار منه لشخص يقوم مقامه في ولاية معينة من بلاده، فهذه التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين رضي الله عنهم، حيث إنهم كانوا يعينون الولاة الأكفاء ممن تتوفر فيهم الشروط،(٢)، وهي التي تهمنا في هذا البحث حيث إن عهد معاوية رضي الله عنه تابع لعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وخاصة في تقليد الولاة وعزلهم، إلا إنه إن وُجد جديد فهو في الصلاحيات والأعمال التي يقوم بها الأمير، في هذا العهد، ومن هنا وضع العلماء واجبات يقوم بها هذا الذي وُكلت إليه هذه المهمة وأعمال يقوم بها، منها:

النظر في تدبير الجند وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم؛ إلا أن يكون الخليفة قدرها فَيذرها لهم، والنظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام، وجباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتفريق ما استحق منها، وحماية الدين والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل، وإقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين،

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص: ٧٢.

(٢) الريس: النظريات السياسية الإسلامية، ص: ٢٣٣.

والإمامة في الجمع والجماعات أو يستخلف عليها، ومن عمله أيضا تسيير الحجيج من ولا يته، ومن سلك الطريق من غير أهله وتأمين الطرق لهم، وإن كان هذا الإقليم متاخما للعدو عليه جهاد من يليه من الأعداء(١).

هذه بعض الواجبات التي يجب أن يقوم بها أمير الولاية، في ولايته، ثم إنه من ناحية تطبيقاتها، ومن ناحية الصلاحية التي تكون عند الوالي والرجوع إلى الخليفة تختلف من خليفة إلى خليفة، كما إن تعامل الولاة وامتيازاتهم تختلف أيضا من عصر إلى عصر.

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أسسا عامة للولاة يسيرون عليها في ولايتهم التي يوليهم إليها إضافة إلى النصائح التي يقدمها لهم من حين إلى آخر، ويكتب إليهم بالتوجيهات والإرشادات، ويُصدر تعليماته المستمرة على ضوء ما يحدث من أحداث، ويخوفهم بالله في أداء الأمانة والرفق والتيسير على عباد الله، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يركز على الولاة بتعليم الناس أمور دينهم والتيسير عليهم(٢).

وكان الوالي يتمتع بصلاحيات واسعة داخل ولا يته في عهد الخلفاء الراشدين ولا يرجع إلى الخليفة إلا في المشكلات المستعصية، فمن مهامه إقامة الصلاة والخطب في الجمع، وتوليهم بأنفسهم قيادة الجيوش، وأخذ البيعة للخليفة الجديد، وأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، وتحقيق الأمن للرعية، وإقامة الحدود الشرعية، وكانت العلاقة بين الخليفة في المدينة وولاته في الأمصار تتم عن طريق الرسائل المتبادلة، وأحيانا الخليفة يرسل ممثلا له للإطلاع على أحوال الولاية بصورة مباشرة (٣).

وعلى كل كان الولاة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم تختلف

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٧٢.

(٢) العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء، ص: ٤٧.

(٣) العمري: تاريخ الخلافة الراشدة، ص: ١٢٣- ١٢٤.

مهامهم عما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يرجعون في إداراتهم وكل ما يعملونه غالبا على الخلفاء ويستشيرونهم في سياساتهم ، ويكون الوالي مسئولا أمام الخليفة في كل خطأ، وربما يعاقب عليه إذا رفع به أحد الرعية أي شكوى[(١)].

ولما جاء عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لم تتغير صلاحيات الولاة كثيرا لقرب العهد بعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن غالب الولاة كانوا من قبل ولاة أيام الخلفاء فساروا في السياسة التي كانوا يسيرون عليها من قبل، إلا أنه حصل بعض التغيرات في ذلك دعت إليها سياسة معاوية وتعامله، والعصر الذي عاشه، وحتى الرعية التي كانت أيام معاوية تختلف عما كانت عليه من قبل حيث امتدت الفتوحات الإسلامية، فاحتاج معاوية أن يُغيِّر في بعض السياسات في التعامل سواء مع الوالي أو مع الرعية.

ولهذا نجده اصطنع عددا من أعقل وأكفأ رجال عصره وأقدرهم، وأقواهم حزما وأخبرهم بالإدارة وسياسة الناس؛ ليساعدوه في إدارة الدولة وتوطيد الاستقرار في ولايات الدولة[(٢)].

ومن هنا يترك عماله يعملون، ويطلق لهم الحرية ولا يتدخل في أمورهم، ولكن يوجههم بين الحين والحين توجيهات عميقة لكنها غير تفصيلية، ويوافقهم على ما يفعلون، وقد يظهر منهم أحيانا اشتطاطا عليه؛ فإذا رأى أن اشتطاطهم لمصلحة الدولة سكت، وهو بذلك مثال للقائد الحكيم وللملك المدرَّب والإداري العارف[(٣)].

---

(١) كما حصل مع عمرو بن العاص رضي الله عنه وابنه محمد في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال في ذلك قولته المشهورة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار"(ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص: ١٩٥، بن الجوزي: مناقب عمر، ص:٩٧).

(٢) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ١١٢.

(٣) العش: الدولة الأموية، ص: ١٤٢.

ثم إن صلاحيات الولاة كانت في عهد معاوية أوسع من عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فإن الوالي هو من يتصرف في تولية بعض الأمراء في بعض المدن التابعة لولايته بدون الرجوع إلى الخليفة، من ذلك أن زياد بن أبيه "إذا ولى رجلا قال له: خُذ عهدك وسر إلى عملك"(١) ثم يقدم توجيهاته ونصائحه، وهذا يدل على تصرف الوالي في تولية غيره ويقره الخليفة في أكثر الأحيان.

وربما يتصرف الوالي في عهد معاوية في عزل الولاة أو القادة؛ وغالبا لا يخالفه الخليفة في فعله وتصرفه على ولايته ويقره على صنيعه، من ذلك: أن مسلمة بن مخلد عندما ولاه معاوية مصر وجمع له المغرب معها فهو أول من جمع له مصر والمغرب، فإنه عزل عقبة بن نافع، عن أفريقية، وولى مكانه أبو المهاجر مولاه(٢)، ولم ينكر معاويةُ على صنيع مسلمة بن مخلد رغم إساءة عزل عقبة بن نافع من قِبل أبي المهاجر، بل عندما جاء عقبة إلى معاوية بن أبي سفيان وحكى له ما حصل من أنه فتح البلاد وبنى المدن ثم أُسيء عزله من قبل أبي المهاجر؛ فاعتذر إليه معاوية لكنه أمضى فعل الوالي في عزل عقبة بن نافع (٣).

كما أن الوالي يتصرف في الجهاز الإداري للولاية بحيث يعين الموظفين من كُتَّاب وحُجَّاب وعُمَّال، والشُّرط، وغيرهم، ويكون هو المسئول مسؤولية تامة عن كل ما يحدث في هذه الولاية، ولا شك كما أن الخليفة لا يستطيع أن يدير شؤون الدولة لوحده واستعان بالولاة، فإن الوالي أيضا لا يستطيع لوحده أن يدير شؤون الولاية ، فيستعين بأعوان وموظفين في ولايته.

ثم إنه من ناحية التصرف في أموال الولاية نجد في عهد معاوية رضي الله عنه

---

(١) الدينوري: عيون الأخبار ، ١/١١٨، وابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٧/١٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ٢٢٥، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٠/٥.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ٢٢٥.

تطورا، ربما تَختلف قليلا على ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فإن الوالي في عهد معاوية رضي الله عنه بعد أن يخرج المال يعطي منها الذرية، وأرزاق الجند، ورواتب العمال، ويخرج منها للنوائب والحاجات الطارئة ثم يرسل الباقي إلى الخليفة في بيت المال المركزي في دمشق[١].

ولم يكن هناك كبير محاسبة للولاة في عهد معاوية رضي الله عنه من الناحية المالية، إذا قارناها بعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه كان يحاسب العمال محاسبة شديدة وربما قاسمهم أموالهم التي حصلوا عليها بعد توليهم الولاية[٢]، وهذا ليس اتهاما لهم ولكن احتياطا، ثم إنه لم يقاسمهم الأموال التي تخصهم وإنما ما اكتسبوه بسبب ولايتهم حيث إن الناس غالبا يقدرون الوالي فإذا كان له من البهائم فإنهم يقدمونها على غيرها، سواء في الرعي وغير ذلك، وأيضا ربما قد يُهدون إليهم هدايا تليق بهم بسبب مكانتهم التي هم عليها.

ومن صلاحيات الولاة في عهد معاوية أنهم كانوا يعاقبون كل من ارتكب جريمة، أو حصل منه خطأ، وقد يخطئ الوالي في العقوبة على شخص ما، فقد يكون هذا سبب في عزله عن الولاية؛ لكن لا يقتص منه بل إن معاوية رضي الله عنه يرضي أصحاب المجني عليه بالدية، ومن ذلك أن أحد عماله في البصرة خطب فحصبه رجل فأمر به فقطعت يده فاجتمعت عشيرته وذهبوا إلى معاوية وقالوا إنه قطع صاحبنا ظلما، فقال معاوية: أما القَود من عمالي فلا سبيل له ولكن إن شئتم ودَيْت صاحبكم، فوداه من بيت المال، وعزل ذلك الوالي[٣].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٢١٨-٢١٩.

(٢) أبو عبيد: الأموال، ١/٣٨٤، وابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ١٧٢، ومن بين العمال الذين قاسمهم عمر أبو هريرة، وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، (نفس المصادر).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٠٠، ابن الجوزي: المنتظم، ٥/٢٧٨.

بالإضافة إلى هذه الأعمال فإن والي المدينة المنورة يضاف إلى صلاحياته القيام بإمرة الحجاج في الحج، وذلك أن معاوية رضي الله عنه لم يحج في خلافته إلا مرتين أو ثلاث، وأما باقي السنين فإن أغلب الأحيان يكون أمير الحج والي المدينة المنورة.

المبحث الرابع: الدواوين وفيه أربعة مطالب.

الدواوين هي سجلات تحفظ فيها مواردها ومصادرها وجندها وموظفوها، وكل ما يهم شؤونها، فهو من النظم المهمة التي يجب أن تعتني بها الدولة.

والدواوين في اللغة: جمع ديوان، وأصله دوان، فعوض من إحدى الواوين، لأنه يجمع على دواوين، ولو كانت الياء أصله لقالوا دياوين، وقد دونت الدواوين، وهو مجتمع الصحف، أي الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء[١].

وهي لغة فارسية، بمعنى مجانين، وقيل اسم للشياطين بالفارسية،[٢] وقيل هو عربي ومعناه الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه، ومنه قول ابن عباس " إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[٣]

واصطلاحا: هو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة، من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[٤].

وأول من وضع الديوان في الإسلام، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم العطاء، هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥]، وذلك أن حاجة الدولة إلى الدواوين صارت ماسة وخاصة بعد توسعها، حيث إنه لم يكن موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك لعدم الحاجة إليه، وبعد اتساع الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزيادة دخل

---

(١) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢١١٥/٥، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ١٥٠/٢، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ١١٩٧.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٣٧، ابن خلدون: التاريخ، ٣٠٢/١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٢٣/١.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٣٧، وأبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص: ٢٣٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٩/٤، والعسكري: الأوائل، ص: ١٦٤.

الدولة، أنشأ الديوان.

وقد ذُكرت أقوال في سبب إنشائه منها أنه قدم إليه أبو هريرة رضي الله عنه بمال من البحرين، فقال عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر، فقال أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو؟ فقال لا أدري، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدا، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم، فدوّن أنت لنا ديوانا[1].

فأمر عمر رضي الله عنه بتدوين الدواوين وتسجيل الناس حسب منازلهم وقد بدأ بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ببني هاشم ثم الأقرب فالأقرب للنبي صلى الله عليه وسلم، وتقسيم العطاء حسب هذا الديوان.

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٤٣٥-٤٣٦، والعسكري: الأوائل، ص: ١٦٥-١٦٦، والماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٣٧.

المطلب الأول: ديوان الرسائل.

هذا الديوان من الدواوين المهمة في الدولة في عهد معاوية رضي الله عنه، إذ إنه يعنى بكل ما يتعلق مما يصدر منه وما يرد إليه من ولاته أو غيرهم من الملوك، أو حتى من الرعية نفسها من الرسائل؛ من هذه الأمور وغيرها اكتسب هذا الديوان أهميته الإدارية.

وكاتب هذا الديوان له مكانة كبيرة عند الخليفة أو السلطان، ولهذا قالوا: " ليس في منزلة خدم السلطان والمتصرفين في مهماته أخصُّ من كاتب الرسائل، فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهماته، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حودث دولته ومهمات ملكه، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه"[(١)]

وإذا نظرنا إلى أصل هذا الديوان فإنه من أوائل الدواوين التي وضعت في الدولة الإسلامية، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه، وأصحابه، وسراياه من الصحابة، رضوان الله عليهم ويكاتبونه، وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وبعث إليهم رسله وكتبه[(٢)].

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان له كُتَّاب يكتبون له كل ما يمليه عليهم سواء من الوحي أو من الرسائل التي كان يرسلها إلى الملوك، وقد مر معنا أن معاوية رضي الله عنه كان من بين كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهؤلاء الكتاب الذين كانوا يكتبون له عليه الصلاة والسلام وإن لم يطلق عليهم

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٣٥/١.

(٢) نفس المصدر: ١٢٥/١.

اسم الديوان فإنهم كانوا يقومون بشيء من متعلقات ديوان الرسائل[1].

وكان الخلفاء الراشدون يتخذون لهم من يكتب لهم الرسائل إلى أمرائهم وولاتهم من أصحاب الكفاءات العالية، وأرباب البلاغة، من كبار الصحابة والتابعين[2].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، صارت لكاتب الرسائل صفة رسمية، وصار له ديوان خاص يهتم بشؤونه، من الوارد والصادر من الرسائل إلى الخليفة، بالإضافة إلى الأمور التي كان يقوم بها كاتب الرسائل أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وذلك أنه لما تعددت المصالح وتعدد الكتاب، استقل ديوان الرسائل بكاتب لمخاطبة العمال والأمراء والملوك وغيرهم، وكان لكاتب الرسائل منزلة كبيرة عند الخليفة، وذلك لأنه يد الخليفة وعقله المفكر، ومستودع أسراره، لأن الأمور السلطانية من الكتابات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه[3].

وقد تولى الإشراف على هذا الديوان أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، عبيد الله بن أَوْس الغساني[4].

وغالبا ما يكون الكاتب للأمير من أهل نسبه ومن عظماء قبيلته، بحيث يكون حافظا للسر وصاحب أمانة، يؤدي كنه الحاجة بأبلغ العبارة اللسانية[5]، ولهذا يحاول

---

(١) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص٨٣.

(٢) مثل عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الأرقم رضي الله عنهم، ومروان بن الحكم رحمه الله.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١/١٢٤، الصادق عفيفي: المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، ص: ٣٤٢.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: ٢٤، وقال: خليفة بن خياط في تاريخه، أنه عبيد بن أوس الغساني، كما في ص: ٢٢٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٦/١٨٠،

(٥) ابن خلدون: التاريخ، ١/٣٠٦.

الخليفة أن يختار لهذه المهمة من رعيته من تتوفر فيه هذه الشروط، ويتحرى في اختياره لهذه المهمة، لأنه لسانه الذي يتكلم به.

ويبدوا أن عمل ديوان الرسائل لم يكن مقصورا على أمر المكاتبات الداخلية في الدولة بل كان ينظر إلى العلاقات الخارجية، ويشرف على الوفود والبعثات التي كانت ترسلها الدولة، إلى الدول المجاورة، ويستقبل الوفود الأجنبية التي تأتي إلى دمشق، وعلى هذا يكون ديوان الرسائل أشبه بديوان رئاسة الجمهورية، أو الديوان الملكي وإدارة المراسيم والعلاقات العامة في الدول المعاصرة[١].

---

(١) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص٤٨٣.

المطلب الثاني: ديوان الخاتم.

وهذا الديوان ليس أقل شئنا من السابق لتعلقه أيضا بما يصدر من الخليفة من قرارات وأوامر، وما يرد إليه من الولايات.

وهو إنما جعل استظهارا لتكون الكتب التي يحتاج إلى ختمها بخاتم أمير المؤمنين تمر به ويثبت فيه، ولأن خاتم الخليفة من الموقع ما ليس لغيره[1].

ومعنى هذا الديوان: هو أن يكون ديوان به نواب إذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الأمور، أحضر التوقيع إلى ذلك الديوان، وأثبت نسخته فيه، وحزم بخيط وختم بشمع، وختم بخاتم صاحب ذلك الديوان[2]، لئلا يمكن فتحه والإطلاع على ما فيه، فهو أشبه بالأرشيف أو السجلات في الوقت الحاضر[3]، وهذا للاحتياط ولئلا يحدث تزوير في ما يصدر عن الخليفة أو الأمير، لأن كل ما يصدر عن الخليفة من أوامر وتكون مختومة بختمه؛ فإنها محل تنفيذ على من وُجهت إليه مهما كانت، فحتى لا يحدث تلاعب بأوامر الخليفة وضع هذا الديوان، فهو يعنى بنسخ أوامر الإمام وإبقاء نسخة منها في الصادر، لتراجع عند الحاجة إليها.

وأول من أنشأ هذا الديوان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ولإنشائه قصة وهي أنه رضي الله عنه أمر لرجل[4] بمائة ألف يعطيها له زياد بن أبيه، وفتح هذا الرجل الكتاب وجعل المائة مائتين، ولما رفع زياد بن أبيه الحساب، أنكر معاوية ذلك وقال إنما كتبت له مائة ألف فقط، وأمر بحبس ذلك الرجل وأداها عنه أخوه عبد الله

---

(١) ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٥٥.

(٢) الفخري: الآداب السلطانية، ص: ١١٣.

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص: ٤٨٢.

(٤) وهو عمرو بن الزبير

بن الزبير، ثم أنشأ بعد ذلك ديوان الخاتم[1].

ومهما يكن من سبب في تأسيس ديوان الخاتم فإن الدولة كانت في أمس الحاجة إلى مثل هذا الديوان وذلك لاتساع رقعتها، "وحاجة الخليفة إلى نظام اتصال آمن وسري لمتابعة عماله وقواده ورجال دولته"[2]، من أي محاولة للتزوير أو التلاعب بالأوامر، وكل ما يصدر عنه وما يرد إليه من رسائل في أرجاء دولته المترامية الأطراف.

وكان يتولى هذا الديوان أيام معاوية رضي الله عنه، عبد الله بن عمرو الحميري[3][4]، ولم يكن المقصود من ذلك أن تُختم الرسالة في أسفلها بخاتم الخليفة، إذ إن ذلك كان موجودا من قبل حتى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث إنه اتخذ له خاتما لختم الرسائل التي كان يرسلها إلى الملوك والرؤساء.

لكن الجديد في هذا الديوان، هو حزم الكتب، وهو أن تطوى الرسالة ويلصق طرفها بالشمع، أو الطين الأحمر، الذي يطبع عليه وهو طري خاتم الخلافة، ويترك حتى يجف، فإذا فتحت الرسالة من قبل أن تصل إلى مرجعها عرف ذلك، إذ لا سبيل إلى فتحها إلا بتمزيق الخاتم، أو بإلصاق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب، أو يجعل فيها علامة يؤمن معها من فتحه أو الاطلاع على ما فيه[5].

وقد ظل ديوان الخاتم من أكبر الدواوين في الدولة الإسلامية منذ إنشائه في عهد

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٠،

(٢) الغيث: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص:٧٥-٧٦.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٨، وذكر الطبري، أن عبد الله بن محصن الحميري، (تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣/١٢٥، وذكر الجهشياري على أنه عبد الله بن محمد الحميري، الوزراء والكتاب، ص: ٢٥).

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ١/٣٢٨، والعجلاني: عبقرية الإسلام في أصول الحكم، ص: ٢٨٤.

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، إلى أواسط الدولة العباسية، ثم ألغي لتحول الأعمال إلى الأمراء والوزراء والسلاطين وغيرهم[١].

وقد اتبع ولاة الأقاليم الأسلوب نفسه، فاعتاد زياد بن أبيه أن يختم الرسائل، وأن يحفظ نسخا من جميع أوامره، حتى إذا ما تقاعس البعض عن تنفيذ أوامره أو شذوا في تحقيقها، كانت هناك نسخة ثبوتية إضافية تدينهم[٢].

---

(١) الفخري: الآداب السلطانية، ص: ١١٣، وحسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني، ٤٤٨/١.

(٢) حسان حلاق: دارسات في الحضارة الإسلامية، ص: ٣٨.

المطلب الثالث: نظام البريد.

البريد في اللغة: الرسول المبْرَد على دواب البريد، وإبراده إرساله، وبَرَدَ بَرِيداً أرسله، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرد"(١) أي الرسل، والبريد من المسافة فرسخان، كل فرسخ ثلاثة أميال، وقيل ما بين كل منزلين بريد، والجمع بُرُد، وقال بعض العرب الحمى بريد الموت، أراد أنها رسول الموت(٢).

واصطلاحا: أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة(٣).

هذا من ناحية التعريف به، أما عن أول من وضعه؛ أن البريد كان موجودا في عهد الأكاسرة والقياصرة من ملوك الروم، إلا أنه لم يكن يعرف هل كان على البريد المحرر أم كانت له مقادير أخرى، وربما كانت متفاوتة التقادير، أما وجوده في الإسلام فإنه وجد أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فهو أول من وضع نظام البريد في الإسلام، (٤).

ويبدوا أنه استعان في ذلك بخبرة الفرس والروم حيث أمر بإحضار رجال من

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يُستجنُّ به في العهود، برقم ٢٧٥٨،ص: ٤٨٨، وابن شبة في تاريخ المدينة، ٦٠١/٢، من حديث أبي رافع رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) الفراهيدي: العين:٢٩/٨، الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٤٤٧/٢، ابن منظور: لسان العرب، ٨٦/٣، الزبيدي: تاج العروس، ٤١٧/٧.

(٣) الفخري: الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص: ١١٢.

(٤) العسكري: الأوائل، ص: ٢٣٧، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٤١٢/١٤.

الدهاقين وأهل أعمال الروم وعرفهم بما يريد، فوضعوا له البُرُد [1].

والذي يظهر – والله أعلم – أن معاوية وضع له نظاما خاصا، وإلا فالبريد بحد ذاته كان موجودا أيضا في صدر الإسلام، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، يُرسل البريد بالرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام.

وأيضا كان ذلك زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واشتهر أمر البريد في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، لكن الذي جاء به معاوية رضي الله عنه وضع له نظاما، وأيضا جعل له موظفين مخصصين للعمل فيه وخيولا مضمرة، ومحطات في طريق البريد ليتناوب عنها حاملوا الرسائل من وإلى الخليفة.

ومهمة هذا الديوان نقل الرسائل من دار الخلافة وإليها، سواء كانت رسائل داخلية التي كانت ترسل بين مركز الخلافة وولاة الأقاليم والقادة وكبار الموظفين في الدولة، أو خارجية التي كانت تدور بين الخلافة والدول الأجنبية[3].

وليست مهمة البريد أن ينقل الرسائل بين أمير المؤمنين و الولاة والعمال فقط بل حتى رسائل الرعية أيضا كان البريد له دور كبير في نقلها إلى أمير المؤمنين ومما يؤيد ذلك أن عامل المدينة إذا أراد أن يبرد بريدا إلى معاوية رضي الله عنه أمر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب أحدهم كتابا لطيفا ورمى به في الكتب، وفيه:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها

وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٢٣٩-٢٤٠،

(٢) الكتاني: نظام الحكومة النبوية، ١/١٧٩.

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي المعاصر، ص: ٤٨٠.

فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب، قال: نعى إلي نفسي[1]، وهذا يدل على أن أي إنسان من الرعية يستطيع أن يصل إلى أمير المؤمنين إن لم يكن حضورا بالجسد فبالرسالة، وأن البريد كان له دور كبير في إيصال الرسائل من الخليفة وإليه مهما كانت الرسائل التي يحملها.

والذي يتولى هذا الديوان يكون ثقة في نفسه وعند أمير المؤمنين القائم بالأمر، لأن هذا الديوان ليس فيه الكافي المتصفح، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ[2].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٥-٣٣٦، نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص: ٢٨٣.

(٢) ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٧٧، وقد ذكر رحمه الله في كتابه هذا طرق البريد ومنازله بالتفصيل انطلاقا من المدن الرئيسية في الدولة الإسلامية، وحتى عواصم الخلافة على مدار التاريخ حتى أيامه رحمه الله، يراجع في ذلك، الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٧٨-١٢٩.

المطلب الرابع: الدواوين الأخرى.

بالإضافة إلى الدواوين السابقة كانت إدارة الدولة تحتوي على دواوين أخرى لم تقل أهمية في تسيير شؤون البلاد؛ وكانت هذه الدواوين موجودة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واسمرت في عهد معاوية رضي الله عنه، وربما حدث فيها تطوير وتغيير في بعض سيرها، من هذه الدواوين:-

ديوان الجند:

هذا الديوان كان قد أنشئ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يعرف باسم الديوان لأنه لم يكن يوجد غيره فلم يحتاجوا إلى تميزه بلفظ آخر يضاف إليه(١)، وكتب فيه أسماء الجند وأعطياتهم، وغيرهم من أهل العطاء، واستمر هذا الديوان بعده في أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان من أهم دواوين الدولة، وتولَّى كتابة هذا الديوان في عهده عمرو بن سعيد بن العاص(٢)(٣).

وسار هذا الديوان على ما أنشئ عليه أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أنه طرأ عليه بعض التطوير والتنظيم والتوسع في عهد معاوية رضي الله عنه، وهذا طبيعي جدا نظرا لتوسع الفتوحات الإسلامية؛ حيث إنه زاد عدد الجنود المسجلين

---

(١) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص: ٢٥٦.

(٢) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أمية المعروف بالأشدق، ولي المدينة لمعاوية ويزيد ثم سكن دمشق، وكان أحد الأشراف من بني أمية، وسمي الأشدق لأنه كان عظيم الشدقين، وقيل لفصاحته، وكان من الخطباء البلغاء، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٦٩هـ،(ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩/٤٦، الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦٩١/٢، الزلكلي: الأعلام، ٧٨/٥).

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: ٢٤، ومسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٢٣/٢.

في هذا الديوان، ولهذا أننا نجد في مصر وحدها كان عدد المسجلين في الديوان في زمن معاوية أربعين ألفا[(١)]، بينما كان على ديوان البصرة ثمانون ألفا، وعلى ديوان الكوفة ستون ألفا[(٢)]، هذا فضلا عما كان في الأمصار الأخرى من الذي سجلوا في الديوان.

ومهما يكن من فإن ديوان الجند في عصر معاوية هو استمرار متطور لديوان الجند زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم باستثناء حصول التطور الخاص بالتنظيمات، وكذلك في حصول بعض الاختلافات في مقادير العطاء، وهذا خاضع لظروف الدولة من الناحيتين المالية والعسكرية ومتأثر بتوجيهاتها[(٣)]، وهذا الديوان يعد أكبر ديوان في الدولة تقريبا، تحدد فيه مقدار أعطيات جميع العرب، والجنود المقاتلة من العرب وغير هم [(٤)].

ديوان الخراج:

هذا الديوان من أهم دواوين الدولة، وذلك لتعلقه بأموال الدولة سوء الصادر منها والوارد إليها، والمال عصب الدولة وقوام حياتها، وصاحب هذا الديوان يجب أن يكون على قدر كبير من الثقافة والمعرفة بالحساب، مع التحلي بالأمانة.

وهو الديوان الذي يقوم بتنظيم جباية الأموال وضبط حساباتها، وتسجيل ما ينفق منها، ثم الموازنة بين الواردات والنفقات، ولذلك هو يشبه وزارة المالية في العصر الحاضر، ومن الملاحظ أن اللغة المستخدمة في هذا الديوان الفارسية في العراق والرومية في الشام[(٥)].

---

(١) بن عبد الحكم: فتوح مصر، ص: ١٢٧.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ٣٤٠-٣٤١.

(٣) السلومي: ديوان الجند نشأته وتطوره، ص: ١٤٩.

(٤) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٨٢.

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: ٣٨، والماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٤٠- = =

وكان يَكْتُب لمعاوية رضي الله عنه في هذا الديوان، سرجون بن منصور الرومي، وكان يكتب الخراج بالعراق، عبد الرحمن بن دراج[1].

وكان في كل ولاية من الولايات ديوان محلي لجمع الخراج، والاحتفاظ بما يحتاج إليه الولاة من مصروف، ويرسل الفائض إلى العاصمة، حيث يُجمع الدخل الوارد من الولايات في ديوان مركزي في العاصمة [2].

وهناك دواوين أخرى متفرعة من هذا الديوان، وربما مستقلة عنه حتى لا تختلط الأموال، مثل ديوان الصدقات، وديوان الصوافي وغيرها.

= =

٣٤١، والعجلاني: عبقرية الإسلام، ص: ٢٨٢.

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص: ٢٤، ومسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٢٢/٢.

(٢) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٨٣.

المبحث الخامس: اتخاذ الحرس الشخصي.

من الأمور الإدارية، أو الأمنية التي اتخذها معاوية رضي الله عنه في خلافته؛ أنه جعل حرسا شخصيا لحراسته، وإقدامه على هذا الأمر لم يأت من فراغ؛ حيث إنه رضي الله عنه، مرت أمامه أحداث جعلته يقدم على هذه الخطوة ويحتاط لنفسه، فمقتل الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لم يكن بعيدا عن عهده، وأيضا ما جرى له شخصيا من محاولة القتل، بالإضافة إلى توسع الدولة في الفتوحات واختلاط الناس، وقرب عاصمة الدولة من حدود الأعداء؛كل هذا كان له الأثر في اتخاذ هذا القرار.

وهذا الإقدام من معاوية على هذه الخطوة لم يكن بدعة ابتدعها، بل إن هناك أحاديث وآثار تدل على أن هذا الأمر كان موجودا بداية تأسيس الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَرِقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: " ليت رجلا من أصحابي صالحا يحرسني الليلة" قالت: إذ سمعنا صوت سلاح فقال "من هذا" فقال أنا سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك، ونام النبي صلى الله عليه سلم حتى سمعت غطيطه(1).

في الحديث الأخذ بالحذر، والاحتراس من العدو، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل، وفيه الثناء على من تبرع بالخير وتسميته صالحا، وإنما عانى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك مع قوة توكله للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس لاذوا به وكان أمام الكل، وأيضا فالتوكل لا

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم ٢٨٨٥، ٣٤/٤، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم، ٢٤١٠، ١٨٧٥/٤، واللفظ لمسلم.

ينافي الأخذ بالأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب، وهي عمل البدن[1].

وفي حديث آخر: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[2] فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم " يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله"[3].

وبعد هذا لم يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حرسا وحتى الصحابة رضوان الله عليهم لم يحرسوا النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر الخلفاء الراشدون على هذا بأنهم لم يتخذوا حرسا، وذلك أنهم كانوا في المدينة المنورة، بحيث كانوا بعيدين عن مواطن الأعداء، وأن سكان المدينة المنورة من الصحابة الكرام الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وبمرور الزمن دخل على المدينة بعض الموالي الذين فتح المسلمون بلدانهم، فحدث مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4] على يد أحد المولى[5]، ثم مرت الأيام وتوالى الخلفاء حتى قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو ذاهب إلى صلاة الفجر[6]، وفي نفس الوقت كانت محاولة اغتيال لمعاوية رضي الله عنه[7]؛ إلا أن الله تبارك وتعالى سلمه وشفي من الضربة التي تعرض لها في هذه

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٩٦/٦.

(٢) سورة المائدة: من آية رقم ٦٧.

(٣) رواه الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، برقم ٣٠٤٦، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) يراجع عن مقتل عمر رضي الله عنه: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٩٠/٤، وابن الجوزي: المنتظم، ٣٢٩/٤، وابن كثير: البداية والنهايو، ١٧٢/١٠.

(٥) وهو أبوا لؤلؤة المجوسي.

(٦) ينظر في قصة مقتله وسببها، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٣/٥، وابن الجوزي: المنتظم، ١٧٢/٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ٥/١١، والذي قتله ابن ملجم المرادي.

(٧) والقصة مشهورة وكان الذي انبري لقتل معاوية رضي الله عنه، البرك بن عبد الله، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٤/٥).

المحاولة اليائسة.

هذه الأسباب وغيرها جعلت معاوية رضي الله عنه، يتخذ حرسا يسيرون معه ويحمونه من أي محاولة اعتداء، وكان بهذا أول من اتخذ الحرس من الخلفاء في الدولة الإسلامية، وكان على حرسه المختار مولى لحمير [(١)].

كانت أحداث قتل الخلفاء، عمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ومحاولة اغتيال الحسن، رضي الله عنه، أبرز الأسباب الذي أدت إلى تخصيص حرس للخليفة، وبالإضافة إلى ذلك أيضا أن معاوية لما كان أميرا على الشام أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يسير في موكب، فلما أنكر عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، برر معاوية فعله هذا بقوله " إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثير، فيجب أن يظهر من عز السلطان ما يرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت، فقال عمر ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقا، إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلا إنه لخديعة أديب، قال: فمرني يا أمير المؤمنين، قال: لا آمرك ولا أنهاك"[(٢)].

هذا أيضا من بين الأسباب التي جعلت معاوية يتخذ الحرس، وهو أن عاصمة الخلافة صارت قريبة من العدو، ولا ريب أن جواسيسهم يتربصون بخليفة المسلمين ليجدوا فيه غِرة فينتقموا لأنفسهم منه.

ومهمة صاحب الحرس حراسة الأمير بشكل خاص، في حين أن أعوانه يتولون دعوة أي شخص أو إحضاره أمام الأمير أو الوالي[(٣)].

وقد بدأ بعض الولاة في عهد معاوية رضي الله عنه يتخذون لهم حرسا خاصا

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ، ص: ٢٢٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٩/٥-٣٣٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١٢/٥٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤١٥/١١-٤١٦،

(٣) نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص:٣١٦، وأحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص: ص: ٣٨٢.

يسيرون معهم، ومن ذلك أن زياد بن أبيه؛ اتخذ حرسا خاصيا وكان عدد حرسه يبلغ حوالي خمسمائة رجل، واستعمل عليهم شيبان[١] صاحب مقبرة شيبان، من بني سعد[٢].

ويعطينا زياد بن أبيه بعض الصفات التي يجب أن تتوفر على صاحب الحرس فيقول: "ينبغي أن يكون صاحب الحرس مسنا، عفيفا، مأمونا، لا يطعن عليه"[٣].

وهكذا صار هذا الجهاز من الضروريات التي يتخذها الخليفة أو الأمير لنفسه، وخاصة بعد اتساع الفتوحات، ودخول بلاد المسلمين كثير ممن كانوا تحت حكم الدول التي استولى عليها المسلمون، وأيضا كان الخوارج سببا كبيرا من أسباب اتخاذ الحرس لكف شرهم وذلك أنهم هم الذين قتلوا عليا رضي الله عنه، وحاولوا اغتيال معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ومن هنا كان اتخاذ الحرس ضرورة للحاكم بعد معاوية رضي الله عنه، ولا ينافي هذا كما أسلفنا التوكل على الله تبارك وتعالى، بل إنه من اتخاذ الأسباب الشرعية، ومن واجب الرعية أن يحرسوا من ولاه الله أمرهم ويمنعوه من الأعداء الذين يتربصون به، إذ إن في عزه عزهم وأن أمنه أمنٌ لهم في جميع أوقاتهم.

ومن بين الأسلحة التي كان يحملها الحراس الذين يسيرون مع الخليفة أو الأمير، الحراب، والعمد، من ذلك، كان زياد بن أبيه أول من سير بين يديه بالحراب، ومُشِي

---

(١) شيبان بن عبد شمس، من رجال بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وشيبان هو الذي تنسب إليه مقبرة سيبان بالبصرة، ولاه زياد الجامع ومما يليه ليحرس بالليل، فكان يقتل الخوارج، فجاءته الخوارج نهارا فقتلته، وقتلت سبعة بنين له، (بن دريد الأزدي: الاشتقاق، ص: ٢٥٣).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٤/٥.

(٣) اليعقوبي: التاريخ، ٢٣٥/٢.

بن يديه بالعمد[1].

طبعا هذا بالإضافة إلى السيوف، حيث كان من الطبيعي أن يحمل العربي السيف معه، وخاصة إذا ألقيت عليه مسؤولية، مثل حراسة الخليفة، أو غير ذلك.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٢٢٤.

المبحث السادس: نظام إنشاء المدن وتعميرها.

كانت مدن الدولة الإسلامية في صدر الإسلام قليلة، ومع ذلك كان يغلب عليها طابع التواضع في بنيانها، وأيضا عدد سكان المدن ليس بالكثرة، فكان سكان المدن غالبا بيوتهم من الخيام والخشب، وغير ذلك، وبعد اتساع الفتوحات الإسلامية، كان لابد على المسلمين أن يتخذوا لهم مدناً يسكنون فيها، وينطلقون منها لمواصلة الفتوحات الإسلامية؛ فأنشئوا أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مدناً كان لها دور كبير في مستقبل الحضارة الإسلامية، فكانت بداية نشأة هذه المدن على نفس التواضع الذي كانت عليه الدولة الإسلامية.

وبمرور الزمن واتساع الفتوحات، توافد على البلاد الإسلامية،كثير من الخبراء الأجانب في العمارة فارتقى فن العمارة في المدينة المنورة خاصة في أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وصار يدخل فيها نوع من التعمير بجميع أشكاله[١]، وليس هذا خاصاً بالمدينة المنورة، بل شمل هذا مدن أخرى، سواء في البنية التحتية والتعمير البنياني، أو تسكين الناس فيها وعمارتها وجعلها من المدن الحضارية التي يتشوق الناس إليها للمكوث فيها.

والواقع أن تطور المدن وانتقال الناس إليها واستقرارهم فيها، أدى إلى إقامة الصناعة والتجارة ونمو الحياة الإقتصادية، وباتساع المجتمع الإسلامي، وتعدد ميادين الأنشطة فيه كان الضرورة الملحة لتنظيم المجتمع أسس إسلامية تحول دون اضطراب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[٢].

ففي أيام معاوية رضي الله عنه صار إنشاء المدن وتعميرها من أولويات إدارات الدولة بمختلف طبقاتها، سواء كان هذا الاهتمام من الخليفة نفسه، أو الولاة، أو

---

(١) حسن: التاريخ الإسلامي والسياسي، ٥١٦/١.

(٢) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: ٦٢.

القادة الفاتحين الذين كان لهم دور كبير في إنشاء المدن، أو تعميرها.

فمثلا البصرة في بداية تخطيطها، بنيت بالقصب، حيث بنى عتبة بن غزوان رضي الله عنه[1] المسجد من القصب، وبنى الناس منازلهم بالقصب، وكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناؤه كما كان[2].

وبعد فترة من الزمن، تولى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه البصرة، فبنى الناس منازلهم بالبن والطين، وبنى أبو موسى المسجد ودار الإمارة بالبن والطين والسقف بالعشب، وزاد في المسجد[3]، ولما كان عهد زياد بن أبيه، تطور البناء عما كان عليه من قبل، فبنيت الدور والمساكن ودار الإمارة بالآجر والجص، والسقف صار من الساج، وأحكمت المباني بالأساطين[4].

وهكذا واصل المسلمون في التطور في البنيان وتعمير المدن، وخاصة المدن التي أسسوها بأنفسهم، ولا شك أنه كلما تطورت المدن في البنيان كان قدوم الناس إليها من كل مكان كبير، وازدادت أهميتها، وصارت ملتقى للقوافل التجارية.

ويقاس على ذلك بقية مدن الدولة الإسلامية وولاياتها الكبرى من حيث تعمير البنيان والاهتمام بعمارة المدن.

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن أبو غزوان المازني، أسلم سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم رجع مهاجرا إلى المدينة، وشهد بدرا وما بعدها، ولاه عمر في الفتوح فاختط البصرة وفتح فتوحا، وكان طويلا جميلا، توفي سنة ١٧هـ وقيل سنة ٢٠هـ، وعاش سبعا وخمسين سنة، (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٩٨/٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٠٤/١، ابن حجر: الإصابة، ٧٦/٧).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٣٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ٤٣٢/١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٣٨.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٣٨، وياقوت الحموي،: معجم البلدان، ٤٣٢/١.

ومن نُظم تعمير المدن التي أتبعت في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، إغراء الناس لسكنى المدن وإعمارها وذلك، بتوزيع الإقطاعات لهم فيها من الأراضي، ومنحهم الأعطيات، والأرزاق حتى يبقوا في هذه المدن.

من ذلك أنه لما فتحت جزيرة رودس، نزلها المسلمون وزرعوا فيها، واتخذوا بها أموالا ومواشي يرعوا حولها، وكانوا أشد شيء على الروم فيعترضونهم في البحر، فيقطعون سفنهم، وكان معاوية يدر لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدو قد خافهم[1].

وحوَّل زياد بن أبيه سنة ٥١هـ إلى خراسان حوالي خمسين ألفا من أهل البصرة والكوفة بأسرهم، وأسكنهم دون النهر،[2] وتتابعت هجرات العرب إلى الأقاليم الفارسية للإقامة والسكنى بأعداد كبيرة، وكان لهؤلاء المهاجرين العرب أثر كبير في انتشار الإسلام بين الفرس بالمخالطة وعن طريق القدوة، وإقامتهم لشعائر الدين[3].

ولا شك أن نزول السكان في بلد يسهم في عمارته، ويزيد من أهميته التجارية، والسياسية، والعسكرية، والدينية، ولهذا عرف معاوية رضي الله عنه وولاته، هذه الأهمية واعتنى بهذا الأمر وأغرى الناس لسكنى هذه المدن الجديدة، بتوزيع الإقطاعات، ومنح الأعطيات والأرزاق حتى يتوافد الناس إليها.

ومن الأمور المهمة التي تذكر في هذا الباب إنشاء مدن جديدة، حيث اعتني القادة والولاة الفاتحين بإنشاء مدن ليتخذوها مقرا لجندهم، ومنطلقا لحملاتهم في الفتوحات الإسلامية، ومن ثم صارت هذه المدن لها أهميتها الكبرى في تاريخ الحضارة الإسلامية، سواء العلمية، أو الفكرية أو الاقتصادية.

ومن هذه المدن التي نشأت في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكان لها دور كبير، في تاريخنا الإسلامي:-

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٨/٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٩٦.

(٣) عبد الشافي: العالم الإسلامي في لعصر الأموي، ص: ٣٦٥.

مدينة القيروان.

وهي مدينة عظيمة بأفريقية، مصرت في الإسلام أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد اختطها عقبة بن نافع الفهري، رضي الله عنه[١]، واختط مسجدها وبني الناس منازلهم ومساكنهم، حول المسجد، وكان عليها سور من لبن وطين، وعمرت وشد الناس إليها المطايا من كل أفق وعظم قدرها[٢]،وكان دورها، أو مساحتها، حوالي ١٣٦٠٠ذراع حين بناها حتى كمل أمرها[٣].

وبطبيعة الحال لم يتم بناء المدينة دفعة واحدة إذ كمل بناؤها سنة ٥٥هـ وكانت المدينة تتسع شيئا فشيئا خلال تلك الفترة ولم يوجه عقبة خلال ذلك الوقت كل همه للبناء إذ كان يوجه السرايا لتوطيد سلطان المسلمين في البلاد، وتبعد السيطرة البيزنطية عنها[٤].

ويلاحظ أن المسلمين حين يريدون اختطاط مدينة أو إنشاءها؛ فإن أول ما يقومون به هو أن يختطوا المسجد، ودار الإمارة، والسوق وحول هذا الثالوث يبنون دورهم ومساكنهم، وهكذا في جميع الولايات في الدولة الإسلامية.

وقد برع المسلمون في تخطيط المدن وعمارتها، حيث إنهم ورثوا من الدول التي افتتحوها أشياء لم تكن لديهم في بناء البيوت والمنازل، وأضافوا عليها وسبقوا في ذلك غيرهم، من ذلك أنهم، عندما مصروا البصرة جعلوها خططا لقبائل أهلها، فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسحة لمرابط

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/٤٢٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ٢٢٤،واليعقوبي: البلدان، ص: ١٨٦، وابن عذاري: البيان المغرب، ١/٢١.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب،١/٢١.

(٤) طهبوب: العصر الأموي، ص: ٢٠١.

خيلهم، وقبور موتاهم، وتلاصقوا في المنازل ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأي اتفقوا عليه[1].

وأيضا كان لهم اختيار مميز لمواقع المدن، حيث إنهم كانوا يختارون موقع يناسب طبيعتهم ويكونون في مأمن من أعدائهم، مع توفر كثير من سُبل المعيشة لهم ولدوابهم، ومن ذلك أنهم لما أرادوا تمصير البصرة مثلا كتب إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن ينزلوا في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والرعي، فكتب إليه الأمير أنه وجد أرضا كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها مناقع ماء فيها قصباء[2]، وأيضا عندما أراد عقبة بن نافع أن يبني مدينة القيروان استشار أصحابه في مكان يبنون فيه مدينتهم، فأشاروا عليه أن تكون على مقربة من البحر ليتم لهم الجهاد والرباط، فقال عقبة: "إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركه صاحب البحر إلا وقد علم به، قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل وهي التي تحمل أثقالكم فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الجهاد والغزو حتى يفتتح الله لنا منها الأول فالأول وتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى"[3].

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص: ٣٠٨،

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٣٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٠/١.

المبحث السابع: الاهتمام بالمساجد.

من الأمور المهمة التي تهتم بها الدولة الإسلامية منذ نشأتها نشر الإسلام في أنحاء المعمورة، ومن أهم معالم الإسلام المساجد التي تقوم فيها العبادات من صلاة، ونشر للعلم، وغير ذلك ، وكان المسجد في صدر الإسلام لم يقتصر دوره على أن تؤدى فيه الصلاة فقط؛ بل كان منطلق الجيوش، ودار الشورى، ومجلس القضاء، ومدارس لنشر العلم، ولذلك كان أهم ما يقوم به المسلمون؛ بل أول شيء يقومون به إذا أرادوا أن يتخذوا لهم مدينة أن يبنوا فيها مسجدا، ثم بعده يبنون بيوتهم حوله.

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم عند أول قدومه المدينة المنورة بعد رحلة الهجرة، فأول ما قام به أن بنى مسجد قباء، في أطراف المدينة، ثم بعد دخوله المدينة أسس مسجده الشريف، ثم حوله بني أصحابه بيوتهم ومنازلهم، وليس بغريب أن يكون المسجد من أول ما يبنى في أي مدينة إسلامية، فهو بيت الله تبارك وتعالى، وعمارته من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى،قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾(١)، وانطلاقا من هذه الآية الكريمة وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين دخوله المدينة المنورة، بأن أول شيء قام به بناء المسجد، فقد اهتم الخلفاء من بعده بهذا الأمر، فإنهم عندما يريدون أن يُمصِّروا مصرا فإن أول ما يقومون به أن يبنوا المسجد، من ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن يتخذ الكوفة مدينة لهم، أنه جاء إلى موضع المسجد فاختطه، ثم أمر رجلا أن يرمي بسهم من جهاته

---

(١) التوبة: آية رقم ١٨.

الأربعة و أمر الناس أن يبنوا منازلهم حول المسجد بعد موضع السهام[١].

بالإضافة إلى ذلك أيضا اهتم الخلفاء بتوسعة المساجد والاهتمام بها كلما سنحت لهم فرصة، وكلما زاد عدد المصلين في المساجد من ذلك زيادات الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وتوسعته من جهات مختلفة[٢].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما زاد الاهتمام بالمساجد سواء منه أو من ولاته أو قواده، من عدة اتجاهات، سواء بناء مساجد جديدة، أو تعمير المساجد القديمة والاهتمام بها وتطوير بنيانها، أو بتوظيف خدم يهتمون بأمرها.

أولا: الاهتمام بالحرمين الشريفين

اهتم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بالحرمين الشريفين، واعتنى بهما وذلك لمكانتهما الإسلامية وشرفهما، وكان اهتمام معاوية بالحرمين بعدة أمور منها:-

أنه اعتنى بكسوة الكعبة المشرفة؛ حيث أنه كان يكسوها مرتين في العام، كسوة القباطي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكسوها ذلك، وكسوة من ديباج، فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، من شهر الله المحرم، وكسوة القباطي في آخر شهر رمضان إستعدادا لعيد الفطر[٣]، وأمر بأن تجرد من الكُسَا التي كانت عليها من قبل، لوجود كُسَا الجاهلية فيها[٤].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٧١.

(٢) ينظر في توسعة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، (ابن الضياء المكي: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، والمدينة المشرفة والقبر الشريف، ص ٢٧٩-٢٨٢، وعبد الغني: تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص: ٤٣-٤٥)

(٣) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ٢٥٣/١، وابن الضياء المكي: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص: ١١٩، وحسين باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص: ٢٥١.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ٢٦٠/١.

إضافة إلى ذلك أن معاوية رضي الله عنه أجرى لها وظيفة من الطيب لكل صلاة، وكان يبعث بالطيب والمِجْمَر(١) والخَلُوق(٢) في الموسم وفي رجب، وأخدمها عبيدا بعث بهم إليها فكانوا يخدمونها ثم اتبعت ذلك الولاة بعده(٣).

وهذا من اهتمامه رضي الله عنه، وأن تطييب الكعبة فيه تطهير لها وفضيلة ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها:" أطيبُ الكعبةَ أحبُّ إلي من أن أهدي إليها ذهبا وفضة" وقالت: "طيبوا البيت، فإن ذلك من تطهيره" (٤)

وأيضا مما أضافه معاوية رضي الله عنه، في الاهتمام بالبيت الحرام، أنه أول من أجرى عليها زيتا وقناديل للإضاءة من بيت مال المسلمين، لتمكين المصلين والحجاج من أداء فرائضهم، وحفاظا للأمن(٥).

وقام معاوية رضي الله عنه بتجديد أنصاب الحرم، وذلك بعد أن درس شيء من معالم الحرم في عهده(٦).

هذا بالنسبة للمسجد الحرام، أما المسجد النبوي الشريف، فقد اهتم به معاوية

---

(١) مجمر: المِجْمر ما يتجمر به، وهو العود الطيب، يقال ثوب مُجْمر ومُجَمَّرٌ، وأجمرتُ الثوب وجمَّرته إذا بخرته بالطيب، والذي يتولى ذلك مُجْمِرٌ، ومُجَمِّرٌ،(ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر،٢٩٣/١، والمحب الطبري: القرى لقاصد أم القرى، ص:٥٢٢، وابن منظور:لسان العرب،١٤٥/٤).

(٢) الخلوق: طيب معروف مركب، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة،(ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٧١/٢، المحب الطبري: القرى لقاصد أم القرى، ص: ٥٢٢).

(٣) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ٢٥٣/١، والفاسي: شفاء الغرام، ١٧٣/١.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ٢٥٧/١، الفاسي: شفاء الغرام، ١٧٣/١.

(٥) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، ٢٥٤/١، الردادي: أمن الحج قبل العهد السعودي، ص: ٦٨.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ٦٢.

رضي الله عنه، وذلك أنه عندما حج كسا المنبر قبطية وزاد فيه ست درجات، ثم كتب إلى مروان بن الحكم وهو عامله في المدينة، أن ارفع المنبر عن الأرض فدعا له النجارين وعمل هذه الدرجات ورفعوه عليها، وصار المنبر تسع درجات[1].

ومما يذكر في الجهود الذي قدمها للحرمين إنشاء مشاريع نافعة، التي تنفع المجتمع، من ذلك أن معاوية رضي الله عنه، بنى داراً في مكة فيها قدور يطبخ فيها طعام الحجاج، وجعل بجوارها دارا أخرى عرفت (بدار المال) خصصت للمرضى، وإطعام الفقراء من الحجاج وغيرهم[2].

وأيضا أجرى في الحرم عيونا، واتخذ لها أخيافا، فكانت حوائط وفيها النخل والزرع منها حائط الحمام[3]، وفي نفس الوقت أجرى عيونا في المدينة المنورة منها عين الزرقاء، حيث أمر واليه على المدينة بإجرائها[4].

وهكذا اهتم معاوية رضي الله عنه بالحرمين الشريفين لمكانتهما في المسلمين، وخدمة الحجاج والمعتمرين.

ثانيا: تجديد المساجد السابقة وتطويرها.

ومن الاهتمام بالمساجد الذي كان في عهد معاوية رضي الله عنه، تطوير وترميم كثير من المساجد التي كانت مبنية في المدن من قبل في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، حسب ما يتفق مع العصر وحسب الظروف المتاحة في عهده.

من ذلك أن زياد بن أبيه، زاد في مسجد الكوفة ووسعه وأحكم بناءه، وكان يقول أنفقت على كل أسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشر مائة، وجمع الحصى وألقاه فيه، وذلك أن الناس كانوا يصلون فإذا رفعوا أيديهم وقد تربت

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢/٤٢٦.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ٢/٢٣٧-٢٣٩، والردادي: أمن الحج، ص: ٧٦.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ٢/٢٢٧.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ٣/١٥٠.

نفضوها، فقال زياد ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدي سنة في الصلاة، وأمر بأن يلقى الحصى في المسجد[١].

وفي نفس الوقت قام زياد بن أبيه بتطوير مسجد البصرة عندما كان واليا عليها، وذلك أنه حول دار الإمارة إلى جهة قبلة المسجد، بحيث يدخل الإمام المسجد من باب جهة القبلة، ولا يتخطى أحدا، وحول المنبر إلى صدر المسجد، وزاد في حائط المسجد زيادات كثيرة وبناه بالآجر والجص، وسَقَفَه بالساج، فلما أتم بناؤه جعل يطوف فيه مع وجوه أهل البصرة ويقول أترون خللا فيقولون ما نعلم بناء أحكم منه، وفيه يقول أحد شعرائهم[٢].

بنى زياد لذكر الله مصنعة ... من الحجارة لم تعمل من الطين

لولا تعاون أيدي الإنس ترفعها ... إذا لقلنا من أعمال الشياطين

وجاء بسواريه من الأهواز، وصار من أحسن الأبنية [٣].

وهكذا اهتم الولاة بتجديد المساجد التي كانت في ولا يتهم بقدر المستطاع وحسب ما يتناسب المكان بأحسن الأبنية الموجودة بحيث يكون المسجد معلما بارزا عن غيره من البيوت المحيطة به .

وأما مسجد دمشق، فقد حاول معاوية رضي الله عنه أن يشتري كنيسة يوحنا من النصارى فأبو أن يبيعوها له[٤]، لكنه أول من عمل فيه المقصورة، وذلك عندما حصلت له محاولة اغتيال[٥] .

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٧٢.

(٢) وهو حارثة بن بدر الغداني، وقيل البعيث المجاشعي، (البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٣٣٨)

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص:٣٣٨، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٣٣/١.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ص: ١٢٧.

(٥) الدينوري: المعارف، ص: ٥٥٣، وابن الجوزي: المنتظم، ١٧٨/٥، وابن الأثير: الكامل، ٤٣/٣.

وأيضا زاد مسلمة بن مخلد في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه بالفسطاط، بعد أن شكى الناس إليه ضيق المسجد فكتب إلى معاوية رضي الله عنه وكتب إليه معاوية يأمره بالزيادة فيه، فزاد فيه، وجعل له رحبة من البحري وزخرفه، وبنى فيه منارة، وذلك سنة ٥٣هـ، وقيل هو أول من أحدث المنار في المساجد والجوامع(١).

ثالثا: بناء مساجد جديدة.

وقد أنشأت في عهد معاوية رضي الله عنه مساجد جديدة كان لها دور كبير، ومكانة عظمى في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومن هذه المساجد التي بنيت في عهده مسجد القيروان: وهو مسجد بناه عقبة بن نافع، حين نزلها واختطها عام ٥٠هـ(٢)، واختط جامعها، وتحير الناس في القبلة، ومكثوا أياما، وبات ليلة مغموما من ذلك ودعا الله تبارك وتعالى أن يفرج عنهم فسمع قائلا يقول: في غد ادخل الجامع فإنك تسمع تكبيرا لم يسمعه أحد غيرك، فأتبعه فأي موضع انقطع فيه الصوت فهناك فهو قبلتك ومحرابك، فاستيقظ من منامه فتوضأ فصلى بالناس، وإذا بالتكبير، فتبعه؛ حتى وصل إلى موضع المحراب فانقطع التكبير، وقال هذا محرابكم، فاقتدى به سائر المساجد، ثم أخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد(٣).

وهذا من توفيق الله تبارك وتعالى له، وكان رضي الله عنه مستجاب الدعوة، وبهذا اقتدت المساجد الأخرى في تحديد القبلة في تلك المنطقة.

وليس غريبا أن تهتم الدولة بالمساجد في عصر صدر الإسلام، فإنها بالإضافة إلى كونها أماكن الصلاة والعبادة، فإنها كانت مركزا للإدارة العامة، تُدار منه شؤون الدولة

---

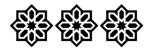
(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ١٥٨، وابن تغري بري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٣٣/١، والسيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ١٣٢/١.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص: ٢١٠، والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٠/٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٢٢٧، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٢١/٤،وابن الأثير الكامل: ٦٣/٣، وابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠/١.

قبل إنشاء الأبنية الخاصة، ومعهدا علميا لتلقي القرآن، والتفسير، والحديث، ومقرا لاجتماع العلماء، وطلبة العلم، ومقرا للقضاة لعقد جلساتهم، ولم يلبث أن تشعب عنها علوم الدين وعلوم اللسان وما يتعلق بذلك من المطالب التي فيها خدمة دينهم ولغتهم أولا، ودنياهم ثانيا[١].

ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على إنشاء المساجد والاهتمام بها وبيَّن الأجر العظيم الذي منحه الله تبارك وتعالى لمن يقوم ببناء المساجد وعمارتها، فقال صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجدا لله تعالى، يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتا في الجنة، أو مثله في الجنة"[٢].



(١) حسن: تاريخ الإسلام السياسي، والديني، ١/٥٢٤، ونجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص: ١٥٩.

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب، من بنى مسجدا، برقم ٤٥٠، ١/٩٧، ومسلم: كتاب الصلاة، باب فضل من بناء المساجد والحث عليها، برقم، ٥٣٣، ١/٣٧٨، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الفصل الخامس

الخطط الدينية في عهد معاوية رضي الله عنه، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: النظام القضائي في عهد معاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: أهم القضاة.

المبحث الثالث: نظام الشرطة.

المبحث الرابع: أبرز مهام الشرطة.

المبحث الخامس: نظام الشورى.

المبحث الأول: النظام القضائي في عهد معاوية رضي الله عنه.

القضاء باب عظيم من أبواب الشريعة الإسلامية، وأهميته كبيرة في المجتمعات، إذ هو يتعلق بالفصل بين الخصومات التي تحدث بين الناس، ومن المعلوم أن البشر من طبيعتهم يحدث بينهم أخطاء وتجاوزات، ويقع بينهم ظلم وتعد على حقوق الغير بأي سبب من الأسباب، ولهذا جاء القضاء للفصل بين الخصومات، ورد الحقوق إلى أصحابها وإقامة العدل بين الناس، وهذا غالبا ما لا يكون إلا عن طريق القضاء أو حاكم يعيد الأمور إلى نصابها، وقد أمر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام فقال تبارك وتعالى:﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[1]، بل إن الله تبارك وتعالى أمر به الأنبياء السابقين، فقال جل جلاله: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾[2]، وهذا يدل على أهمية القضاء في تسيير شؤون العباد لإقامة العدل ورد الحقوق إلى أصحابها.

لأجل هذا صار القضاء من أكبر أجهزة الدولة التي يجب أن يهتم بها الخلفاء، ويجعلوا هذا المنصب على من يكون كفؤا وأهلا له، إذ هو مسؤولية كبرى تتعلق بحقوق العباد ورد المظالم إلى أهلها، وإيقاف الظلمة إلى حدِّهم.

القضاء في اللغة: من قضى يقضي قضاء وقضية أي حكم، وقضى إليه عهدا معناه الوصية، ومنه قوله تعالى:﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[3]،وهو يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، والقضاء الحكم، ومنه قول الله جل في علاه:

---

(١) المائدة: من آية رقم، ٤٩.

(٢) ص: من آية رقم ٢٦.

(٣)الإسراء: من آية رقم ٤.

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[(١)] أي اصنع واحكم، ولذلك سمي القاضي قاضيا لأنه يُحكِم الأحكام ويُنْفِذها[(٢)].

واصطلاحا: هو "مَنْصِبُ الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة"[(٣)].

ومن هذا التعريف يتبين أن القضاء في الشريعة الإسلامية وجد للفصل بين الخصومات، في المشاكل والشكاوى التي تحدث بين الخلق، وفق ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية.

لما أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، كان لجهاز القضاء دور كبير، والنبي صلى الله عليه وسلم كان هو القاضي بين الناس في شؤون حياتهم وما اختلفوا فيه، وهذا كان تنفيذا لأمر الله تبارك وتعالى حيث قال جل جلاله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾[(٤)]، ومن هذا المنطلق كان النبي صلى الله عليه وسلم القاضي الأول في الإسلام، وتولى الفصل بين الخصومات، ولما توسعت الدولة الإسلامية في عهده، بعث عددا من الصحابة الكبار في الولايات البعيدة التي لم يصل إليها بنفسه لتعليم الناس أمور دينهم، وتولي القضاء في تلك المناطق مع توجيههم بالرجوع إليه في الأمور ا لمهمة والمستعصية، من بين من أرسلهم علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهما،[(٥)] وقد بعثهما إلى اليمن.

---

(١) طه: من آية رقم ٧٢.

(٢) الفراهيدي: العين، ١٨٥/٥، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٩٩/٥.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ٢٧٥/١.

(٤) المائدة: آية رقم، ٤٨.

(٥) وكيع: أخبار القضاة، ص: ٦٢.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لما وجه معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن بيَّن له كيف يقضي بين الناس، وإن كان هذا البيان عن طريق سُؤاله له ثم إقراره عليه؛ حيث قال له: "كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال أقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أجتهد رأيي، ولا آلو، قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله"[(١)].

وهكذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل في المسار الذي يتخذه في قضائه بين الناس، وهذا ليس له خاصة بل وضع به منهجا لمن يتصدى لهذا المنصب في أن يرد أحكامه إلى كتاب الله، فإن لم يجد ففي سنة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه أحمد: المسند، برقم، ٢٢٠٠٧، ٣٣٣/٣٦، وأبو داود: كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم، ٣٥٩٢، ٣٠٣/٣، والترمذي: أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، برقم، ١٣٢٧، ٦٠٨/٣، عن حارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ والإسناد ضعيف، لإبهام أصحاب معاذ، كما حكم عليه محققوا مسند الإمام أحمد، ٣٣٣/٣٦، والألباني، في سنن أبي دواود، والترمذي؛ لكن الحديث صححه جمع من أهل العلم، كما ذكر محققوا المسند، منهم أبو بكر الرازي، والخطيب البغدادي، وابن القيم الجوزية،(نفس الصفحة من المسند) وقال ابن القيم رحمه الله " هذا الحديث وإن كان عن غير مسمَّين فهم أصحاب معاذ فلا يضر ذلك؛ لأنه يدل على شهرة الحديث وأن الذي حدث به الحارث بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون واحد منهم لو سمي، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى؟ ولا يعرف في أصحابه متهم، ولا كذاب، ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك، كيف وشُعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض الأئمة إذا رأيت شعبة في إسناد فاشدد يديك به" (ابن القيم: إعلام الموقعين، ١٥٥/١).

وسلم، فإن لم يجد فيجتهد رأيه.

ثم جاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وامتدت الفتوحات الإسلامية في شرق البلاد وغربها، وصار الخلفاء في منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، في إرسال الولاة والقضاة في البلدان المفتوحة، ومع ذلك هم كانوا قضاة تولوا القضاء بأنفسهم في العاصمة، فالخليفة هو الذي يتولى الفصل بين الناس في الخصومات التي كان يباشرها بنفسه، وربما عينوا للقضاء في المدينة المنورة من يقوم به لانشغالهم بشؤون إدارة الدولة، من ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه، ولَّي القضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[١].

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونظرا لاتساع الفتوحات فصل بين القضاء والولاية، فكان يرسل في بعض الولايات ولاة يديرون الأمور السياسية، وقضاة يتولون القضاء والفصل بين الخصومات[٢]، وكان الخليفة يتحرى في اختيار القضاة؛ وإذا رآه أهلا لذلك وجهه إلى ولاية ليقضي بين الناس، مع توجيه النصائح له بين الحين والآخر، من ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ساوم بفرس فركبه ليشوره فعطب فقال للرجل خذ فرسك، فقال الرجل لا، قال: اجعل بيني وبينك حكما قال الرجل: شُريح، فتحاكما إليه، فقال شُريح يا أمير المؤمنين خُذْ ما ابتعت أو رد كما أخذت فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا سِر إلى الكوفة فبعثه قاضيا عليها. وإنه أول يوم عرفه فيه[٣].

وعموما كان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم هو امتداد لصورة

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ص: ١٢٣.

(٢) مدكور: القضاء في الإسلام، ص: ٢٦، ومن القضاة الذين تولوا القضاء في عهده، أبا مريم الحنفي، في البصرة، وشريح القاضي في الكوفة، ومن بين ولاته في هذين المصرين، المغيرة بن شعبة في الكوفة، وعثمان بن أبي العاص، (تاريخ خليفة بن خياط، ص: ١٥٣-١٥٤).

(٣) ابن سعد: الطبقات، ١٣٢/٦، ووكيع: أخبار القضاة، ص: ٣٥٧.

القضاء في العهد النبوي من حيث الالتزام والتأسي بالمنهج، والاعتماد على الوازع الديني، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات، وأيضا يعتبر القضاء في العهد الراشدي، صورة سليمة للقضاء الإسلامي، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدرا للأحكام الشرعية والاجتهادات القضائية، بالإضافة إلى أن الخلفاء الراشدين، وولاة الأمصار مارسوا النظر في المنازعات بأنفسهم وتولو القضاء بجانب الولاية، كما أنه في هذا العهد عُيِّن في بعض الولايات قضاة لممارسة القضاء خاصة دون بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة[١].

وكثيرا ما كان الخلفاء الراشدون يتعاهدون الولاة والقضاة بالنصائح والإرشادات[٢]، التي تخص القضاء بالذات، من ذلك كُتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء، إلى أبي موسى الأشعري[٣]، و شُريح القاضي[٤]، و معاوية بن أبي سفيان[٥] رضي الله عنهم.

في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لم يختلف القضاء كثيرا؛ وذلك لقرب هذا العهد بعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وخاصة أن بعض القضاة في هذا العهد كانوا قضاة في عهد الخلفاء الراشدين، وأن معاوية استعان بهم في هذه المهمة، ولاشك أن هؤلاء القضاة كانت توجيهات الخلفاء الراشدين حاضرة أمامهم.

وكان القضاء في هذا العهد يسير على النهج الذي سار عليه العهد النبوي والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، والذي رسمته الشريعة بمبادئها وقواعدها العامة،

---

(١) محمد الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص: ١٥٧-١٥٨.

(٢) مدكور: القضاء في الإسلام، ص: ٢٧.

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ص: ٥٤.

(٤) نفس المصدر: ص: ٣٥٨.

(٥) نفس المصدر: ص: ٥٦.

والقاضي غالبا يكون مجتهدا فلا يلتزم برأي معين؛ وإنما يقضي فيما ليس فيه نص قاطع أو إجماع سابق لرأيه واجتهاده، وإذا استشكل عليه أمر في قضائه استعان بالفقهاء الموجودين في المصر[1].

ونظرا لاتساع الدولة الإسلامية، في عهد معاوية رضي الله عنه، وهذا استدعى أن يحصل بعض التطور والتنظيم في أجهزة وإدارات الدولة لكي تواجه كثيراً من الأمور التي لم تكن في عهد من قبله، وبما أن القضاء أحد أجهزة الدولة التي لها أهمية كبرى، فإنه في هذا العصر استجدَّتْ فيه بعض الأشياء التي لم تكن في السابق.

أن هذا العهد بُدأ فيه تدوين الأحكام القضائية، فصار القضاة يدونون الأحكام التي يصدرونها، من ذلك: أن سليم بن عنز[2] قاضي مصر أيام معاوية رضي لله عنه اختُصم إليه في ميراث فقضى بين الورثة، ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم، وكتب كتابا بقضائه واشهد فيه شيوخ الجند، فكان أول القضاة بمصر سجل سجلا بقضائه[3].

وبهذا ظهر في هذا العهد الحاجة إلى وجود سجلات تدون فيها الأحكام التي يصدرها القضاة، وذلك لكثرة المشاكل والمنازعات المختلفة، على عكس ما سبق في عهد الخلفاء الراشدين فقد أدى تناكر الخصوم في بعض الأحيان لأحكام القضاة إلى

---

(١) الحميضي: القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) سليم بن عنز التجيبي المصري أبو سلمة، قاضي مصر وناسكها، من الطبقة الأولى من التابعين، وكان يسمى الناسك لكثرة فضله وشدة عبادته، وكان يختم القرآن كل ليلة ثلاث ختمات، وهو أول من قص بمصر سنة ٣٠هـ، وولاه معاوية القضاء بها سنة ٤٠هـ، فأقام قاضيا ٢٠ سنةتوفي بدمياط سنة ٧٥هـ(الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣٠٦، وكيع: أخبار القضاة، ٦٣١/٣، والسيوطي: حسن المحاضرة، ٢٩٥/١).

(٣) الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣٠٩-٣١٠.

إدخال نظام السجلات[١].

ومن الأمور التي استُحدثت في القضاء أيام معاوية رضي الله عنه، نظر القاضي في الجِراح، وذلك أن معاوية رضي الله عنه كتب إلى قاضيه في مصر سليم بن عنز يأمره بالنظر في الجراح، وأن يرفع ذلك إلى صاحب الديوان، وكان سليم أول قاض نظر في الجراح وحكم فيها، فكان الرجل إذا أصيب فجُرح أتى إلى القاضي واحضر بينته على الذي جرحه فيكتب القاضي بذلك الجرح قصته على عاقله الجارح، ويرفعها إلى صاحب الديوان فإذا حضر العطاء اقتص من أعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح، ويُنجَّم ذلك في ثلاث سنين فكان الأمر على ذلك[٢]. ولهذا يمكن القول أن القضاء في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما دخل عليه بعض التطورات في التنظيم والأمور الإدارية التي لا تؤثر على جوهر القضاء.

بل إن القضاء لم يختلف كثيرا عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، خاصة السلطة القضائية ، وتنظيم القضاء، واختيار أفضل العناصر لتولي منصب القضاء، كما أن السلطة القضائية كانت منفصلة عن السلطة السياسية والسلطة التنفيذية، وكان القاضي يتبع في الأسلوب المطلق من حيث الاجتهاد كما يفعل القضاة في عصر الخلفاء الراشدين[٣].

ولاشك أن نصائح وتوجيهات معاوية كانت تشمل القضاة، وخاصة أنه كانت تأتيه رسائل في القضاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أمير على الشام إذ ذاك، فكتب إليه "أما بعد فإني كتبت إليك في القضاء بكتاب لم آلك فيه ونفسي خيرا، فألزم خصالا يسلم دينك، وتأخذ بأفضل حظك عليك، إذا حضر الخصمان فالبينة العدول، والأيمان القاطعة، أدن الضعيف حتى يجتري قلبه

(١) واصل: السلطة القضائية ونظام ا لقضاء، ص: ٦٧.

(٢) الكندي: الولاة والقضاة ، ص: ٣٠٩.

(٣) واصل: السلطة القضائية ونظام القضاء، ص: ٦٦.

وينبسط لسانه، وتعاهد الغريب، فإنه إن طال حبسه ترك حقه، وانطلق إلى أهله، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأسا، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء"[١].

ولا شك أن مثل هذه التوجيهات وغيرها كان معاوية يوجهها لقضاته، إذ جعلهم حكاما على رعيته، للفصل بين الخصومات، وربما أدخل بعض التطورات في القضاء ويرسل بذلك إلى قضاته، كما مر معنا مع قاضيه في مصر.

---

(١) وكيع: أخبار القضاة، ٥٦-٥٧.

المبحث الثاني: أهم القضاة.

القاضي له مكانة كبيرة في المجتمع، وعليه مسؤولية أكبر في إقامة العدل وعدم المحاباة لأحد، وإتباع الهوى، والخوف من الله تبارك وتعالى، إذ هو يتصدى لإقامة العدل الذي أمر الله به عباده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[1] فإن التصدي لهذا المنصب ليس بالأمر السَّهل والهين، ولهذا كان الخلفاء الراشدون يتحرون من سيولون هذا المنصب؟ فيختارون له من عُرِفَ بعلمه وفطنته وورعه[2]؛ وكان كثير من العلماء يتحاشون على أن يتولوا القضاء لمعرفتهم بقدره والمسؤولية الكبرى التي تكون على عاتق القاضي.

ولهذا على ولي أمر المسلمين أن يختار لهم من يقوم بهذه المهمة من هو أصلح لها، والأفضل وعليه أن يعلم أن هذه مسئولية كبرى، فعليه أن يبذل قصارى جهده في اختيار القاضي، وعليه أن يجعل ميزان الصلاح القوة والأمانة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[3].

وفي عهد معاوية رضي الله عنه، تولى منصب القضاء رجال أكفاء، بعضهم ذوو خبرة في مجال القضاء من أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[4]؛ حيث إنهم كانوا قد تولوا القضاء من أيام الخلفاء، واستمر عطاؤهم، وجهدهم في هذا العصر، وذلك

---

(١) النساء: آية رقم ٥٨.

(٢) طبعا هذا التقفيم لا يشمل كبار الصحابة مثل معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم.

(٣) القصص: آية ٢٦.

(٤) منهم على سبيل المثال، شريح القاضي مولى كندة، وقد تولى لعمر بن الخطاب القضاء في الكوفة، واستمر على هذا المنصب حتى خلافة معاوية وما بعدها.

أن معاوية رضي الله عنه عرف لهم مكانتهم ورآهم أهلا لذلك، وأيضا تولى في هذا العصر أيضا قضاة جدد كان لهم دور كبير في تسيير القضاء على أحسن حال.

وفي هذا المبحث نتناول أهم القضاة الذين تولوا القضاء في عهد معاوية رضي الله عنه حسب الولايات التي كانوا فيها:

ولاية المدينة المنورة: عندما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة، أسند ولاية المدينة لمروان بن الحكم، وأوكل إليه تدبير شؤونها، فقام هو بدوره في إسناد بعض إدارات الدولة إلى بعض من يثق بهم، وبين الإدارات إدارة القضاء، فقام بتنصيب بعض ا لقضاة فيها ومن بين الذين تولوا القضاء في المدينة.

عبد الله بن نوفل رضي الله عنه(١).

ولي قضاء المدينة أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في ولاية مروان بن الحكم سنة ٤٢هـ، وكان أول قاض فيها يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "هذا أول قاض رأيته" وكان مرضيا صحيح القضاء في الحكم، ورضيه أهل المدينة حتى عزل عنهم، وكان من أهل العلم والفضل، وصلحاء المسلمين وفقهائهم؛ من أقضيته أنه كان يقضي باليمين مع الشاهد، وكان أول من قضى حقا على آل مروان، واستمر قاضيا في المدينة حتى عَزل مروا بن الحكم عنها سنة ٤٨هـ(٢).

أبو هريرة رضي الله عنه.

من أفاضل الصحابة، ومن المكثرين من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه

---

(١) عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يشبهه، توفي يوم الحرة، سنة ٨٤هـ، وقيل أيام معاوية رضي الله عنه،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢١/٥، ابن عبد البر: الاستيعاب، ٩٩٩/٣،ابن حجر: الإصابة، ٤٠٤/٦).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٨، وكيع: أخبار القضاة، ص: ٨٠ الذركلي: الأعلام، ١٤٢/٤.

وسلم، ولي قضاء المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لم تحدد المصادر التي اطلعت عليها، السنة التي تولى فيها القضاء بالتحديد، والذي يظهر أنه كان بعد عبد الله بن نوفل، لأن أبا هريرة رضي الله عنه رُوِي عنه قوله: "هذا أول قاض رأيته بالمدينة" يعني لعبد الله بن نوفل،[١].

وقيل أنه كان يقوم بالقضاء أثناء ولايته على المدينة، أميرا عليها، أو قبل أن يستقر الأمر لمعاوية ويولي عليها الأمراء، وربما أوكل إليه النظر في الخصومات، في الفترات الانتقالية، عند عزل أمير وتولية آخر، أو عزل قاض، وتولية آخر[٢].

وعموما له أقضية مشهورة في المدينة المنورة، منها أنه أتاه رجل بغريم له أخذ منه مالا فقال إن لي عنده مالا؛ قال ما تقول؟ قال صدق؛ قال أقضه، قال ليس عندي، إني معسر؛ قال للآخر ما تقول؟ قال أريد أن تحبسه؛ قال هل تعلم أن له عين مال فنأخذ منه فنعطيك؟ قال: لا؛ قال فما تعلم أن له أصل مال فيبيعه ويقضيك؟ قال لا؛ قال: فما تريد منه؟ قال أريد أن تحبسه، قال: لا أحبسه لك، ولكن أدعه يطلب لك ولنفسه، ولعياله[٣]، وهذا يدل على فقهه رضي الله عنه،؛ حيث رفض حبس المعسر الذي يُقِر بدينه، إذ أنه لا فائدة من حبسه بل ربما عاد الضرر إلى غيره لو حبسه، من عياله، و صاحب المال أيضا؛ وهذا يدل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤].

وأيضا من ما يحكى من مواقفه في القضاء أنه رضي الله عنه أمر بالتسوية بين

---

(١) وكيع: أخبار القضاة، ص: ٨٠.

(٢) شراب: المدينة في العصر الأموي، ص: ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ٧٩.

(٤) البقرة: آية رقم ٢٨٠.

الخصوم، وذلك أنه جاءه رجل فجلس على وسادته التي يتكئ عليها، فظن أبو هريرة أنه لحاجة غير الحكم، فجاء رجل يستأدي من هذا الرجل الذي جلس على الوسادة، فقال: أبو هريرة قم فاجلس مع خصمك فإنها سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم[1].

ولاية دمشق: وهي عاصمة الدولة الإسلامية في أيام معاوية، ولاشك لمكانة هذه المدينة فإن القضاة الذين تولوا فيها كانوا من أفاضل القضاة، فإنه كان فيها الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه، وبعد وفاته أوصى معاوية رضي الله عنه برجل يثق به ويقوم بهذا الشأن.

فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه[2].

صحابي كبير من كبار الصحابة رضي الله عنهم، ومن أهل بيعة الرضوان بل إنه آخر من توفي منهم، ولي قضاء دمشق أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بترشيح من أبي الدرداء رضي الله عنه، وذلك أن أبا الدرادء كان قاضيا في دمشق فلما حضرته الوفاة جاءه معاوية رضي الله عنه وقال له من ترى لهذا الأمر بعدك، قال فضالة بن عبيد، فلما توفي أبو الدرداء قال: معاوية لفضالة إني وليتك القضاء قال: فاستعفني منه فقال: له معاوية والله ما حابيتك بها ولكني استترت بك من النار

---

(١) وكيع: أخبار القضاة، ٧٩-٨٠، ومحمد الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص:٢٠٠.

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ – وقيل ناقد- ابن قيس بن صهيب بن أصرم بن جَحْجَبَى، الأنصاري الأوسي، القاضي الفقيه، أسلم قديما ولم يشهد بدرا، وشهد أحد فما بعدها، وهو أصغر من شهد بيعة الرضوان، وشهد فتح مصر والشام، وسكن الشام، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب، مات في خلافة معاوية، سنة ٥٣، وحمل معاوية نعشه،(وكيع: أخبار القضاة،٦١٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٣/٣، ابن حجر: الإصابة، ٥٤٨/٨).

فاستتر منها ما استطعت[١].

وكان له فيها نماذج من الأقضية التي تدل على فقهه وفطنته وذكائه، ومن بين أقضيته أنه قضى مرة بدرء الحد، وذلك أنه أُتي بسارق يحمل سرقته، فقال له فضالة: لعلك التقطتها، فقال له الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنه ليلقنه قال: إي والله أصلحك الله لوجدتها، فخلى فضالة سبيله[٢]، وهذا لا يعني أن فضالة رضي الله عنه، بفعله هذا أنه أخل بحد من الحدود التي أتى بها القرآن، لكن أن القاضي عليه أن يلقن الذي أرتكب حدا، ويدله على بعض الأعذار، حتى يتأكد من جريمته، وذلك أنه ربما يظن أنها سرقة ولكنها ليست كذلك، وهذا مثله حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل الذي زنا وجاء إليه ليطهره[٣].

ولاية الكوفة: هذه أيضا من الولايات الكبرى في الدولة، وقد أسند جهاز القضاء في هذه الولاية، على رجل له خبرة في مجال القضاء منذ زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهو:

شريح بن الحارث القاضي.

وهو من القضاة الكبار والمخضرمين؛ حيث إنه كان قاضيا في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فمنذ أن عينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، استمر بها قاضيا حتى أيام معاوية رضي الله عنه، وله في القضاء مواقف مشهورة وكثيرة، ومن بينها أنه قدم دمشق ودخل إلى قاضي لمعاوية يطالب رجلا بحق له فقال القاضي: لشريح أرى حقك قديما، قال شريح الحق أقدم منك ومنه، فقال:

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق،٣٠٢/٤٨، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٥/٣.

(٢) وكيع: أخبار القضاة، ٦١٧.

(٣) وهي قصة ماعز بن مالك، وقد رواها البخاري: كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم، في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم، ٦٩/٩، ومسلم: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، برقم ١٦٩٢، ١٣١٩/٣.

إني أظنك ظالما قال ما على ظنك رحلتُ من العراق، قال: ما أظنك تقول الحق، قال لا إله إلا الله، قال فمُني الخبر إلى معاوية رضي الله عنه فقال هذا شريح، فأمر أن يفرغ من أمره ويعجل برده إلى العراق(١).

ولاية مصر:

سليم بن عنز التجيبي.

من أشهر القضاة الذي تولوا القضاء أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، تولى قضاء مصر، وكان قبلها قاص، ولما ولي معاوية الخلافة سنة ٤٠هـ جعله في قضاء مصر، وكان فيه حتى وفاة معاوية رضي الله عنه، وكان معاوية يراسله في أمور القضاء، وهو أول من نظر في الجراح وحكم فيها، وذلك بأمر من معاوية رضي الله عنه، وأيضا هو أول من سجل الأحكام القضائية(٢).

ولاية البصرة:

زرارة بن أوفى الجرشي(٣).

ولي قضاء البصرة، من أيام زياد بن أبيه حتى أيام عبيد الله بن زياد، في خلافة معاوية ، وكان رجلا صالحا ذكيا وهو الذي أجاز شهادة رجل واحد، وله ملح،

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٩/٢٣.

(٢) الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣٠٧-٣٠٩، وكيع : أخبار القضاة، ٦٣١، وذكر أن اسمه سليمان بن عنز اليحصبي.

(٣) زرارة بن أوفى أبو حاجب العامري، الجرشي، الإمام الكبير، قاضي البصرة، أحد الأعلام، من التابعين، سمع عمران بن حصين، وأبا هريرة، وابن عباس، صلى بالناس الفجر، فقرأ سورة المدثر حتى إذا بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ خر ميتا، وذلك سنة ٩٣هـ، (البخاري: التاريخ الكبير، ٤٣٨/٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥١٥/٤-٥١٦).

وأخبار، ومواقف كثيرة في القضاء وكان رجلا فاضلا[1].

هؤلاء بعض القضاة الذين كانوا في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في بعض الولايات، وهناك غيرهم كثير، وكان لهم دور كبير في تسيير أمور القضاء والفصل بين الخصومات، مع الاستقلالية التي كانت موجودة في ذلك العهد، ولا شك أن هؤلاء القضاة وغيرهم كان عليهم عبء كبير وخاصة بعد توسع الدولة الإسلامية ودخول الناس في هذا الدين، وكثرة الخصومات والمسائل التي تهم القضاء، وانشغال الخليفة والولاة بالأوضاع السياسة.

ويتبين من تراجم هؤلاء القضاة المذكورين في عهد معاوية رضي الله عنه، أن هناك أموراً استجدت في القضاء في عهدهم، منها النظر في الجراح، وكتابة الأحكام القضائية، وغير ذلك من الأمور التي لم تكن في نظام القضاء من قبل.

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٧، وكيع: أخبار القضاة، ص: ١٨٦، والسمناني: روضة القضاة، ١٤٩٩/٤.

المبحث الثالث: نظام الشرطة.

الشرطة في اللغة: الشين والراء والطاء أصل يدل على عَلَمٍ وعلامة، ومن ذلك الشَّرَط العلامة، والجمع شُرط، والشرطة في السلطان، من العلامة والإعداد، ورجل شُرْطِي وشُرَطِي: منسوب إلى الشرطة، والجمع شُرَطٌ؛ سموا بذلك لأنهم أعدوا لذلك وأعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، وقيل هم أول كتيبة تشهد الحرب(١).

واصطلاحا: الشرطة هي الجند الذين يَعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين، وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم(٢).

ومن المعلوم أن حفظ الدين والنفس والمال والعرض من الأمور التي دعت إليها الشريعة، وأمرت بالمحافظة عليها، وهي من الأمور المهمة لدى جميع الأمم، والمجتمعات، والأعراف البشرية، إذ أنه لا يمكن أن تسير حياة البشرية وأمنهم مضطرب، وأعراضهم منتهكة، وأموالهم منهوبة، وأنفسهم معرضة للخطر، فكان لابد من حل لهذه المشكلة، والأخذ على يد المفسدين الذين يعبثون بالأمن، ولهذا اتخذت كل أمة من الأمم منهجا وأساليب، لحل هذه المعضلة من بينها الشرطة.

والشرطة مؤسسة قديمة احتاجت إليها المجتمعات المنظمة أو شبه المنظمة، لتكون أداة السلطان في إرهاب المجرمين، والمفسدين، في ملاحقتهم والقبض عليهم، وتأديبهم أحيانا(٣).

وإذا نظرنا إلى تاريخ الشرطة في الإسلام نجد أنها في عهد النبي صلى الله عليه

---

(١) الفراهيدي: العين، ٢٣٥/٦، ابن فارس: مقاييس اللغة، ٢٦٠/٣، ابن منظور: لسان العرب، ٣٣٠/٧.

(٢) حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني، ٤٦٠/١.

(٣) القاسمي: نظام الحكم في الشريعة الإسلامية ٦٣١/٢.

وسلم، لم يكن لها نظاما بالمعنى الذي ظهر فيما بعد؛ لكن نجد بعضا من الأعمال التي تقوم بها الشرطة موجودة في عهده عليه الصلاة والسلام، مثل الحراسة الشخصية، وبث العيون، وحراسة المدينة، وغيرها[1].

واستمر الحال على ما هو عليه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفي أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان يقوم بالعسس بنفسه ويرتاد المنازل ويتفقد أحوالهم بنفسه[2]، وهذا أيضا يعد من أهم أعمال الشرطة، وذلك فيه طمأنينة للأمة من أن خليفتهم يقوم هو بنفسه لحراستهم، وكان يفعل ذلك خوفا من السُّراق وغيرهم، فإن كان هذا في المدينة فإن في غيرها من الولايات من باب أولى فكانت لا تخلوا من أناس يقومون بما كان يقوم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، صار للشرطة صفة رسمية تقريبا، فهو أول من عين صاحب شرطة[3]، ومن البديهي أن لا يتخذ صاحب شرطة، إلا أن يكون جهاز الشرطة قد كمل تأليفه، حتى احتاج إلى رئيس يدير أمره[4]، ونفس الشيء أيام علي رضي الله عنه، ورغم اشتغاله بالأحداث التي حدثت في عهده إلا أنه لم يغفل عن نظام الشرطة وكان يولي فيه من يراه أهلا لذلك[5] .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أصبح لنظام الشرطة أهمية كبيرة،

---

(١) ينظر لتفصيل هذه المسألة، الحميداني: ولاية الشرطة في الإسلام، ص: ٦٢، وما بعدها.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥/٤.

(٣) العسكري: الأوائل، ص: ١٩٩، والسيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٥، وكان صاحب شرطته عبد الله بن منقذ من تميم قريش.

(٤) القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ٦٣٤/٢.

(٥) وكان ممن ولي ا لشرطة أيام علي رضي الله عنهن معقل بن قيس الرياحي، ومالك بن خبيب اليربوعي، وعلى شرطة الخميس الأصبغ بن نباتة المجاشعي، (خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٠٠).

وصار الاهتمام به أكبر من غيره من حيث اختيار الرجال الأكفاء، ومن حيث التنظيم، ومن حيث المهام التي ألقيت على عاتقهم.

لقد تغيرت الحياة السياسية والاجتماعية في عهد معاوية رضي الله عنه عما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتطورت النظم الإدارية تطورا ملحوظا وتبعا لذلك صار نظام الشرطة أكثر وضوحا وأشد قوة وإحكاما وأهمية(١)، وذلك بسبب الاعتداءات التي حصلت للخليفة ولبعض ولاته مما كان له أثر كبير في الاهتمام بنظام الشرطة وإلقاء مسؤوليته على رجال أقوياء.

وذلك أن معاوية رضي الله عنه، ضربه الخارجي وهو في الصلاة، ولما عُوفِي من تلك الضربة رأى عند ذلك أن أهمية الشرطة ضرورة لحماية الخليفة، حتى ولو في الصلاة ولهذا عمل المقصورة، وأمر قيام الشرطة على رأسه إذا سجد(٢).

وفي عهد معاوية رضي الله عنه ظهر بعض التطور في جهاز الشرطة، وهذا يرجع إلى التطور الذي حصل في كثير من الإدارات في عهده، ومن ذلك نظام مراقبة المشبوهين، وذلك أنه في دمشق أُعد سجل لحصر المشبوهين من ذوي النشاط الإجرامي، ونظمت اجراءات مراقبتهم والحد من نشاطهم(٣).

وقد ولي شرطة معاوية كثير من أكفاء الرجال من بينهم:

يزيد بن الحر(٤)، تولى شرطة معاوية رضي الله عنه فترة من الزمن فلما مات ولى

---

(١) الرحموني: نظام الشرطة، ص: ٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٩/٥.

(٣) الرحموني: نظام الشرطة في الإسلام، ص: ٦٦.

(٤) يزيد بن الحر، ويقال ابن زحر ويقال ابن الحرام العبسي، من وجوه أهل دمشق شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ولاه معاوية على شرطته، وأغزاه أميرا على الصافية، (خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥١/٦٥).

مكانه، قيس بن حمزة الهمداني[1].

ولم يكن اتخاذ صاحب الشرطة مقصورا على معاوية فقط؛ بل في كل ولايات الدولة الإسلامية كان فيها هذا الجهاز، وبطبيعة الحال فإن أجهزة الشرطة تختلف باختلاف الولايات إذ إنها تكون في ولاية مثل البصرة والكوفة كبيرة وقوية، نظرا لعدم الاستقرار الأمني في تلك المناطق، بينما تكون أقل تأثيرا وشأنا في الولايات الأخرى، بسب وجود الخوارج والشيعة وغيرهم من المفسدين، فلما ولي زياد بن أبيه البصرة، أخذ الأمر بحزم وعزم قوي، واتخذ من الشرط حوالي أربعة آلاف شرطي، وجعل عليهم عبد الله بن حصن[2]، وقد كان زياد يختار لشرطه من الرجال الذين تتوفر فيهم بعض الأمور، وهذا يدل على خبرته في اصطفاء الرجال للمهمات الصعبة، فكان يقول " أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عضَّ على ناجذه: الثغر، والصائفة، والشرط، والقضاء، وينبغي أن يكون صاحب الشرط شديد الصولة، قليل الغفلة"[3]، هذه بعض الصفات التي كانت تتوفر على صاحب الشرط، وتدل هذه الصفات على أنه شديد الصولة بحيث يُلقي بنفسه على المخاطر ويواجهها، ولا يخاف من مواجهتها، وقليل الغفلة، بحيث يكون دائم الانتباه واليقظة، والمسن بحيث لا يمكن إغراؤه، وهذه الصفات لاشك قليل من يتحلى بها ويصبر عليها.

وفي مصر أيضا اتخذ واليها عمرو بن العاص رضي الله عنه صاحب شرطة،

---

(١) قيس ابن حمزة بن مالك بن سعد بن حمزة بن مالك بن منبه بن سلمة بن همدان الهمداني، لأبيه حمزة بن مالك وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم، ولاه معاوية على شرطته، وكان من وجوه أهل الشام ثم عزله، وولا مكانه ذهل بن عمرو الالعذري.(خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٧٨/٤٩).

(٢) عبد الله بن حصن أحد بني عبيد بن ثعلبة صاحب مَقبُرة ابن حصن،(الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥).

(٣) اليعقوبي: التاريخ، ٢٣٥/٢.

حتى أن بعض المصادر تذكر أنه اتخذه أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أنه كان على شرطته خارجة بن حذافة بن غانم رضي الله عنه[1]، واستمر خارجة على هذا المنصب؛ وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يُنيبه في الصلاة عند غيابه، وقد أنابه يوما لصلاة الفجر وكان عمرو مريضا، فقتله الخارجي وهو يظن أنه عمرو بن العاص، فقال في ذلك " أردت عمروا وأراد الله خارجة" فصارت مثلا[2].

وقد صار لصاحب الشرطة منذ أيام معاوية رضي الله عنه أهمية كبرى عند الخلفاء والولاة وذلك أنه الساعد الأيمن لهم والعدة القوية للمحافظة على كيان الدولة وصيانة المجتمع، وقد ساعدهم على تبوء هذه المكانة، قوة شخصيتهم ومستواهم الخلقي الرفيع وكفاءتهم العسكرية وحنكتهم الإدارية التي يُختارون على أساسها، إلى جانب العدد الهائل من الأعوان المسلحين الأقوياء الذين كانوا يستعينون بهم على القيام بأعمالهم الكثيرة؛ هذه القوة المادية، مع المكانة العلمية والخلقية مكنتهم من اكتساب ثقة الخلفاء والولاة وصاروا ينيبونهم أحيانا على تسيير شؤون الدولة أو الولاية[3].

وبهذه الشرطة وقوتها وقوة مسؤوليها استطاع معاوية وولاته أن يضبطوا الخلافة

---

(١) خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، كان أحد الفرسان، حتى قيل أنه كان يعد بألف فارس، وهو من مسلمة الفتح، أمد به عمر، عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر، فكان على شرطة عمرو، قتله أحد الخوارج الثلاث الذين أنتدبوا لقتل علي، ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وقتل في اليوم الذي قتل فيه علي رضي الله عنه، وذلك سنة ٤٠هـ، قتله عمرو بن بكير،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٨٨/٤، الذهبي:تاريخ الإسلام، ٣٤٨/٢، وابن حجر: الإصابة، ١٢٣/٣، السيوطي: حسن المحاضرة، ١٩٣/١)

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص: ١٣١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٩/٥، الكندي: الولاة وكتاب القضاة، ص:٣٢،

(٣) الرحموني: نظام الشرطة في الإسلام، ص: ١٠٤-١٠٥.

ويعيدوا الأمور إلى نصابها، على الأقل كفَّ كثير من المفسدين شرورهم، بل إن الأمن والاستقرار تعدى إلى المدن الأخرى والطرق التجارية، ولهذا كان زياد بن أبيه أول من شد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وخافه الناس خوفا شديدا، حتى أمن الناس بعضهم بعضا، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها وهابه الناس هيبة لم يهبوها أحدا قبله[1]. وهذا لا شك أنه لم يتأت له ذلك إلا بمساعدة من الشرطة وحسن سياسة لها واختيار قادة أكفاء لهذا الجهاز، وطاعة الشرطة له والائتمار بأمره، وهكذا كانت الولايات الأخرى في الدولة أيام معاوية، ولهذا نجد استتباب الأمن في أنحاء الدولة بعد أن مرت بأحداث جسام، وبهذا أعادوا للدولة هيبتها واستقرارها.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥.

المبحث الرابع: أبرز مهام الشرطة.

الشرطة لها مكانة كبيرة في المجتمع، إذ هي المسئولة عن حفظ الأمن والاستقرار والأخذ على يد الظالم مهما كان، ولهذا أُلقيت على عاتقهم مسئولية كبرى، وتختلف هذه المسئولية من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان، ولكن في النهاية ترجع إلى ضبط الأمن، واستقرار الدولة سياسيا واقتصاديا، وفي هذا المبحث نلقي الضوء على أبرز مهام الشرطة التي أنيطت بهم وألقيت على عاتقهم، أيام معاوية رضي الله عنه.

أولا: حراسة الخليفة أو الأمير.

من أبرز مهام الشرطة في عصر معاوية رضي الله عنه حماية الخليفة من أي اعتداء قد يحدث له، وذلك لكثرة المفسدين الذي صاروا يتربصون بالخليفة، وهذا يرجع إلى الأحداث التي سبقت عهده من قتل بعض الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على يد هؤلاء؛ من أصحاب الأهواء، ولهذا نجد أن معاوية رضي الله عنه، قد اتخذ لنفسه رجالا من الشرطة مُهمَّتُهم حراسة الخليفة والذهاب معه، والقيام على رأسه.

وبعد حادثة اغتيال علي رضي الله عنه، والمحاولة التي دُبرت لاغتال معاوية، وشفي منها اتخذ شرطة يقومون على رأسه إذا سجد، ويحرسونه بالليل، ويذهبون معه أين ما ذهب[١]، وبعد هذا توالى الخلفاء والولاة، وجعلت مهمة حراسة الخليفة من مهام الشرطة، وعلى عاتق صاحب الشرط يختار لها من أحسن الشرط، بل ربما قام صاحب الشرطة بحراسته بنفسه.

وذلك أن زياد بن أبيه، جعل على شرطته الذين يبلغون حوالي ٤ آلاف رجل رجلين فبينما زياد يسير يوما وهما بين يديه يسيران بحربتين تنازعا بين يديه فقال لأحدهما ألق الحربة فألقاها وثبت الآخر على شرطته حتى مات زياد[٢]، هذا النص

---

(١) اليعقوبي: تاريخه، ٢٣٢/٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٤٩/٥،

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥، والرجلان هما عبد الله بن حصن، والجعد بن قيس = =

يدل على أن صاحب الشرطة ربما يقود موكب الخليفة أو الوالي بنفسه وأن الحربة من أبرز أسلحة الشرطة.

ولا شك أن الذي يقوم بحراسة الأمير لا يقل أهمية وأجرا من الذي يقوم بمطاردة الأعداء وقتالهم إذ كلاهما على ثغر من ثغور الإسلام، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لما انتصروا في غزوة بدر، وانهزم المشركون، تبعهم بعض الصحابة رضي الله عنهم يهزمونهم ويقتلونهم، وطائفة تجمع الغنائم، وطائفة أخرى أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسونه، لكي لا يناله غرة من العدو، فلما انتهت المعركة، قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به ، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾[١]، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم[٢].

وهكذا نجد أن الذين تولوا حراسة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا أقل شأنا من الذي جمعوا الغنائم، والذين قاموا بمطاردة العدو، وهذا يدل على أن حراسة الإمام لها دور كبير، وليست بأقل شأنا من غيره من أعمال الجهاد في سبيل الله.

= =

النميري، والذي ثبت في الشرطة هو عبد الله بن حصن، (نفس المصدر).

(١) الأنفال: آية رقم ١.

(٢) رواه أحمد في المسند، برقم، ٢٢٧٦٢، ٤٢١/٣٧، وابن حبان في صحيحه، برقم، ٤٨٥٥، ١٩٣/١١، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال الألباني، حسن صحيح، في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٠٧/٧.

ثانيا: حفظ الأمن في المدينة أو الولاية.

من أبرز مهام الشرطة في الدولة، حفظ الأمن وتحقيق الاستقرار الوضع الأمني داخل المدينة أو الولاية، وهذه لا شك أنها مهمة ليست بالأمر الهين، وهذا من واجب الخليفة أو من يوليه هذا لأمر، ولهذا نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من تولى العسس بنفسه من الخلفاء، وكان يصحب معه أحيانا مولاه أسلم[1]، وأحيانا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[2]، وهذا حفاظا على أمن المدينة لكي يأمن الناس على أموالهم وأعراضهم، ومن ذلك أنه أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزلت في سوق المدينة رفقة فخشي عليها السُّراق، فأخذ معه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقعدا يحرسانهم سائر الليل[3].

هكذا كان حفظ الأمن أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأيام معاوية رضي الله عنه ألقي هذا على الشرطة وصاروا يحرسون المدينة من السُّراق، و المفسدين الذين يريدون أن يعبثوا بالأمن، وكانوا يجوبون الشوارع بالليل، فإذا رابهم شيء رفعوا أمره إلى الوالي، ومن ذلك أن زياد بن أبيه لما ولي البصرة وكانت البصرة في وضع أمني متردٍّ جدا فوضع خطة أمنية لحراسة المدينة من المفسدين، وذلك أنه كان يؤخر العِشَاء حتى يكون آخر من يصلي ثم يصلي، ويأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة ومثلها، يرتل

---

(١) أسلم القرشي العدوي العمري مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفقيه الإمام أبو زيد ويقال أبو خالد، قيل هو من سبي عين التمر، وقيل هو يماني، وقيل حبشي، اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق، توفي سنة ثمانين، وقيل في خلافة عبد الملك بن مروان.(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥/١١، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٨/٣٣٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ٢/٤٣٥، الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية، ص: ٣١٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٤/٢٠٥.

القرآن، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخُريبة[1]، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج ولا يرى إنسانا إلا قتله[2].

وهذه لا شك أنها خطة أمنية محكمة، ونوعا ما تكون عادلة، في بلد الأمن فيها يعتبر شبه معدوم إن لم نقل إنه معدوم، والمفسدون وقطاع الطرق، والمخربون على أوجهم؛ فكان لا بد من التشديد عليهم؛ وبهذا أمن الناس بعضهم بعضا، حتى إن الشيء ليسقط من الإنسان فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها[3].

ومن هنا نجد أن من أهم وظائف الشرطة العسس والطواف بالليل، ولهذا يسمى صاحب الشرطة أحيانا بصاحب الليل، ومن مهمة ملاحقة كل من تحوم حولهم الشبهات وإلقاء القبض عليهم والسُّكارى الذين يجوبون الطرقات بالليل[4].

ثالثا: وظائف أخرى للشرطة.

كانت الشرطة لها وظائف غير هذا تقوم بها ومسؤولة عنها، فإذا كان حفظ الأمن من أهم أولوياتها فإن هناك أموراً لم تكن أقل أهمية منها، وذلك أن هذه الأمور غالبا ما يقوم بها إلا الشرطة، وهيبة الناس للشرطة، واستعانة الخليفة والولاة وغيرهم بها؛ جعل لها مكانة ومنزلة في المجتمع.

منها القبض على الجناة والمخالفين للنظام، وذلك أن زياد بن أبيه لما بيَّن للناس خطته الأمنية، توعدهم بإقامة العقاب على كل من خالف ذلك، وأنه كان يستعين

---

(١) الخُرَيبَة: بلفظ تصغير خربة، موضع بالبصرة سميت بذلك لأن المرزبان كان قد ابتنى بها قصرا فخرب، فبناها المسلمون وسموها الخُرَبة، (البكر: معجم مااستعجم،٤٩٥/٢، الحموي: معجم البلدان، ٣٦٣/٢).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥.

(٣) نفس المصدر: ٢٢٢/٥.

(٤) المقريزي: الخطط والآثار، ٣٨٨/٣، نجدة خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص:٣١٦.

بالشرط على القبض على المخالفين من ذلك أن شرطته أخذت ليلة أعرابيا، فأتي به إلى زياد، فقال: هل سمعت النداء؟ قال لا والله قدمت بحلوبة لي وغشيني الليل فاضطررتها إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا علم لي بما كان من الأمير، قال أظنك والله صادقا ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة ثم أمر به فضربت عنقه[1].

وأيضا إذا نظرنا في قصة مقتل حجر بن عدي[2] رضي الله عنه[3]، نجد أن دور الشرطة كان كبيرا، حيث أرسلهم زياد بن أبيه عليه أكثر من مرة، مرة لتفريق من كان معه من أهل الكوفة، ثم للقبض عليه وإحضاره عنده، ثم لحبسه عنده، ثم لإرساله إلى معاوية رضي الله عنهما، وذلك كله كان باستعانة الشرطة الذين كانوا ينفذون ما يأمرهم به.

ومن مهام الشرطة أيضا، استعانة القضاة بهم، وذلك أن القاضي لا يستغني عن الشرطة مهما كانت الأمور، وخاصة بعد أيام الخلفاء الراشدين وذلك نظرا لاتساع الدولة وكثرة المسائل القضائية، وتزاحم الناس أمام القاضي، ولهذا صار من أكبر مهام الشرطة مساعدة القاضي في أدائه لواجباته بتنفيذ أحكامه بالحد والقصاص والتعزير من حبس وغرامة وأوامر بالضبط والإحضار للخصوم الذين يرفضون الحضور من

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٢/٥، ابن مسكويه تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ١٨/٢، ابن الأثير: الكامل، ٤٨/٣.

(٢) حُجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، وهو حجر الخير، له صحبة ووفادة، شهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذارى، وكان في ألفين وخمسمائة من العطاء، كان مع علي في الجمل وصفين، وكان قتله سنة ٥١هـ بعذراء،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢١٧/٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٢/٣، ابن حجر: الإصابة، ٤٨٤/٢).

(٣) قد تحدثت كثير من المصادر عن قصة مقتل حجر بن عدي، منها على سبيل المثال، (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٣/٥، ابن الجوزي: المنتظم، ٢٤١/٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٧/١١)، والذي يهمنا من القصة دور الشرطة فقط.

تلقاء أنفسهم وحضور مجالسه إضافة إلى واجب رجال الشرطة أن يكونوا في خدمته، وفرض الاحترام الواجب لجلسائه، ونظر قضايا وخصومات الناس والفصل فيها[١].

من ذلك أن القاضي شريحا رحمه الله، جاءه الأشعث بن قيس رضي الله عنه[٢]، في مجلس القضاء فقال: مرحبا بشيخنا وسيدنا ها هنا ها هنا فأجلسه معه، فإذا رجل بين يدي شريح فقال: مالك يا عبد الله؟ قال جئت أخاصم الأشعث بن قيس، قال: قم مع خصمك؛ قال: وما عليك أن تقضي وأنا ها هنا؛ قال: قم قبل أن تقام فقام وهو مغضب[٣]، فلا شك أن قوله قم قبل أن تقام، لم يقلها، إلا إذا لم يكن معه شرطة يقومون بهذه المهمة، وهو إجلاس الخصم مع خصمه، وهذا يدل على تعاون جهاز الشرط مع جهاز القضاء، إذ أن أحدهما لا يستغني عن الآخر.

وربما جُمع لصاحب الشرطة؛ القضاء والشرطة في عهد معاوية رضي الله عنه، وذلك أن مسلمة بن مخلد لما ولي مصر، جمع لعابس بن سعيد[٤] القضاء والشرطة[٥]،

---

(١) الأصيبعي: الشرطة في النظم الإسلامية، ص: ١٥٢.

(٢) الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي، الكندي، وكان اسم الأشعث: معدي كرب وكان أبدا أشعث الرأس فغلب عليه، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رجع إلى اليمن، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم ارتد، فحوصر من قبل قوات أبي بكر رضي الله عنه ثم أحذ وبعث إليه،فمن عليه أبوبكر وزوجه أخته، مات سنة ٤٢، وقيل سنة ٤٠هـ بالكوفة، (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٢/٦، ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٣٤/١،الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٧/٢).

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ٢١٦/٢.

(٤) عابس بن سعيد المرادي، من الولاة القادة، نشأ عرابيا ذكيا، ولاه مسلمة بن مخلد، شرطة مصر، سنة ٤٩هـ، ثم صرفه عن الشرطة وولاه البحر فغزا الثغور، ثم رده إلى الشرطة، سنة ٥٧هـ وضم إليه القضاء، واستمر على ذلك إلى أن توفي سنة ٦٨هـ، (الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣١١، وكيع : أخبار القضاة، ص: ٦٣٢، الزركلي: الأعلام، ٢٤٢/٣).

(٥) الكندي: الولاة والقضاة، ص: ٣١١، وكيع: أخبار القضاة، ص: ٦٣٢.

وحصل أيضا في المدينة المنورة، لما وليها مروان بن الحكم الولاية الثانية سنة ٥٣هـ، فجمع مروان بن الحكم القضاء والشرطة لمصعب بن عبد الرحمن بن عوف[١]، وكان شديدا صلبا في ولايته[٢].

ومن هذا يتبين أن القضاء والشرطة متلازمان لا يستغني أحدهما عن الآخر، وذلك أن القاضي أحوج الناس إلى الشرطة، على الأقل لتنفيذ الأحكام التي يصدرها، والأخذ على الجناة والمتهمين.

ومن اختصاصات الشرطة أيضا حراسة الدوائر الحكومية، مثل بيت المال، ومراكز الدواوين، وإدارة السجون، ومساعدة أهل الخراج، ومراقبة الأسواق، وكل ما من شأنه تحقيق الأمن والاستقرار داخل المجتمع وحفظ الممتلكات العامة والخاصة.

وبالجملة فإن وظائف الشرطة الإدارية كانت تنحصر في كل ما من شانه أن يحول دون وقوع الجريمة، من مهام وقائية احتياطية ترمي إلى إزالة الظروف التي تشجع على الإخلال بالأمن بصفة عامة وتهدف إلى طمأنينة الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم العامة والخاصة[٣].

---

(١) مصعب ين عبد ارحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة ويكنى أبا زرارة، كان من أشجع رجال عصره، أُتهم بالقتل أيام معاوية وحبسه، ثم أطلقه بعد إن استخلفه، وولاه مروان بن الحكم شرطة المدينة، وكان شديدا على المريب ثم لحق بابن الزبير، وكان أحد الكبار الذين كانوا معه، وقتل في الحصار سنة ٦٤هـ،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١٥٧/٥، الزبيري: نسب قريش، ص: ٢٦٧،الذهبي: تاريخ الإسلام، ٧٢١/٢).

(٢) وكيع: أخبار القضاة، ص: ٨٣.

(٣) الرحموني: نظام الشرطة في الإسلام، ص: ١١٦.

المبحث الخامس: نظام الشورى.

الشورى في اللغة: شور أشار إليه باليد، أومأ، وأشار عليه بالرأي، وشُرتُ العسل واشتريتها، أي اجتنيتها، ومنه شاورت فلانا في أمري، وهو مشتق من شَوْر العسل، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره، واستشاره طلب منه المشورة(١).

واصطلاحا: هي"استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها"(٢)، وعموما فإن معنى الشورى الاصطلاحي لا يخرج من المعنى اللغوي، وذلك أن الشورى هي أخذ الرأي من الآخرين لكي يخرج المستشير بنتيجة ترضي الجميع بقدر الإمكان.

والشورى من الأمور المهمة وهي مبدأ إسلامي، جاءت به الشريعة الإسلامية، أمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالتمسك بها والسير عليها في حياتهم وشؤونهم، قال تبارك وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(٣).

وهي من الأمور التي امتازت بها الشريعة الإسلامية، ولها أهمية كبرى في المجتمع إذ أنه إذا أخذ منه رأيه فإن كل ما يقوم ذوي الشأن فإنه يحس كأنه رأيه، وغالبا ما يخرج المستشير بنتيجة إيجابية ترضي الغالبية العظمى إن لم يكن الكل، ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم، طبق هذا المبدأ عمليا في حياته، وكيف لا وقد أمره الله تبارك وتعالى بذلك، قال سبحانه وتعالى:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

(١) الجوهري: الصحاح، ٢/٧٠٤، وابن فارس: مقاييس اللغة، ٣/٢٢٦، الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص: ٤٢١.

(٢) الأنصاري: الشورى وأثرها في الديمقراطية، ص: ٤.

(٣) الشورى: آية رقم ٣٨.

ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.[1] ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في كل أمر من الأمور التي تهمهم جميعا، ومع أنه عليه الصلاة والسلام مؤيد بالوحي، لكن ليُعلِّم أُمته على أن الشورى من صميم شريعتهم، ومن أهم الفروض والواجبات.

وذلك أن الشورى عمل أساسه الارتياح والثقة والإفضاء، فقد يأتي بصورة مداولة بين الإمام ووزيره، أو الأمير أو أحد خلصائه، أو كل من يُهمه الأمر، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير من حضر من أصحابه، أو أكثرهم حضورا كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإذا حزبه أمر كان يقول أشيروا علي أيها الناس، وإذا تعلق الأمر بحقوقهم تطلب ذلك موافقتهم، وإلا فلا[2].

وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم في مواطن كثيرة منها يوم بدر وأحد وحنين وغيرها، قال البخاري رحمه الله: "وكان الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها فإذا وضح الكتاب والسنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم"[3].

وعلى هذا المنهاج سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم فكانوا دائما يستشرون، ويطرحون الأمور التي توجهم وخاصة ما ستجد منها، ولم يسبق دليل من الكتاب والسنة فيها، ولهذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا وَرد عليه حكم نظر في

---

(١) آل عمران: آية رقم ١٥٩.

(٢) وصفي: مصنفة النظم، ص: ٢٤٦.

(٣) البخاري: الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى: من آية رقم ٣٨) ...، ٩/١١٢.

كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن وجد فيها قضى به، فإن أعياه ذلك سأل الناس: هل علمتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء؟ فربما قام إليه القوم فيقولون قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنها النبي صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم فإذا أجمع رأيهم على شيء قضى به، وكان عمر يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به وإلا جمع علماء الناس واستشارهم فإذ اجتمع رأيهم على شيء قضى به[1] وهكذا كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يطرحون الأمر على المنبر ويستشيرون من حضر في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك أن أهل المدينة كانوا من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، فربما سمعوا شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه ا لمسألة، وأيضا أغلبهم من أهل الحل والعقد بحيث لا يمكن أن يبرم الأمر بدونهم.

ولما جاء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لم يحد كثيرا عما كان عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وذلك لقرب العهد، ولوجود عدد من الصحابة الكبار رضي الله عنهم، فكان مبدأ الشورى من أهم مبادئه رضي الله عنه إلا أنها لم تكن كما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وكان يستشير ذوي الرأي والسيادة والسياسة، وكان من أكبر مستشاريه عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما والأحنف بن قيس، وزياد بن أبيه رحمهما الله، ولاشك أنهم مشهورون بالدهاء والذكاء والعقل.

ومن ذلك أنه استشار الناس أن يجلس على السرير، وأن يخطب وهو جالس، وقال لهم أني قد بدنت، فأذنوا له[2].

---

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين، ١/٥٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٩/٢٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٤٤٨، وابن = =

بل إنه رضي الله عنه يحث ولاته أن يتخذوا مستشارين مؤتمنين ، وربما اختار لهم بنفسه، من ذلك أن عبيد الله بن زياد وفد إلى معاوية رضي الله عنه هو ورجال من أشراف العراق، فقال له معاوية أدخلهم حسب منازلهم، فأدخلهم على قدر مراتبهم، وكان بينه وبين الأحنف جفوة ومباعدة، فجعله آخر من دخل، فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته وأجلسه على سريره وأقبل عليه وأعرض عنهم، فأخذوا في شكر عبيد الله، وسكت الأحنف، فقال له معاوية لم لا تتكلم؟ فقال: إن تكلمت خالفتهم، فقال: اشهدوا أني قد عزلت عبيد الله، واطلبوا واليا ترضونه، فلم يبق في القوم أحد إلا أتى رجلا من بني أمية، أو من أشراف أهل الشام كلهم يطلب، وقعد الأحنف في منزله فلم يأت أحدا فلبثوا أياما، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم فلما دخلوا عليه قال من اخترتم؟ فاختلفت كلمتهم وسمى كل فريق رجلا والأحنف ساكت، فقال مالك يا أبا بحر لا تتكلم! قال: إن وليت علينا أحدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك، فقال معاوية: فإني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف وقبَّح رأيه فيه، وقال كيف ضيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك وهو ساكت؟، فلما عاد إلى العراق جعل الأحنف من خاصته وصاحب سره(1).

هذه الحادثة فيها فوائد كثيرة في الشورى، منها أن معاوية رضي الله عنه أحال مسألة اختيار الوالي على من يهمهم الأمر، واستشارهم فيمن يناسبهم للولاية ولم يستقلَّ برأيه ولم يفرض عليهم رأيا بعينه، وهذا "يؤدي إلى توثيق الإخلاص بين الإمام وأهل مشورته ورعيته، فمجرد إشعار المشارك في العمل غاية الرضا"(2).

= =

خلدون: التاريخ، ١/٣٢٢.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣١٧، الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/٧٧٩.

(٢) وصفي: مصنفة النظم، ص: ٢٤٧.

ومنها أيضا معرفة معاوية رضي الله عنه بأقدار الرجال وحفظ حقوقهم ومنازلهم، فالأحنف بن قيس رحمه الله، من ذوي الرأي السديد، وكبار التابعين، فإن معاوية رضي الله عنه كان يقدر رأيه ويعرف مكانته في قومه، ولم يُثنه عن نظرته هذه دخوله آخر القوم، بل عندما دخل رحب به وأجلسه مجلسه ومكانته التي تليق بمثله.

ومن الفوائد في هذه القصة نصيحة معاوية لعماله واختيار المستشارين من ذوي الرأي، وعدم التفريط فيهم، وتوبيخهم إن قصروا في ذلك، ولذلك قال معاوية لعبيد الله " كيف ضيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك وهو ساكت" وربما أن معاوية عرف بالجفوة التي كانت بين عبيد الله، والأحنف بن قيس، فأراد معاوية رضي الله عنه أن يُعرِّفَه قدر هذا الرجل ومكانته ورأيه وعقله عمليا، فأول ما طلب منه أن يُدخل الناس على منازلهم عنده، ثم بعد ذلك بين له منزلته، وكأنه يقول له هذا فعله وهو ساكت فكيف لو تكلم؟.

وكان معاوية رضي الله عنه يستشير ذوي الرأي في المعضلات التي تنزل به، وأنه لم يكن يقطع أمره دونهم من ذلك استشارته لزياد بن أبيه في أخذ البيعة لابنه يزيد، وذلك أنه لما أرد أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشيره، فبعث إليه زياد، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد، وأشار عليه، بأن يترك ذلك في هذا الوقت، ويأمره بالتؤدة ونصح يزيد بأن ينْزجرَ عما هو فيه، ويخبره بما في نية أمير المؤمنين، وما ينقم عليه الناس، وبهذا نصح يزيد، وأرضى أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه[1].

وهكذا كان معاوية لا يُبرم أمرا حتى يستشير ذوي الرأي، وهذا لا شك يدل على أهمية الشورى عنده، وأن هذا الأمر لا يسير من غير شورى، ومع ذلك كان يختار من يستشيره ولم يكن يستشير كل أحد.

ولمعرفته بأقدار آراء الرجال واستشارتهم، أوصى ابنه يزيد بذلك وأن لا يبرم أمرا

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك،٥/٣٠٢-٣٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٣٠٧.

دون أن يستشير أهل الصلاح والتقوى والخبرة والتجربة في الحياة، وأن يأخذ برأيهم ولا يخالفهم، فقال في وصيته له "وإياك وجفوة أهل الشرف، واستهانتهم، والتكبر عليهم، لِنْ لهم لينا بحيث لا يرون منك ضعفا ولا خورا، ووطئهم فراشك، وقربهم إليك، فإنهم يعلمون لك حقك، ولا تُهنهم ولا تستخف بحقهم فيهينوك، ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك، فإذا أردت أمرا فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى، ولا تخالفهم، وإياك والاستبداد برأيك؛ فإن الرأي ليس في صدر واحد وصَدِّق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف"(١)، وهذا لا شك يدل على مكانة الشورى عند معاوية رضي الله عنه ومعرفته بقدرها، وأنها من أساس الحكم وركائزه.

ومن وصايا معاوية لابنه يزيد وولي عهده وعماله وممارسته لجوانب من الشورى ممارسة حقيقية يظل أساسا لمكانة الشورى عنده، فقد اشتهر معاوية بحلمه وأناته إزاء جرأة معارضيه عليه، مما مكن له أن يجمع شمل الأمة كلها بعد طول فرقة وقتال، كما اشتهر عنه تقريب ذوي الرأي والمشورة من المسلمين ومشاورتهم في أكثر من موضع؛ ولم يعرف عنه تعجل في إنفاذ قراراته قبل التفكير والمشاورة(٢).

ونلاحظ من سيرة الخلفاء الراشدين ومعاوية رضي الله عنهم في الشورى؛ إن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم غالبا ما كانوا يطرحون الأمر على المنبر في الناس عموما؛ بينما معاوية رضي الله عنه نادرا ما كان يفعل ذلك، وإنما يستشير أشخاصا لهم خبرة ودراية في الأمور مع العقل، وذلك والله أعلم أن أهل المدينة في أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم غالبا كلهم من الصحابة وممن عاصروا الأحكام الشرعية أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فيعتبرون كلهم أهل الحل والعقد، بينما في أيام معاوية رضي الله عنه، أن الصحابة كانوا قليلين في عاصمته الخلافة دمشق، وأن الصحابة

---

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ٦٤٤/١١-٦٤٥.

(٢) شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص: ٢٦١.

وأهل الرأي كانوا قد تفرقوا في أماكن بعيدة من عاصمته فكان لابد أن يختار من يطرح عليه الأمر من كبار رجال دولته بقدر الإمكان، ولا يخفى أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كان لهم مستشارون خاصون، لكن هذا كان على الغالب.



الفصل السَّادس

النظام الاجتماعي والعلمي في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أسس النظام الاجتماعي في عهد معاوية رضي الله عنه.

المبحث الثاني: المجتمع في عهد معاوية رضي الله عنه.

المبحث الثالث: سياسة معاوية رضي الله عنه في التعامل مع المجتمع الإسلامي.

المبحث الرابع: التعامل مع أهل الذمة.

المبحث الخامس: خصائص الحركة العلمية في عهد معاوية رضي الله عنه.

المبحث السادس: الاهتمام بالعلماء.

المبحث السابع: دُور العلم.

المبحث الأول: أسس النظام الاجتماعي في عهد معاوية رضي الله عنه.

الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش وحيدا، ولابد له من يؤانسه من زوج، أو ابن ، أو أب، أو أخ، أو صديق، أو حميم، أو غير ذلك؛ المهم إنه لا يستطيع أن يعيش وحيدا مهما كانت الظروف، وهكذا يتكون المجتمع، ليعيش في ظل أسرة، أو قبيلة، أو مدينة، أو دولة، ومادام الأمر كذلك فإن أي مجتمع لابد له من أسس وقواعد ومبادئ تدير شؤونه لكي ينعم بالحياة السعيدة.

فالنظام الاجتماعي له أهمية كبرى في حياة الإنسان لتسيير شؤونه، وحفظ حقوقه، وضمان حمايته، لينعم بأمن وسلام، ومحبة وإخاء، وتوطيد العلاقة بمن حوله، ونبذ الفرقة والاختلاف فيما بينهم، فما من مجتمع إلا وله أسس ونُظم يسير عليها تَحكُم حياته، ولهذا إذا ما نظرنا إلى العرب قبل الإسلام، مع الجهل الذي كان يسود أفرادهم، إلا أن هناك قيما تضبط أمورهم، ومجتمعهم، وصفات كانوا يتصفون بها، من الكرم، والشجاعة، والنجدة، وغيرها من القيم والأخلاق التي كانوا يتحلون بها، مع وجود عادات كانت قد سادت بينهم، مثل التشاؤم، والتطير، والوأد، وغيرها، من العادات.

وغالبا نجد أمورهم غير منظمة ومرتبة، وبما أن القَبلِية هي التي كانت سائدةً بينهم فالواحد منهم يكون ولاؤه للقبيلة مهما كانت النتيجة، وهذا ما أفصح عنه أحد هم بقوله.

وهل أنا إلا من غُزية إن غوت		غويت وإن ترشد غزية أرشد[1]

فلما جاء الإسلام لم يُقِم نظام المجتمع على أساس السُّلالة، أو الإقليم، أو

(١) ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ٧٣٨/٢.

القبيلة، أو الجنس، أو اللون، وهي الأسس التي قامت عليها المجتمعات قبل مجيء الإسلام، وإنما استحدثت أسسٌ جديدة وقت مجيء الإسلام لم تعرفه المجتمعات القائمة في ذلك الوقت؛ وهو بناء المجتمع على أساس العقيدة الإسلامية وجعل كل من اعتنقها عضوا في المجتمع المسلم من أي قبيلة كان ومن أي إقليم كان ومن أي سلالة كان[1].

وهكذا وضع الإسلام للمجتمع نُظما تسيِّر أموره في كافة النواحي، سواء كانت سياسية أواقتصادية أوإدارية وغيرها وهو ما ميَّز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات، تحت هذا الدين القويم الذي جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ينعم فيه بكل حرية، وطمأنينة، مبدأه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى"[3].

وعليه فإننا نجد أن الإسلام نبذ كل العصبيات، والقبليات الجاهلية التي تدعو إلى التمييز بين الناس، وجعل ميزان التفاضل بينهم هذا الدين القويم، وجعل الولاء والبراء من أجله، قال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[4]

---

(١) البياتي: النظم الإسلامية، ص: ١٢٨.

(٢) الحجرات: آية رقم، ١٣.

(٣) روا أحمد في المسند: برقم، ٢٣٤٨٩، ٤٧٤/٣٨، وقال محققوا المسند إسناده صحيح.

(٤) التوبة: آية رقم ٧١.

وهكذا أتى الإسلام بنُظم اجتماعية بني بها مجتمعاً متحرراً من العبودية إلا لله سبحانه وتعالى، ومن الخوف إلا من جلاله سبحانه وتعالى، ومن ثم تختلف البنية الاجتماعية الإسلامية عن غيرها من المجتمعات الأخرى من حيث القيم، والمفاهيم التي يقوم عليها هذا المجتمع[1].

وقد نظم الإسلام المجتمع الإسلامي فدعا إلى مكارم الأخلاق لتكون رائدة لجميع المسلمين، وجعل الخوف من الله في السر والعلانية أصلا للمعاملة، وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القبلية، كما جعل كل المسلمين سواسية، أكرمهم عند الله أتقاهم، لا فرق بين عربي مسلم وأعجمي مسلم، ورفع شأن المرأة فنظم أمر زواجها وطلاقها وميراثها وحقوقها؛ وإن أبقى الإسلام على نُظم الرِّق، فقد أحسن معاملة الرقيق وفتح الطرق لتحريره، بأبواب عدة شجع فيها المؤمنين على الاستغناء عنه، ووضع أصول المعاملات وبين علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ومع ولي أمرهم، وأوجب الزكاة وحدد أوجه صرفها، وأطلق يد ذوي اليسار بالصدقات لإسعاد المجتمع وإغناء ذوي الحاجات لتحقيق التكافل الاجتماعي[2].

والحق أن العقيدة الإسلامية، بمبادئها وتشريعاتها، وكل ما يدخل تحتها،صلحت أساسا لبناء المجتمع لأنها أساس منطقي ومعقول وعادل لأنها مفتوحة أمام الجميع، مفتوحة لكل من يريد الانتماء إلى المجتمع المسلم[3].

وعلى هذه الأسس الاجتماعية التي جاء بها الإسلام وبينها النبي صلى الله عليه وسلم، سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فعاش المجتمع في سلام ووئام، وترابط ومحبة، واحترام متبادل بين الراعي والرعية، وبين الأفراد فيما بينهم بل بهذه الأخلاق فتحوا البلاد المجاورة، فكان تعاملهم سواء فيما بينهم ومع الآخرين أبهر الأمم الأخرى

---

(١) فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص: ١٦٨.

(٢) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ١٩٩.

(٣) البياتي: النظم الإسلامية، ص: ١٢٨.

فجعل الناس يدخلون في دين الله أفوجا، ورضي الناس بهم حُكَّاما لهم، وبديلا من حكوماتهم التي كانوا يعيشون في ظلها في ظلم واضطهاد.

ولما جاء عصر معاوية رضي الله عنه لم تتغير هذه الأسس والمبادئ، وذلك لقرب هذا العهد بعصر الرسالة ولوجود مجتمع كان موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فكانت هذه المبادئ حاضرة أمام أعينهم، واتخذوها كأنها رسالة يؤدونها إلى البشرية، فحقوق الناس محفوظة سواء العرب والعجم، في ظل دولة الإسلام.

فمن الأسس التي سار عليها معاوية رضي الله عنه تجاه تنظيم الناس وإنزالهم منازلهم، في مجلسه فقد كان يأذن لكبار القوم وذوي المكانة والرأي فيدنيهم منه في مجلسه ويقربهم إليه، ومن أمثلة ذلك ما حدث للأحنف مع رجل آخر؛ حيث بدأ بالإذن للأحنف أولا ثم الرجل الذي كان معه، وجلس ذلك الرجل بين معاوية والأحنف فقال معاوية: إنا لم نأذن لك قبله لكي تكون دونه، قد فعلت فِعَال من أحس من نفسه ذلا، إنا كما نملك أموركم نملك إذنكم، فأريدوا منا ما نريد منكم فإنه أبقى لكم[1].

ومن معالم اهتمامه بالمجتمع أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، واهتمامه في ذلك أشد الاهتمام، وهذا لا بد له منه؛ بل إنه مما أمر الله تبارك وتعالى به، وجعل خيرية هذه الأمة فيه قال تبارك وتعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]، وصدور ذلك من الإمام أو الخليفة له وقع كبير في المجتمع، فهذا معاوية رضي الله عنه، خطب يوما فقال: " إن

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٢/٥.

(٢) آل عمران: آية رقم ١١٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبع، وأنا أنهاكم عنهن: النواح، والشعر، والغناء، والتصاوير، وجلود السباع، والذهب، والحرير"[1].

وهذا يدل على حماية المجتمع من الكبائر والرذائل بالتوجيه والإرشاد، وهو من واجب ولي الأمر، ومن أعظم الأسس التي تعمل على تنظيم المجتمع.

ومن الأسس الاجتماعية التي كان معاوية يسير عليها، التفضُّل على الأخوان وصلتهم بما يناسبهم وهذا مما أكد أواصر المحبة بين المجتمع المسلم، ومن ثم كان هذا التعامل يؤثر على غير المسلمين فيدخلوا في هذا الدين، من ذلك أن معاوية رضي الله عنه، قال: ما من شيء أحب إلي من عين خرارة في أرض خوارة، فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه:ما من شيء أحب إلي من أبيت عروسا بعقيلة من عقائل العرب، فقال وردان مولى لعمرو بن العاص، ما من شيء أحب إلي من الإفضال على الأخوان، فقال معاوية: أنا أحق بهذا منك قال ما تحب فافعل[2]، وأن حلمه وكرمه يدل على ذلك، وهذا لا شك يدل على ربط أواصر المحبة في المجتمع الواحد، ويدل على أنه من الأسس التي دعا إليها الإسلام.

ومن الأسس في النظام الاجتماعي، التعامل بالصفات الحميدة التي جاء بها الإسلام وأقرتها الشريعة؛ من الحلم، والعفو عند المقدرة، وغيرها بحيث إنها إذا انتشرت بين المجتمع فإنه غالبا يعيش في وئام وسلام وتماسك.

ولهذا نجد معاوية رضي الله عنه، كان يعامل الناس بهذه الصفات بل إنه يأمر بها أقرب الناس إليه، ولي عهده، يزيد، وقد وجده يوما يضرب غلاما فقال له: سوأة لك أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك؟ والله لقد منعتني القدرة من الانتقام من ذوي

---

(١) رواه أبو يعلى: في مسنده، برقم، ٧٣٧٤، ٣٦٤/١٣، والطبراني: في مسند الشاميين، برقم، ١٤٢٢، ٣٢٣/٢، وقال محقق مسند أبي يعلى إسناده حسن.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٥/٥.

الإحن وإن أحسن من عفا لمن قدر[1].

وعلى هذا الأسس وغيرها بني المجتمع الإسلامي وسار عليها منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي تناسب المجتمعات، ولا شك أن معاوية رضي الله عنه في خلافته ونظرا لاتساع الدولة في عهده واختلاف المجتمعات، من عرب، وعجم، ومسلمين وغيرهم، فإن أسس نظامه للمجتمع لم تختلف عما كانت عليه من قبل، وأن المجتمع الإسلامي لا زال قريب عهد بالرسالة، وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن نشر الصحابة للإسلام عن طريق الأخلاق الفاضلة كان له أثر كبير في المجتمعات الأخرى.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٦٤٠.

المبحث الثاني: المجتمع في عهد معاوية رضي الله عنه.

بعث الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، في قريش بمكة، بالدين الذي اختاره الله تبارك وتعالى لعباده، وهو دين الإسلام الخالد، ومن ثم أُرسل إلى الناس كافة، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1] وأسَّس النبي صلى الله عليه وسلم دولته في المدينة المنورة، وحملت هذه الدولة منذ تأسيسها على يد النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقها مسؤولية نشر هذا الدين وتبليغه إلى الناس كافة، وكان من مستلزمات ذلك هذه الفتوحات التي قام بها المسلمون، ومن ثم توسعت الدولة الإسلامية، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وما كانت هذه الفتوحات لتتم لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مجتمعا مترابطا يقوم على أسس واضحة ومعالم بارزة، من الإخاء والترابط والتراحم والتكاتف، تسوده الألفة والمحبة، وهو مجتمع الصحابة رضي الله عنهم الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم، وشهدوا معه التنزيل، وكان المجتمع في تلك الفترة يتكون من العرب الذين أسلموا، وأيضا من غير العرب الذين عاشوا في شبه الجزيرة العربية، والذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولما خرج هؤلاء في عصر الخلفاء الراشدين من حدود الجزيرة العربية في الفتوحات اختلطوا بمجتمعات أخرى، وبذلك حوت الدولة الإسلامية أكثر من عنصر، فهذه المجتمعات التي دخلها المسلمون، منهم من أسلم، ومنهم من بقي على دينه إلا أنه رضي بحكم الدولة الإسلامية وعاش تحتها بأمن وطمأنينة.

من هنا نجد أن الدولة الإسلامية في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، صارت تتكون من عدة عناصر من المجتمعات، وكل عنصر له ميزة وخاصية

---

(١) سبأ: آية رقم ٢٨.

يتميز بها، إلا أنه تُجاه هذا الدين يكون التفاضل بالتقوى وليس بالأحساب والأنساب، ومع ذلك لا يمنع أن ينتمي كل عنصر على العنصر الذي هو منه، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]، ومن هنا كان المجتمع يتألف من عدة عناصر.

الصحابة رضوان الله عليهم، وهؤلاء كانوا أساس المجتمع الإسلامي في عهد الدولة الإسلامية أيام معاوية رضي الله عنه، وكان كثير منهم يسكنون الجزيرة العربية، وخاصة المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وهؤلاء غالبا كانوا علماء تَفِد الناس إليهم لتعليمهم أمور دينهم، وبعضهم كان يعيش في الثغور، وكانوا يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، وقد تولى البعض منهم مناصب في هذا العهد، مثل المغيرة بن شُعبة، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيرهما.

وكانوا غالبا يتألفون من العنصر العربي من قريش، والأنصار الأوس والخزرج، وجماعات من العرب جاؤوا إلى المدينة من مناطق أخرى وأقاموا في المدينة زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[2]، وكانوا يفدون إلى معاوية من وقت لآخر، ويكرمهم لمكانتهم من الرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلتهم في المجتمع، ويوصي بهم خيرا.

العرب: من قبائل عدة وهؤلاء أيضا كانوا عنصراً هاماً في تكوين المجتمع في الدولة الإسلامية أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكان لهم مراكز إدارية مرموقة في الدولة، واستوطن بعضهم المدن الجديدة في الأرضي المفتوحة، مثل الكوفة، والبصرة، والقيروان وغيرها، وبعضهم في الثغور، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام

---

(١) الحجرات: آية رقم ١٣.

(٢) شراب: المدينة في العصر الأموي، ص: ٢٥٤.

واللغة العربية باختلاطهم مع مجتمع البلاد المفتوحة من غير العرب.

وعموما كان المجتمع العربي يتكون من عدة طوائف تختلف باختلاف أحوالها وأقدارها الاجتماعية، من أهمها: كبار موظفي الدولة وكان منهم الخلفاء، والأمراء، والقضاة وغيرهم، وهؤلاء كانوا يشغلون الوظائف الرئيسية، والمناصب الكبرى. ومنهم العلماء والأدباء، وهؤلاء كان لهم نفوذ أدبي عظيم، ويتمتعون بمنزلة شعبية مرموقة، وإلى العلماء كان يرجع الناس في أمر دينهم. بينما الجند لهم ديوانهم الخاص الذي تُدوَّنُ فيه أو صافهم وأعمالهم وأرزاقهم. ونجد من أطياف المجتمع ومكوناته التجار من أصحاب الأملاك؛ والعامة وهم السواد العظيم(١).

الموالي: المولى والموالي، تطلق على معان، منها بنو العم، والمؤْلَى المعتق، والصاحب، والحليف، والجار، وكل هذا يدل على القُرْب والولي: ولي النعمة، والموالاة اتخاذ المولى(٢).و المقصود به هنا كل من أسلم من غير العرب، أو المملوك الذي يَمُن عليه صاحبه بالعتق، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه(٣)، إذ أن كل واحد من هؤلاء إذا دخل الإسلام يصبح مولى لمجرد اعتناقه الإسلام، ويقف على قدم المساواة مع أخيه العربي المسلم لا فرق بينهما (٤).

الفتوحات الكثيرة التي امتدت في شرق البلاد وغربها، جعلت العرب يختلطون بغيرهم من أبناء تلك البلاد المفتوحة، فهؤلاء الذين فتح المسلمون بلادهم صارت لهم أحكام في الشريعة الإسلامية، وكان كثير من المسلمين يطلقون سراح من وقع في أيديهم من الأسرى، وكثير منهم دخلوا في هذا الدين العظيم وصار لهم ما

---

(١) أبو زيد الشلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) الفراهيدي: العين، ٣٦٥/٨، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة ١٤١/٦،

(٣) جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٦٦/٧، أنور الرفاعي: النظم الإسلامي، ص: ١٠٤،

(٤) اللميلم: وضع الموالي في الدولة ا لأموية، ص: ١٧.

للمسلمين، وعليهم ما عليهم، ومهما يكن من أمر، فقد اختطوا في مجتمع واحد تحت دولة واحدة هي الدولة الإسلامية.

ولا شك أن للعرب كان الفضل في هزيمة دولتي الفرس والروم، وحمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة، وسبقهم في الإسلام، وعدم استرقاقهم، أو المن عليهم بالفك وعدم الرق، وتعليمهم اللغة العربية ومبادئ الإسلام، ولا شك أن الموالي عرفوا للعرب هذا الفضل، وتركوا لهم المكان الأول في المجتمع(١).

وقد صار لهؤلاء الموالي مكانة في المجتمع الإسلامي، فصار منهم العلماء، والفقهاء(٢)، والتجار، وكان منهم من نال الوظائف المرموقة في إدارات الدولة(٣)، ومنهم القواد الذين كان لهم دور في الفتوحات الإسلامية(٤) وعموما كان لهم تأثير في مجريات الأمور في الدولة.

بل إن زياد بن أبيه أوصى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بأن يستعين بهم في تسيير شؤون الدولة، وذلك أن معاوية كتب إلى زياد بن أبيه يشكوا إليه قرابته، فكتب إليه:" عليك بالموالي فإنهم أنصر وأغفر وأشكر"(٥)، وهذا يدل على الثقة التي وضعتها الدولة في الموالي على عهد معاوية رضي الله عنه، والأمانة والوفاء والولاء الذي كان يتحلى بهم الموالي تجاه الدولة التي احتضنتهم، و رفعت من منزلتهم، وساوت بنهم وبين الرجال الذين افتتحوا بلادهم، والدين الذي تمسكوا به وأقبلوا إليه

---

(١) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢٠٥.

(٢) منهم شريح القاضي مولى كندة، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

(٣) مثل سعيد مولى معاوية حاجبه، وأبو المخارق مولى حمير كان على حرسه، وعبد الرحمن بن دراج مولاه كان كاتبه، ووردان مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه، كان على خراج مصر.

(٤) مثل أبو المهاجر مولى مسلمة بن مخلد.

(٥) البلاذري: أنساب ا لأشراف، ٥/٣٠.

بكل قوة.

وكان عدد الموالي أيام معاوية في ازدياد نتيجة للفتوحات الكبرى في الدولة، إما عن طريق الأسر أو الإهداء، فالعمال كثيراً ما كانوا يبعثون إلى ولي الأمر أعدا كثيرة من الرقيق وهو بدوره، إما أن يهديه ، أو يمن عليه بالعتق، ونتيجة لهذا التزايد استخدمتهم الدولة في المصالح الزراعية، أو الصناعية، أو العلمية، أو الإدارية، ونتيجة لذلك أصبح منهم الكتاب والحجاب، والعلماء وغيرها، علما أن طبقة الموالي لم يوضع لها قيود تحد من حريتها في ممارسة حياتها العادية، كما يمارسها العرب، فبعضهم كان يتمكن من أن يبتاع العبيد ويعتقهم فيصيرون منه وإليه(١).

ومهما يكن من أمر فإن الموالي كانوا يشكلون طبقة كبرى في المجتمع أيام معاوية رضي الله عنه نظرا لتوسع الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب، ورضوا بالعيش في ظل الدولة الإسلامية، وتحت حكم المسلمين، لأنهم كانوا يعيشون في ظل حكوماتهم السابقة بنوع من الاضطهاد.

أهل الذمة: وهم الذين يعيشون في ذمة المسلمين وحمايتهم من غير المسلمين(٢)، وهذا اللقب يطلق على كل من لم يؤمن بالدين الإسلامي، وهم أصناف، منهم المشركون الذين لا يؤمنون بوحدانية الله تبارك وتعالى، والكفار الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والنصارى وهم الذين يؤمنون بعيسى عليه السلام، واليهود وهم الذين يؤمنون بموسى عليه السلام، وكل هؤلاء يطلق عليهم مصطلح أهل الذمة، ما داموا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية.

وكان المشركون والكفار يعيشون بكثرة في الجزيرة العربية أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قليلين في جزيرة العرب مقارنة بغيرهم، ولما امتدت فتوحات المسلمين، إلى العراق، والشام، ومصر، وكانت الديانة السائدة في

---

(١) إسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الأموي، ص: ٣٢١.

(٢) الخربوطي: الإسلام وأهل الذمة، ص: ٦٥ وأنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢١٠.

شعوب تلك المناطق هي النصرانية، في حين أن اليهودية موزعة في هذه الأقاليم على جماعات مختلفة، تكثر وتقل من منطقة لأخرى.

وقد استطاع الإسلام أن يكسب تدريجيا معظم عناصر السكان خلال الفتوحات، فأسلم كثير منهم، وبقيت مجموعات أخرى على دينها الأصلي، لاسيما أقباط مصر[١]، وغيرهم من النصارى الذين كانوا في بلاد الشام وغيرها من المناطق في الدولة الإسلامية.

وعموما فقد شكَّل أهل الذمة فئة من فئات المجتمع في الدولة الإسلامية، وكان لا بد أن تتعامل معهم، ووضعت لهم نظاما خاصا تكفل لهم الحرية في دينهم، ويحفظ لهم حقوقهم، ووضعت عليهم واجبات تجاه الدولة الإسلامية، التي هم تحت حكمها، وجعلوا بينهم معاهدات، وذلك منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واستمرت المعاهدات التي عُقِدت معهم في السابق، التزمت بها الدولة أيام معاوية رضي الله عنه.

الرقيق: من بين فئات المجتمع التي كانت تعيش في الدولة الإسلامية، الرقيق، وهي كلمة تطلق "على من فقد حريته من الناس، وأصبح ملك غيره"[٢].

والرق معروف منذ أقدم عصور التاريخ، وذلك أن البشر بين الحين والآخر تقوم بينهم حروب لسبب من الأسباب، ومن نتاج هذه الحروب، يكون أسرى من الجانبين، أو من جانب واحد، حسب نتائج الحروب، فهذا الأسير يكون على تصرف من أَسَره، وبهذا نشأ الرق.

وقد عرف الرِّق منذ أقدم عصور التاريخ، فقد كانت شعوب الحضارات القديمة تتخذ الرقيق، وتستخدمه في أشق الأعمال، وتعامله بمنتهى القسوة والظلم،[٣]، ولما

---

(١) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢١١.

(٢) نفس المرجع ص: ٢١٨.

(٣) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص: ٢٧٧.

جاء الإسلام، كان الناس يتعاملون بالرقيق، سوء بأخذه في الحروب، أو شراءه والتجارة فيه، فكان لا بد أن يجد الإسلام حلاً لهذه المشكلة، إذ أن الأصل في الإنسان الحرية، إلا أن هذه المشاكل التي تحدث بين بني الإنسان هي التي تجعله يفقد هذه النعمة التي منحها الله تبارك وتعالى للبشرية، وهي نعمة الحرية.

فالأسر المصدر الوحيد للاسترقاق في الإسلام، وبدلا من أن يودع الأسير في معتقل عام ثم يرد لقومه وقد زاد ضراوة وحقدا، يعهد به لأحد المسلمين، وكلف وجوبا بحس معاملته، ويتمتع بكافة حقوق الإنسان سوى أنه محجور على ماله لقرب عهده بالكفر وعداوة المسلمين(١).

فمادام الأمر كذلك، وأن الرق لابد منه في المجتمع الإسلامي؛ فإن الإسلام وضع له أحكاما خاصة مادام تحت الدولة الإسلامية.

منها أن الإسلام سهل سُبل التحرر لينال هذا الإنسان حريته في المجتمع وليعيش حياته الطبيعية، مثل الآخرين، وقد عمل الإسلام على مساعدة الأرقاء بالتحرير بأوجه كثيرة، منها فك الرقاب بكفارة اليمين للحانث، أو عن الإفطار المتعمد في رمضان، أو وفاء بنذر، أو تقربا إلى الله تبارك وتعالى، أو تكفيرا للذنوب، أو التماسا للمثوبة؛ كما خصص الإسلام ثُمن أموال الزكاة لِفك الرقاب؛ وبإمكان العبد أن يشتري نفسه من سيده على مبلغ من المال يؤديه في أجل محدود، وهي ما تسمى (بالمكاتبة)؛ ومن سُبل التحرر: (التدبير) وهي أن يوصي السيد بأن يكون عبده حرا بعد موته(٢).

وعموما فإن الرقيق، شكلوا فئة من فئات المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ، فكان لابد للدولة أن تعاملهم بما شرع الله تبارك وتعالى تجاههم ، ولا شك أن الرقيق في أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانوا كثيرين بسب انتشار الفتوحات

---

(١) وصفي: مصنفة النظم الإسلامية، ص: ٦٧٢.

(٢) أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢١٨.

الإسلامية في الشرق والغرب.

المبحث الثالث: سياسة معاوية رضي الله عنه في التعامل مع المجتمع الإسلامي.

المجتمع الإسلامي مجتمع مترابط، وعلاقته بالحاكم علاقة وطيدة، مبنية على الكتاب والسنة، يعرف كل منهما ماله وما عليه تجاه الآخر، ليحقق الجميع قول الله تبارك وتعالى:﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] وهذه المعاملة تختلف تطبيقاتها من عصر إلى عصر، ومن حاكم لحاكم، ومن مجتمع لمجتمع آخر، وتختلف سياسة التعامل مع المجتمع.

وإذا نظرنا إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، نجد أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة تعاون وترابط، ولعلي لا أجانب الصواب ولا أبالغ إذا قلت أن المجتمع المسلم في ذلك العهد هو المجتمع المثالي بكل ما تعنيه الكلمة، حيث تجلت فيه روح الأخوة الإسلامية وطُبقت تعاليم الإسلام على أفراده حكاماً ومحكومين.

ومن المعلوم أن معاوية رضي الله عنه، ولِي أمر المسلمين بعد أن مرت الأمة الإسلامية بفتنة كبرى، كان لها دور كبير في مواقف الناس.

وإن امتداد الفتوحات الإسلامية ودخول الناس في الإسلام، كل هذا وغيره كوَّن مجتمعا خليطا تختلف أفكاره وتوجُّهاته،وحتى معاملته أيضا؛ فكان لابد له من حاكم يحسن التعامل مع أفراد الأمة الإسلامية الذين يُكوِّنُون المجتمع الإسلامي لتوطيد الأمن، والسلام، والتعايش المستمر؛ من هذا المنطلق بيَّن معاوية رضي الله عنه في أول خطبة له في المدينة أسس التعامل مع المجتمع، فقال:"أما بعد فإني والله ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تُسَرون بولايتي ولا تحبونها وإني لعالم بما في نفوسكم

---

(١) المائدة: من آية رقم ٢.

ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت عنه أشد نفورا وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت عليّ، وأين مثل هؤلاء هيهات أن يُدرِك فضلهم أحد ممن بعدهم رحمة الله ورضوانه عليهم غير أني قد سلكت بها طريقا فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك ولكل فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني ببعضه فإنها ليست بقائبة قوبها"[١].

ولا ريب أن هذه الخطبة تحتوي بعضاً من سياسة التعامل مع المجتمع، وبيَّن منهجه في التعامل معهم، بأنه لا يحمل السيف على من لا سيف معه، وأنه سيسير معهم سيرة حسنة وإن لم تكن مثل سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، إلا أن هذه السيرة فيها خير للجميع، وأنه لا يلتفت إلى الخلافات السابقة ولا يحاسب عليها أحداً من باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[٢]، وعموما تقوم سياسته تقوم على المواكلة بشرط السمع والطاعة.

واتخذ معاوية رضي الله عنه الحلم صفة رئيسية له في التعامل مع الناس، وهذه الصفة جعلتهم يرضون به ليقود مسيرتهم، وهي من أعظم صفات القيادة، ولهذا يقول معاوية رضي الله عنه ينصح بني أمية بالذات ويعرفهم قدر الحلم وما يفعله في الناس، "يا بني أمية، قاربوا قريشا بالحلم، فو الله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعه حلما، فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني، وأثور به فيثور معي، وما رفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرما"[٣]. هكذا يفعل الحلم بالرجال

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٤/٥٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٤٣٢/١١.

(٢) المائدة: من آية رقم ٩٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٣/٥٩،ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٤١/١١.

يقود الناس إلى نصرة الحليم مهما كانت منزلته، إذ أنه يحرجهم بحلمه، وهذا مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[(١)].

ولهذا كان معاوية يُضرب بحلمه المثل، ولم تُعرف له زلة تُنافي هذه الصفة إلا قتل حُجْر بن عدي رضي الله عنه وأصحابه[(٢)]، وهذه أيضا ندم عليها أشد الندم، وذلك أن عائشة رضي الله عنها لما سمعت بقضية حجر بن عدي وأصحابه، أرسلت إلى معاوية رضي الله عنه لتشفع لهم، فقدم الرسول وقد قتلهم، فقال له الرسول "أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي"[(٣)]، وسألته عائشة نفسها مرة فقال: أين كان حلمك عن حجر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيد[(٤)]، وهكذا نرى أنه كان يستعين في حلمه بحُلماء الرجال، ويكثر من مجالستهم، حتى لا يتهور في إقدام أمر عظيم، فإن غياب الحلماء وذوي الرأي عن مجلسه قد يؤثر سلبا عليه، كما هو واضح من كلامه رضي الله عنه، وهذا يدل على أن الأمير عليه أن يختار من جلسائه والمقربين إليه من يقوّم أخلاقه ويدله على صفات الخير، ولذا فإن الدعاء لولي الأمر بصلاح البطانة أمر لا تخفى مصلحته على أحد.

وإذا جئنا إلى ممارسة معاوية لصفة الحلم مع الآخر نجدها أكثر من أن تُحصى، وكان يرمي من وراء ذلك اجتماع كلمة المسلمين والبعد عن تفرقتهم، من ذلك أنه

---

(١) فصلت: آية رقم ٣٤.

(٢) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٧٢/٢٠، وقصة قتل حجر بن عدي ذكرت في العديد من المصادر، منها الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٣/٥، ابن الجوزي: المنتظم، ٢٤١/٥، وغيرها.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص: ٢٧٨/٥-٢٧٩.

(٤) نفس المصدر ٢٥٧/٥.

كان يسير مع حبيب بن مسلمة الفهري[١]، مرة فلقيهما رجل[٢]، قال حبيب فما رأيته أكبر معاوية ولا اكترث له،ومعاوية أعظمه، ثم قال له معاوية، أجئت زائراً أم طالب حاجة؟ فقال لم آت لشيء من ذلك ولكني جئت مجاهداً وأرجع زاهدا، فلما مضى قلت لمعاوية أراد بقوله خيرا أم شرا؟ قال: دعه فلعمري لئن كان أراد الشر إن الشر عائد إلى أهله، قلت سبحان الله ما ولدت قرشية قرشيا أذل منك! فقال يا حبيب أحلم عنهم ويجتمعون، خير أم أجهل ويتفرقون؟ قال، قلت: بل تحلم ويجتمعون، قال امض فما ولدت قرشية قرشيا له مثل قلبي[٣].

وهذا لعمري منتهى العقل والذكاء، وضبط النفس، فقليل من الرجال يطيق ذلك وخاصة إذا آتاه الله السلطان، فإنك ترى في هذه الحادثة أنه يضبط نفسه خشية أن يتفرق الناس، مع أنه يمكنه أن يعاقب وينتصر لنفسه، ولكن كُلما أوتي الحاكم الحلم كُلما قل افتراق الناس، وكثر اجتماعهم على طاعته.

ومن حسن معامله للناس أنه يسعى بالإصلاح بين المتخاصمين قدر الإمكان، وربما وقعت مشكلة في مجلسه، فيحاول أن يعالجها ويُرضي كل من الخصمين بقدر الإمكان من ذلك أن بسر بن أرطاة[٤] نال من علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند

---

(١) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان القرشي الفهري، يكنى أبا عبد الرحمن، كان يؤمر على الجوش والسرايا، يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله بلادهم، قبض الرسول صلى الله عليه وله وسلم وله اثنا عشرة سنة، توفي سنة ٤٢هـ ولم يبلغ ٥٠ سنة، توفي بأرمينية، وقيل بدمشق، (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤٠٩/٧، أبو نعيم: معرفة الصحابة، ٨٢٠/٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤/١٢).

(٢) هو عقبة بن عامر الجهني.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥١/٥، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧٦/٣٦.

(٤) بسر بن أرطاة وقيل بن أبي أرطأة عمير بن عويمر بن عمران بن حليس بن يسار بن نزار القرشي العامري، أبو عبد الرحمن، نزيل دمشق، سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير، كان يلي الأعمال لمعاوية، ،كان فارسا شجاعا، من أفراد الأبطال، وكان له نكاية في = =

معاوية رضي الله عنه وزيد بن عمر بن الخطاب[1] جالس، فعلاه بعصا فشجه، فقال معاوية لزيد: عمدت إلى شيخ من قريش سيد أهل الشام فضربته! وأقبل على بسر فقال: تشتم عليا وهو جده وابن الفاروق على رءوس الناس، أو كنت ترى أنه يصبر على ذلك! ثم أرضاهما جميعا[2].

وكان معاوية رضي الله عنه يكرم الصحابة رضي الله عنهم وأبنائهم، وخاصة الذين يفدون إليه من المدينة، ويصلهم بالهدايا وهبات، ويتحمل قسوتهم عليه في بعض الأحيان، يلخص لنا عبد الله بن الزبير تعامله معهم بقوله: "لله در ابن هند، والله كنا لنفرقه، وما الليث على براثنه بأجرأ منه، وإن كنا لنخدعه، وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لو وددت أنا متعنا به مادام في هذا الجبل حجر، وأشار إلى أبي قُبَيس[3]"[1]

= =

الروم، بقي إلى حدود سنة سبعين، قيل أنه مات في خلافة عبد الملك، وقيل في خلافة الوليد سنة ثمانين، رضي الله عنه، (ابن سعد: تتمة الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة، ١٨٣/٢،ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٥٧/١، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٠٩/٣، ابن حجر: الإصابة، ٥٤٠/١).

(١) زيد بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أمه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، (أمها فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم)، وفد إلى معاوية رضي الله عنه، وكان يجلسه في سريره، وكان من أجمل الناس، فلما حصلت القصة بينه وبين بسر بن أرطا، وصله معاوية بمائة ألف،قيل أنه أصابه حجر ليلا ومات متأثرا به، وتوفي وهو شاب صغير، ولم يعقّب، مات هو وأمه في ساعة واحدة، وصلى عليهما عبد الله بن عمر رضي الله عنه.(ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٨٢/١٩، الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤١١/٢).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٥/٥.

(٣) أبو قُبَيس: جبل بمكة من جهة الشرق وجهه إلى قعيقعان، وهو الآن مكسو بالبنيان، (الحموي: معجم البلدان، ٨٠/١، شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ص: ١٧).

وكان يقول في الصحابة رضي الله عنهم، " إذا ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب الورع، وإذا ذهب من بقي من أهل الجاهلية ذهب الحلم[٢]"، ولم يكتف بذلك بل إنه كان يوصي بأولادهم بعد موته حتى ولو خالفوه في الرأي، بل إنه عرف لهم مكانتهم وصداقتهم له من قبل، وذلك أنه دخل عليه مرة أبو بردة بن أبي موسى[٣]، حين أصابته قرحة، فقال له معاوية: هلم يا ابن أخي فانظر إليها، فنظر إليها وقد سبرت، فقال: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، ودخل يزيد فقال له معاوية: إن وليت من أمر المسلمين شيئا فاستوص بهذا فإن أباه كان أخا لي وخليلا غير أني رأيت في القتال غير رأيه[٤].

ومن حفظه لحقوق الرعية وعدم التعدي على أعراضهم، فإنه كان يوصي الشعراء بأن لا ينالوا من الناس بشعرهم حفاظا لحقوق الرعية، من ذلك أنه قال لأحدهم[٥] ينصحه ويعطيه قاعدة يسير عليها في شعره، فقال له: "يا بن أخي إنك لهجت بالشعر، فإياك والتشبب بالنساء فتعر الشريفة، والهجاء فتعر كريما، وتستثير لئيما، والمدح، فإنه طعمة الوقاح، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به

= =

(١) ابن قتيبة الدينوري: عيونا لأخبار١/٦٥، وابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٤٤٢.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٤٠.

(٣) أبو بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري: قيل اسمه حارث، وقيل عامر، وقيل اسمه كنيته، الإمام تابعي فقيه من أهل الكوفة، ولي القضاء بها أيام الحجاج، ثم عزله، وكان من أئمة الإجتهاد، توفي سنة ١٠٣هـ وقيل ١٠٤هـ وقيل ١٠٧هـ، وله بضع وثمانون سنة،(وكيع: أخبار القضاة، ٢/٤٠٨،ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦/٤٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٣٤٣).

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٤١، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٢.

(٥) وهو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص.

نفسك، وتؤدب به غيرك"[1].

ومن تعامله مع المجتمع، التعامل مع الأقارب والأرحام، فقد كان رضي الله عنه يصل الرحم، ولو كانت بعيدة، والرحم لها مكانة كبيرة في الإسلام، ومنزلة عظيمة بين المسلمين، قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾[2]، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالرَّحم، وبيَّن الفضل العظيم لمن وصلها، فقال صلى الله عليه وسلم: "من سَرَّه أن يبسط عليه رزقه، أو ينسأ في أثره فليصل رحمه"[3] ، ومن هذا المنطلق نجد معاوية رضي الله عنه يعتني بصلة الرحم، من ذلك أنه أتاه رجل فسأله بالرحم، فقال معاوية: ذكرتني رحما بعيدة، فقال: يا أمير المؤمنين إن الرحم شجنة إن بللتها ابتلت وإن تركتها تقصفت، قال له: سل، قال مائة ناقة متبع ومائة شاة رُبّى[4] فأمر له بذلك[5].

وكان معاوية رضي الله عنه يسعى للتقرب من المجتمع، ومحبتهم، وكان يحب التودد لهم ومجالستهم، وعدم البعد منهم بقدر الإمكان، بل إنه كان يحب من يتقرب إليه بتحبيب الناس إليه، ولهذا عندما سُئل أي الناس أحب إليك؟ قال أشدهم لي

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٢٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣٣٦.

(٢) الأنفال: آية رقم ٧٥.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم، ٥٩٨٥، ٨/٥، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، برقم ٢٥٥٧، ٤/١٩٨٢، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) الرُّبى: التي تربى في البيت من الغنم، وقيل هي الشاة قريبة الولادة، وجمعها رُبابٌ،(الجوهري: الصحاح، ١/١٣١، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/١٨٠).

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٣٢.

تحبيبا إلى الناس[١]، وهكذا ينبغي أن يكون الحاكم، من التقرب إلى الناس ومعرفة حاجاتهم وتقريب من يذكره بهم.

بل إنه كان يوكل من يقوم بتفقد أحوالهم ويرفع إليه التقرير عنهم، وذلك ليقضي حاجة من لا يستطيع الوصول إليه، من ذلك أنه كان يأذن للناس على قدر منازلهم فيدخلون عليه، حتى إذا استووا جلوسا قال: يا هؤلاء، إنما سميتم أشرافا، لأنكم شَرُفتُمْ من دُونكم بهذا المجلس، فارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا، فيقوم الرجل فيقول: استُشهِدَ فلان، فيقول افرضوا لولده، ويقول آخر: غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم، أعطوهم، اقضوا حوائجهم، اخدموهم[٢]، وهذا كان فعله وسؤاله يوميا لجلسائه من أصحاب المكانة الرفيعة، فإنه أهم ما يسألهم عنه أن يرفعوا إليه حوائج الناس.

وأيضا مما يدخل في باب تعامله مع المجتمع أنه كان يوصي ولاته بتعاهد المجتمع والاهتمام بأفراده، وعدم إغلاق أبوابهم عن ذوي الحاجات من الرعية، من ذلك أنه أو صى عبيد الله بن زياد حين ولاه خراسان، قائلا:" إني أعهد إليك مثل عهدي لعمالي، ثم أوصيك وصية القرابة لخاصتك عندي: لا تبيعن كثيرا بقليل، وخذ لنفسك من نفسك، واكتف بما بينك وبين عدوك بالوفاء تَخِفَّ عليك المئونة وعلينا منك، وافتح بابك للناس تكن في العلم أنت وهم سواء، وإذا عزمت على أمر فأخرجه للناس، ولا يكن لأحد فيه مطمع، ولا يَرْجِعنَّ عليك وأنت تستطيع"[٣].

وكان رضي الله عنه لا يحب أن يُعامَل الناس منه ومن ولاته معاملة واحدة سياسة الشدة، أو اللين؛ بل إنه يحاول أن تكون المعاملة متوازنة بين الشدة واللين، فقد كتب إلى زياد بن أبيه، إنه لا ينبغي لي ولك أن نسوس الناس سياسة واحدة

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٦/٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٧/٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٦/٥.

فنلين جميعا تَمرُج الناس في العصبية، وأن لا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للغلظة والشدة، وأكون أنا للين والرأفة[1].

وعموما فإن معاوية رضي الله عنه كانت معاملته للناس يغلب عليها اللين أكثر من الشدة وليس معنى ذلك أنه كانت كل معاملته مع المجتمع باللين والرحمة والحلم، وكان أيضا من الدهاة الكبار، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، " دعوا فتى قريش وابن سيدها، إنه لمن يضحك في الغضب، ولا ينال منه إلا على الرضا، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه"[2].

وقد لخص معاوية رضي الله عنه معاملته مع المجتمع بقوله" لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: إن جذبوها أرسلتها، وإن خلوها جذبتها"[3].

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٨٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٤٩، ابن كثير البداية والنهاية، ١١/٤١٥.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٨٥.

المبحث الرابع: التعامل مع أهل الذمة.

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بهذا الدين وهو الدين الإسلامي، وأمره أن يدعوا الناس إليه، وأمره أن يبلغ دين الله إلى الناس كافة، وجعل له شعارا في تبليغه لهذا الدين قال تبارك وتعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2]، فهو يدعو الناس إلى الله تبارك وتعالى ولا يجبرهم على اعتناق هذا الدين، مع أن الله تبارك وتعالى رضيه للناس، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من يقف على طريق هذا الدين ويكون سببا في صد الناس عن دين الله تبارك وتعالى.

ومنذ تأسيس الدولة الإسلامية على يد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وأهل الذمة من اليهود والنصارى يعيشون بين ظهراني المسلمين، وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم نظاما للتعايش معهم في ظل الحكم الإسلامي للدولة الإسلامية، وماداموا متمسكين بدينهم، فقد كتب عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم معاهدات وشروطاً للتعايش معا، ماداموا شكلوا في الدولة الإسلامية مجتمعا قائما بذاته، واستمر الخلفاء الراشدون وقادة الفتح الإسلامي، على هذا، وكلما استمر المسلمون في الفتح الإسلامي، فإنهم يعملون معاهدات يسير بها كلا الطرفين في ظل الدولة الإسلامية.

وتمتع أهل الذمة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بكثير من التسامح

---

(١) البقرة: آية رقم، ٢٥٦.

(٢) يونس: آية رقم، ٩٩.

والعدل والأمن ما داموا يؤدون الجزية والخراج، فقد كان عدد كبير منهم يشتغل بالفلاحة، وقد ترك لهم المسلمون أرضهم مقابل دفعهم الخراج، فضلا عن الجزية، وعدد منهم كان يعمل بالتجارة، والصناعة، وكان بعضهم يشتغل بالطب وقد برعوا فيه، وفتحوا في أديرتهم مراكز للعلاج، حتى إن بعض الأديرة اشتهرت بالمياه الكبريتية[1]، وقد اندمجوا في المجتمع الإسلامي، وصار التعاون بينهم على أوجه في هذا العهد، وذلك أن المسلمين أبرموا معهم العهود وفوا بها، في حين أن أهل الذمة يؤدون ما عليهم للمسلمين.

وقد كُتبت عهود كثيرة مع أهل الذمة في البلاد المفتوحة في هذا العهد، تعد عادلة لكلا الطرفين، من ذلك: العهد الذي كُتب أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح دمشق، ونصه " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق يوم فتحها، أعطاهم أمانا لأنفسهم، ولأموالهم، وكنائسهم، لا نهدمنه، ولا نسكننه، لهم ذمة الله وذمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وذمة المؤمنين وألا يعرض لهم أحد إلا بخير إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية"[2]، وقيل أن الكنائس التي دخلت في صلحهم بدمشق فقط حوالي خمس عشرة كنيسة[3]، وهذا مثال للعهود التي كانت بين المسلمين وأهل الذمة في البلاد المفتوحة، حيث تركت لهم الحرية في دينهم وأموالهم وصار لهم ما على المسلمين ماداموا يقومون بالواجب تجاه المسلمين.

ولما ولي معاوية رضي الله عنه الخلافة وامتدت الفتوحات الإسلامية في شرق البلاد وغربها، ونتيجة لذلك كثر أهل الذمة في الدولة الإسلامية، فقد حافظ رضي الله عنه على العهود السابقة التي التزم بها المسلمون مع أهل الذمة، ولم يتعرض لهم ولا لكنائسهم ولا لأموالهم ، وأبرم لهم عهودًا جديدة على غرار العهود التي كانوا يتمتعون

---

(١) الخربوطي: الإسلام وأهل الذمة، ص: ١٢٧-١٢٨، والرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢١٣.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥٤/٢.

(٣) نفس المصدر: ٣٥٥/٢.

بها في عهد الخلفاء من قبله، بل إنه رضي الله عنه سار لأهل الذمة في أيامه مكانة لم يكونوا يحلمون بها في ظل دولهم السابقة التي كانوا تحتها؛ حيث إنهم تولوا وظائف إدارية في الدولة الإسلامية، وكسبوا ثقة الخليفة والولاة.

من وفائه لهم بالعهود السابقة أنه رضي الله عنه أراد أن يوسع مسجد دمشق وذلك أنه ضاق بالمصلين فطلب من النصارى أن يشتري منهم كنيسة يوحنا ليضمها إلى المسجد، إلا أن النصارى رفضوا ذلك فأمسك عنهم[١]، وهذا حفاظا على العهد والأمان الذي أبرمه المسلمون أيام فتح دمشق، وكان فيه ألا يُعتدى على كنائسهم.

وقد اتخذ معاوية رضي الله عنه منهم أطباء، فقد كان ابن أثال[٢] طبيبه الخاص، وكان نصرانيا، متقدما في الطب من المتميزين في دمشق، وكان خبيرا بالأدوية المفردة المركبة وقوامها،[٣]، وأيضا استعمله على خراج حمص[٤]، ومن الأطباء النصارى الذي كانوا يتعاملون مع المسلمين أيام معاوية رضي الله عنه، أبو الحكم[٥]، كان طبيبا نصرانيا عالما بأنواع العلاج والأدوية [٦].

هؤلاء بعض الأطباء من أهل الذمة الذين كان لهم تأثير في المجتمع أيام معاوية رضي الله عنه، ولا شك أن الطبيب له دور كبير في المجتمع، ناهيك إذا اتخذه الخليفة

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ١٢٧.

(٢) ابن أثال: نصراني المذهب، كان طبيبا متقدما من الأطباء المتميزين في دمشق، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما دمشق، اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، كان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة، و السام القاتل، قيل أنه قتله خلد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، أيام معاوية،(ابن أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: ١٧١).

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: ١٧١.

(٤) اليعقوبي: تاريخه، ٢/٢٢٣.

(٥) أبو الحكم: اسمه عمر أبو الحكم، كان طبيبا نصرانيا عالما بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة، كان يستقطبه معاوية رضي الله عنه، عمَّر طويلا حتى تجاوز المائة،(ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: ١٧٥).

(٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: ١٧٥.

طبيبا خاصا له، فلاشك أنه سيعطي للدولة التي هو فيها كل ما يملك من الإمكانات في الخدمة لحسن المعاملة والصلة التي يجدها من الخليفة.

كما أن أهل الذمة نالوا مراكز إدارية في عهد معاوية رضي الله عنه، من بينهم سرجون بن منصور الرومي، الذي كان يتولى ديوان الخراج[(١)].

ولاشك أن الدواوين وخاصة ديوان الخراج كان يُكْتب باللغة التي كانت سائدة في المنطقة كالفارسية في العراق، والرومية في الشام، ولا شك أن كثيراً من الولاة في هذه المناطق كانوا يستعينون بأبناء تلك المنطقة وكان منهم كثير من أهل الذمة.

وقد تمتع أهل الذمة في الدولة الإسلامية بنصيب كبير من الوظائف الحكومية، بل إنهم ظلوا لعدة سنوات يديرون المصالح الحكومية المتعلقة بمالية الدولة وإيراداتها، كما أن الوظائف في بعض الأحيان مقتصرة عليهم، وذلك أن النظام الإداري للحكومة الإسلامية ظل على ما كان عليه في بلاد الفرس والروم، إلى أن جاء تعريبه فيما بعد، فقد وجد العرب بعد الفتوحات أن هذه الأمم ذات تاريخ مجيد عريق في الحضارة المدنية والنظم السياسية، فلم يكن بد إذا من قبول هذا النظام وإبقائه على ما كان عليه من قبل[(٢)]، ولا شك أن هذا كان له دور كبير في توظيف أهل الذمة في مثل هذه المناصب العليا.

إضافة إلى ذلك اشتغل أهل الذمة بالتجارة، والصناعة، والزراعة وغيرها وكان منهم التجار الذين كان لهم دور كبير في التجارة، كما استعان بذوي الخبرة منهم في صناعة السفن وغير ذلك، وإن من أهل الذمة من اشتغل في الصرف وبرعوا فيه وخاصة اليهود، في الشام والعراق، وأيضا عملوا في الترجمة، وكان منهم الشعراء والأدباء[(٣)]، وقد كانوا يمارسون هذه الأعمال بحرية تامة في ظل الدولة الإسلامية.

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه، ص: ٢٢٨، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٨٠/٦.

(٢) الخربوطي: الإسلام وأهل الذمة، ص: ١٣١.

(٣) الرفاعي: النظم الإسلامية، ص: ٢١٧.

ومن ناحية الجزية والخراج في أيام معاوية رضي الله عنه، لم يتغير فيه شيء عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد أبقى كل شيء من هذه الناحية على ما كان عليه، وحتى العهود التي أبرمها هو أيضا لم تكن تختلف كثيراً عما كان عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم؛ حيث إني لم أقف على تغيير في خلافة معاوية رضي الله عنه في هذا الجانب.

بل إنه رضي الله عنه لا يرضى الاعتداء على أهل الذمة من غير حق حتى ولو كان من ولاته، بل إنه عزل أحد ولاته بسبب إقدامه على قتل أحد أهل الذمة، وذلك أن عبد الرحمن بن أم الحكم[1] وليَ الكوفة بعد زياد بن أبيه، ولما قتل أحدهم عزله عنها[2].

وهكذا نرى أن حقوق أهل الذمة محفوظة في أيام معاوية رضي الله عنه، إلا أننا نلاحظ أنهم لم يتولوا الولاية العامة، ولكن كما أسلفنا كانوا يتولون بعض الإدارات في الدولة، وخاصة الإدارات التي لهم خبرة طويلة فيها، أو الأشياء التي لا يجيدها غيرهم.

وعموما إقامة العرب في المدن الإسلامية الجديدة في الأمصار المفتوحة أدت إلى امتزاجهم بأهالي البلاد وأهل الذمة، فقد تعاونوا جميعا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولم تكن عناصر الأمصار المفتوحة غريبة على العرب الفاتحين، كما أن

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وأمه أم الحكم بت أبي سفيان بن حرب، خاله معاوية بن أبي سفيان، ويعرف بن عبد الرحمن بن أم الحكم، وكان جده عثمان يحمل لواء المشركين يوم حنين، فقتله علي بن أبي طالب، قيل أن لعبد الرحمن صحبة، وقد ولي الكوفة ومصر، والجزيرة، مات في أول خلافة عبد الملك بن مروان.(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥/٥١٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥/٤٣، ابن حجر: الإصابة، ٨/٥٨).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/١٣٧، وابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥/٥١، والمقتول هو ابن صلوبا (نفس المصادر).

اختلاف الديانة لم يقف حائلا في سبيل تكوين مجتمع سرعان ما تكلم اللغة العربية واعتنق الإسلام[1]، ومهما يكن من أمر فإن أهل الذمة في عهد معاوية رضي الله عنه، تعامل معهم المجتمع الإسلامي، والدولة أيضا بنفس التعامل الذي كان موجودا في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولذلك نجد كثيراً منهم كانوا يدخلون الإسلام، بسبب التعامل الإسلامي معهم.

(١) الخربوطي: الإسلام وأهل الذمة، ص: ١١٦-١١٧.

المبحث الخامس: الحركة العلمية في عهد معاوية رضي الله عنه.

حث الإسلام على العلم والتعلم، ولذلك أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أول ما نزل عليه من القرآن الكريم هو الأمر بالتعلم، فقال عز من قائل:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[(١)] وجعل للعلماء فضل كبير على غيرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[(٢)].

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء الأسير في غزوة بدر أن يُعلِّم عشراً من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، لكي يطلق سراحه، وذلك لمنزلة العلم في الإسلام، وأن الإسلام لا يرضى أن يعيش أفراده على جهل، وعليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم في سبيل العلم.

واهتم الصحابة الكرام بالعلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والنيل من معين الكتاب والسنة، وأقبل الصحابة رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم بكل قلوبهم حتى لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأكمل الدين وترك أمته على المحجة البيضاء، لينال كل بنصيبه من الكتاب والسنة.

---

(١) العلق: من الآية ١-٥.

(٢) المجادلة: آية رقم ١١.

وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كرَّس الصحابة الكرام جهدهم لتعليم الناس أمور دينهم وما تعلموه من النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان في المدينة أو بقية الأمصار.

وعموما لقد قامت حركة التعليم في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على أكتاف هذا الجيل الذي تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم؛ والحافز الديني القوي، أو جد وسطا ملائما لانتشار التعليم، وبعد زمن يسير اتضحت آثار حركة التعليم الجديدة في تحفيز الطاقات الكامنة وإبرازها، فإذا بأعداد هائلة تعنى بالفكر والعلم، وتظهر القدرة والإبداع في ميادين شتى، فتسهم في بناء الصرح الثقافي والحضاري الجديد[١].

وقد انبرى بعض الصحابة الكرام في هذا العصر لتعليم الناس الكتاب والسنة، وكان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يحثون الناس على تعلم العلم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوجه الناس على تعلم العلم، قبل أن يتولى الإنسان المسؤولية إذ أن العلم هو المعين للإنسان بعد تولي المسؤولية، فقال"تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا[٢]"[٣].

وفي عصر معاوية رضي الله عنه، جعل من أولويات اهتمامه تعلم العلم وتعليمه،

---

(١) العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص: ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) تسودوا: بضم المثناة وفتح المهملة وتشديد الواو، أي قبل تجعلوا سادة (ابن حجر: فتح الباري، ١/١٩٩).

(٣) البخاري: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ١/٢٥، وزاد عليها البخاري رحمه الله تعالى،" وبعد أن تسودوا وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم" قال ابن حجر رحمه الله، ليبين أن لا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه، وإنما أراد عمر أنها قد تكون سببا للمنع، لأن الرئيس قد لا يرجع إلى مجلسه الذي كان يتعلم فيه (ابن حجر: فتح الباري، ١/٢٠٠).

ولا غرو في ذلك فقد كان رضي الله عنه من القلائل الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في مكة، ثم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان أحد كتاب الوحي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد شهد هذا العصر نهضة كبيرة في العلم، وتألق فيه عدد من العلماء الذين ظل المسلمون بعد ذلك يأخذون من علومهم ويستشهدون بأقوالهم واجتهاداتهم، وليس بمستغرب على عصر عاش فيه جماعة من كبار الصحابة والتابعين وعدد وفير من العلماء على امتداد الدولة الإسلامية المترامية الأطراف آنذاك على اختلاف نبوغهم وتفوقهم[١].

وقد كان للحركة العلمية في هذا العهد عدة خصائص كان لها دور كبير في نشر العلم وتعليمه بين الناس، فإذا نظرنا إلى معاوية رضي الله عنه فإنه كان يحث الناس على تعلم العلم والتفقه في الدين، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في هذا الشأن بل إنه كان يرددها في المنبر، فقد ذكر مرة وهو يخطب، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا القاسم ويعطي الله[٢]".

وقد كان رضي الله عنه يوجه الناس ويذكرهم ويحث العلماء بتذكير الناس وتوجيههم على ما يصلح أمر دينهم ودنياهم، ويحاول إذا رأى شيئا غفل عنه غيره أو ربما لم يعرفوا فيه شيئا عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن يُبين ذلك؛ فإنه كان في المنبر يخطب فتناول قُصَّة من شعر[٣] كانت في يدي حرسي، فقال: يا أهل المدينة،

---

(١) شاهين ا لدولة الأموية المفترى عليها، ص: ٤٥١.

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، برقم،٢٥/١، برقم، ٧١، ومسلم: كتاب الزكاة، باب، النهي عن المسألة، ٧١٩/٢، برقم، ١٠٣٧.

(٣) قُصَّة من شعر: بضم القاف وتشديد المهملة مقدم الرأس المقبل على الجبهة، وقيل هي شعر الناصة، (النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٠٨/١٤وابن حجر: فتح الباري، = =

أين علماؤكم؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذه ويقول: " إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم"[(١)].

قوله أين علماؤكم: فيه إشارة إلى أهمية العلم في توعية الناس بما يصلح أمور دينهم ودنياهم، وكأنه رأى جهال عوامهم صنعوا ذلك فأراد أن يذكر علماءهم وينبههم بما تركوه من إنكار ذلك[(٢)].

ومن المعلوم أن من أبرز خصائص الحركة العلمية في هذا العصر، الاعتماد على الكتاب والسنة، وكان دَوْر العلماء ممن بقي من الصحابة رضوان الله عليهم وكبار التابعين رحمهم الله كبيراً في نشر العلم وتعليم الناس القرآن وتفسيره، ونشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الناس من جميع أقطار الدولة الإسلامية يفدون إليهم لينالوا نصيبهم من ذلك.

وكان معاوية رضي الله عنه يحث الناس على أخذ العلم الذي ينفعهم في الدنيا الآخرة وأن يحفظوه ويعقلوه، وذلك أنه قال مرة وهو على منبر دمشق: أيها الناس أعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني، أقيموا وجوهكم وصفوفكم في الصلاة، فَلَتُقِيمُنَّ وجوهكم وصفوفكم في الصلاة أو ليخالفن الله بين قلوبكم، خذوا

= =

٥٩٦/٦،)

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٧٣/٤، برقم، ٣٤٦٨، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، ١٦٧٩/٣، برقم ٢١٢٧.

(٢) وربما يُحتمل أن يكون ترك من بقي من الصحابة ومن أكابر التابعين إذ ذاك الإنكار إما لاعتقاد عدم تحريم ممن بلغه الخبر فحمله على كراهة التنزيه، أو كان ممن لم يبلغهم الخبر أصلا، أو بلغ بعضهم لكن لم يتذكروه حتى ذكرهم معاوية، (ابن حجر: فتح الباري، ٥٩٦/٦).

على أيدي سفهائكم أو ليسلطن الله عليكم فليسومنكم سوء العذاب"[1].

وهذا ليس تزكية للنفس منه رضي الله عنه، ولكن ربما أنه لا حظ وفاة كثير من الصحابة رضي الله عنهم، فأراد أن يرفع المعنويات ويشحذ الهمم باللحاق بمن بقي منهم، وهو من هؤلاء الصحابة، فأراد أن يأخذوا منه العلم قبل أن يفارق الدنيا؛ ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا أعلم الناس بأمور الدنيا والآخرة ممن جاء بعدهم لمعاصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كل واحد منهم يحمل علما، فيريد أن يؤخذ منه هذا العلم.

أضف إلى ذلك إنه رضي الله عنه كان فقيها عالما وذلك بشهادة بعض الصحابة رضي الله عنهم له، وذلك أنه أوتر مرة بركعة، فقيل لابن عباس رضي الله عنهما، "هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة! قال أصاب إنه فقيه"[2].

ومن خصائص التعليم في عهد معاوية رضي الله عنه، مذاكرة العلم مع كبار العلماء في عصره من الصحابة رضي الله عنهم، والمذاكرة لها دور كبير في تثبيت العلم وزيادته وخاصة مع أهل العلم، وقد يخرج العلماء منها بفوائد كثيرة تفيد الأمة، ولهذا كان العلماء يحثون طلابهم على المذاكرة، من ذلك: يقول ابن عباس رضي الله عنه لتلاميذه، " إذا سمعتم مني حديثا فتذاكروه بينكم فإنه أجدر وأحرى أن لا تنسوه"[3]، من هذا المنطلق نجد أن معاوية رضي الله عنه يتذاكر العلم مع الصحابة.

من ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما، أتى إلى معاوية رضي الله عنه، فأجلسه على السرير، ثم قال له ما ركعتان يصليهما الناس بعد العصر؟ لم نر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاهما ولا أمر بهما، قال ذلك ما يفتي به الناس ابن الزبير رضي الله عنه فأرسل إلى ابن الزبير فسأله فقال أخبرتني ذلك عائشة رضي الله عنها فأرسل إلى

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٣/٥٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٤٣٧/١١.

(٢) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب ذكر معاوية رضي الله عنه، ٢٨/٥، برقم ٣٧٦٥.

(٣) الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص: ٥٤٧.

عائشة فقالت أخبرتني ذلك أم سلمة رضي الله عنها وذكرت أنها قالت جاءها النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوما بعد العصر وصلى ركعتين، فلما سألته قال لها هي الركعتين بعد الظهر شُغِلتُ عنها بالوفد(١).

ولاشك أن هذا يزيد في انتشار العلم والوصول إلى الثابت في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما يَظْهر في القصة أن إثبات الركعتين بعد صلاة العصر وصلوا إليها بعد مدارسة ومذاكرة.

إضافة إلى ذلك مكاتباته للعلماء في مسائل العلم، والمواعظ، بينه وبين الصحابة الكرام الذي كان لهم دور كبير في نشر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ذلك أنه كتب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن عظيني ولا تطيلي، فكتبت إليه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إليهم حتى يعود حامده ذاما، ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله إياهم"(٢).

ومن خصائص الحركة العلمية في هذا العصر أن معاوية رضي الله عنه كانت له همة عالية في التعليم، ولذلك كان له اهتمام كبير بقراءة سياسات الملوك وأخبار الأمم من العرب والعجم، وكان له في ذلك رجال متخصصون يدارسهم ذلك ويقتطع لذلك جزءا من وقته.

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ١٣٣/٢، برقم ٧٣٤٧، وأحمد: في المسند، ٢٠٩/٤٤، برقم ٢٦٥٨٦، قال محققوا المسند صلات النبي ركعتين بعد العصر صحيح وهذا الإسناد ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ، في المصنف برقم، ٣٠٦٣٧: ١٩٨/٦، وأبو داود: في الزهد، برقم، ٣٢٣: ص: ٢٨٥، البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٩/٥، وقال الشيخ الألباني، بعد أن استوفى طرق الحديث، وجملة القول أن الحديث قد صح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا وموقوفا، ويتقوى بجميع طرقه،(الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٩٥/٥).

وذلك أنه من أعماله في جدوله اليومي، بعد صلاة العشاء يأذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية فيشاوره الوزراء فيما يريدون، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة، وكل هذا يقرأ عليه من دفاتر بيد غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جُمل من الأخبار، والسير، والآثار وأنواع السياسات[١].

وهذا لا شك مما زاده ملكة في تدبير الأمور وسياسة الرعية، وهذه السير ليس بالضروري أن تكون كلها للأمم القديمة، فربما يكون فيها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ومع ذلك فإن الإمام يتعلم من سنن الماضين ما يعينه على تدبير أمور دولته.

ولا شك أن الولاة كان لهم دور كبير في الحركة العلمية، في هذا العصر وخاصة إذا نظرنا أن أغلب الولاة كانوا من الصحابة[٢]، أو أنهم كانوا كتَّابا في أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[٣].

وقد اهتم معاوية وولاته باللغة العربية اهتماما بالغا، وذلك أن امتداد الفتوحات ودخول الناس في الإسلام أدى إلى لحن في اللغة العربية، ومن ثم أثر ذلك في قراءة بعضهم للقرآن الكريم، فكان لا بد من حل لهذه المعضلة، فكُلِّف بعض العلماء بوضع ما يُقيم به الناس ألسنتهم.

من ذلك أن أبا الأسود الدؤلي[٤] جاء إلى زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/٣٨.

(٢) مثل عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

(٣) مثل زياد بن أبيه، فقد كان كاتبا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمروبن خلس بن يعمر بن نفاتة بن = =

فقال أصلح الله الأمير، إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يُقوِّمون به كلامهم قال: لا، قال: فجاء رجل إلى زياد وقال أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون!! ادعوا لي أبا الأسود، فلما حضر قال: ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم، وقيل إن معاوية رضي الله عنه نفسه هو الذي طلب من عامله على العراق ذلك[1].

= =

عدي بن الدائل بن بكر بن عبد مناف، نسبته الدؤلي، نسبة إلى الدائل، كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب وشهد معه وقعة صفين، وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا، وهو أول من وضع النحو، مات سنة ٦٩، في الطاعون الجارف،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٩٩/٧، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٤٦٤/٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٣٥/٢).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٣٦/٢-٥٣٧، وشاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص: ٤٥٣.

المبحث السادس: الاهتمام بالعلماء.

العلماء لهم دورٌ كبير في المجتمع في أي دولة من الدول، وكلما كان دورهم كبير في التأثير على المجتمع كلما عاد ذلك إلى الدولة بالنفع سياسيا، وعلميا، واقتصاديا، وفكريا، فبالعلم تُرفع الأمم، وبالعلماء تعلوا مكانتها وتتفاخر، والعلماء هم الذين يعرفون لله حقه، ويُعرِّفون الناس بذلك ويُقوِّمُون اعوجاجهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، هذه الآية فيها دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء[2]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات التي وردت في فضل العلماء ومكانتهم في الأمة.

وقد اهتم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بتقريب العلماء ومشاورتهم، في الأمور التي تهم المسلمين في الدولة الإسلامية، ومن المعلوم أن جُل الصحابة رضي الله عنهم قد روى أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لابد أن يستعين الخلفاء الراشدون بهم، إذ ربما يوجد عند أحدهم علم من النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة معينة؛ ثم إن عاصمة الدولة الإسلامية كانت المدينة المنورة، وكان فيها من العلماء من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كثير، فكان ضروريا أن يكون لهم مكانة عند الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

---

(١) آل عمران: آية رقم ١٨.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤١/٤.

(٣) فاطر: آية رقم ٢٨.

ولما جاء معاوية رضي الله عنه عرف للعلماء قدرهم ومنزلتهم في الأمة، فكان يكرم من وفد إليه منهم، ويستشير من كان موجودا منهم معه، ويراسل من غاب عنه منهم، بل إنه كان يتأثر بموت أحدٍ منهم، وذلك لعلمه أن فقدهم يؤثر في المجتمع، ولهذا عندما جاءهُ نبأ استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكى بكاء شديدا، وجعل يسترجع، وتحسر على فقده، حتى إن زوجته قالت تبكي عليه وقد كنت تقاتله بالأمس؟ فقال لها ويحك؛ إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[1].

وفي هذا نلاحظ أن معاوية رضي الله عنه لم يمنعه خلافه لعلي رضي الله عنه من أن يحفظ له منزلته العلمية والفقهية، وأن فقده خسارة للأمة الإسلامية، وهذا لا شك فيه أن فقد العالم من أمة ليس كفقد أي إنسان عادي؛ إذ إن العالم حياته يستفيد منها مجتمع كبير، لأن علمه هذا حياة للناس، ونور يهتدون به إلى طريق الحق والصواب، بخلاف غيره فإن حياته لنفسه، وربما في بعض الأحيان أن موته خير للناس ليستريحوا من شره.

ومن معرفة معاوية رضي الله عنه بأقدار العلماء وطلب النصيحة منهم، أنه لما قدم المدينة يُريد الحج دخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فكلمها معاوية، فلما قضى كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والذي سن الخلفاء من بعده، وحضَّت معاوية على إتباع أمرهم، فقالت في ذلك فلم تترك، فلما قضت مقالها قال لها معاوية: أنتِ والله العالمة بأمر رسول الله صلى الله عليه سلم، الناصحة المشفقة البليغة الموعظة، حضضت على الخير وأمرت به، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا، وأنت أهل أن تطاعي، وتكلمت هي ومعاوية كلاما كثيرا، فلما قام معاوية ومشى قال: والله ما سمعت خطيبا ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ من عائشة[2].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٢/٥٩، وابن كثير: البداية والنهاية، ٤٢٨/١١-٤٢٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٣/٥٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٣١/١١.

وكان رضي الله عنه لا يستغني عن سؤال أهل العلم في ما استعصى عليه من المسائل، من ذلك أنه قال يوما لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنه ضربتني البارحة أمواج القرآن في آيتين لم أعرف تأويلهما، ففزعت إليك، فقال ابن عباس: ما هما؟ فقال معاوية: قول الله عز وجل: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾[1]، فقلتُ يونس عليه السلام رسول الله ظن أنه بقوته إذا أراده ما ظن هذا مؤمن، وقول الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾[2]، فقلت سبحان الله كيف يكون هذا أن يستيئس الرسل عليهم السلام من نصر الله، أو يظنوا أنه كذبهم ما وعدهم! إن لهاتين الآيتين تأويلا لا نعلمه، قال ابن عباس: أما يونس عليه السلام فظن أن خطيئته لم تبلغ أن يقدّر الله عليه تلك البلية، ولم يشك أن الله عز وجل إذا أراده قَدر عليه، وأما قوله حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم، وظن من أعطاهم الرضا في العلانية أن يكذبهم في السريرة، وذلك أطول البلاء عليهم، ولم يستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنهم كذبهم ما وعدهم، فقال معاوية: فرَّجت عني فرج الله عنك[3].

وهكذا يجب أن يكون تعاون الأمراء والعلماء، إذ أن الأمراء عليهم أن يهرعوا إلى أهل العلم في كل ما يُستعصى عليهم من المسائل، وأن لا يستغنوا من علمهم، وأن لا يكون بينهم وبين العلماء فجوة، بل عليهم أن يقربوهم لمكانتهم العلمية، ومنزلتهم في المجتمع.

وقد كان معاوية رضي الله عنه يُحيل المسائل العلمية التي ترد إليه إلى العلماء، وكان يُرسل إليهم رغم أنهم في بعض الأحيان يكونون بعيدين عنه في ولاية أخرى،

---

(١) الأنبياء: آية رقم ٨٧.

(٢) يوسف: آية رقم ١١٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٩/٧٣.

من ذلك أن أحد ملوك الدول[1] كتب إلى معاوية رضي الله عنه يسأله عن ثلاث خلال: ما مكان إذا كنت عليه لم تدر أين قبلتك؟ وما مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ولا بعد؟ وعن المحو الذي يكون في القمر؟، فقال معاوية: من لهذه؟ فقيل له: ابن عباس، فكتب إلى ابن عباس، فكتب إليه ابن عباس: أما المكان الذي إذا كنت فيه لم تدر أين قبلتك فإذا كنت على ظهر الكعبة؛ وأما المكان الذي طلعت فيه الشمس ولم تطلع فيه قبل ولا بعد، فالبحر يوم انفلق لموسى عليه السلام؛ وأما المحو الذي في القمر فإن الله عز وجل يقول:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ ﴾[2]، فهو آية الليل[3]، وهذا هو الواجب على الخلفاء والأمراء أن يتبعوه، بأن يستعينوا بالعلماء في الأمور التي تَستعصِي عليهم، وهذا ما كان يسير إليه معاوية رضي الله عنه.

ومن اهتمامه بالعلماء، أنه كان يعرف قدرهم وينزلهم منزلتهم التي تليق بهم في مجلسه، فكان يدينهم من مجلسه، وربما قد يجلسهم في سريره، وذلك لمكانتهم عنده، كما فعل مع ابن عباس رضي الله عنه[4]، والأحنف بن قيس رحمه الله[5]، بل إنه كان ينصح ولاته بمجالسة العلماء، والاهتمام بهم واتخاذهم مستشارين لهم[6].

وقد كان رضي الله عنه يصل العلماء بالهبات، والعطايا، والصِّلات كلما وفدوا إليه أو كان يرسل لهم أينما وجدوا، لعلمه أنهم مشغولون بنشر العلم، من ذلك أنه

---

(١) وهو ابن هرقل ملك الروم.

(٢) الإسراء: آية رقم ١٢.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧٣/١٩٩-٢٠٠.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف، ٢/١٣٣

(٥) كما في قصته مع عبيد الله بن زياد، وقد ذكرها الطبري: في تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣١٧.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٥/٣١٧.

بعث إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف، وقضى عنها ثمانية عشر ألف دينار[١].

وعموما فقد كان عهد معاوية رضي الله عنه زاخراً بكثير من العلماء، يأتي في طليعتهم جيل من الصحابة الكرام، وتركوا آثاراً واضحة على الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية، وجيل من التابعين الذين أخذوا عنهم، وكان كثير ممن يحيطون به من العلماء والفقهاء الذين لم يقتصر دورهم على التعليم والتدريس، بل مارسوا السياسة، وعرفوا طرقها[٢].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٢/٥٩.

(٢) شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص: ٢٣١.

المبحث السابع: دُور العلم.

العلم له مكانة عظيمة عند المسلمين ونشره من واجبات العلماء، والأمة الإسلامية حُكَّاما ومحكومين عليهم تهيئة الجو والمكان المناسبين لطلبة العلم، وقد كان مُعلِّم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، يتخذ لنشر دعوته وتعليم الناس أمور دينهم أماكن تناسب حالهم، ووضعهم في السَّلم والحرب.

ففي بداية الإسلام اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم[(١)] مقراً له ولأصحابه يعلمهم فيها أمور دينهم، ويتلوا عليهم آيات القرآن الكريم ويدارسهم إياه[(٢)]، ولهذا فإنه يمكن أن نعتبر هذه الدار هي أول دار اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر دعوته بمكة، في حين أن المسجد النبوي هو أول دُور العلم في دولة الإسلام.

وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم استمر عطاء المسجد النبوي، وبجواره مساجد أخرى، حيث تنعقد فيه حلقات العلم، ويُخطب فيه كل جمعة، ويُتلى فيه القرآن، وقد استمرت أهمية المسجد التعليمية قرونا طويلة، وإلى جانبه قامت مراكز أخرى للتعليم في المدينة، مثل الكُتَّاب والمؤدبين في هذا العصر[(٣)].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لم تختلف دُور التعليم وطريقة

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكنيته أبو عبد الله، واسم أبي الأرقم عبد مناف، وكان سابع سبعة في الإسلام، كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا في داره عند الصفا بمكة، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، وأسم فيها قوم كثير، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ، مات يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، وقيل أنه توفي سنة ٥٥هـ ، وكان عمره بضع وثمانين سنة،(ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٤٣/٣، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ص: ٥٧).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٥٣/١، أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص: ٢٨٩.

(٣) أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص: ٢٩٠-٢٩١.

نشره عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وذلك لقرب العهد، وأن العلماء الذين كانوا ينشرون العلم هم من جيل الصحابة رضي الله عنهم؛ وعموما فقد استمر الاهتمام بالتعليم في هذا العصر ربما بشيء من الكثافة، وذلك لاتساع الفتوحات ودخول الناس في الإسلام مما جعل الصحابة ينتشرون في أصقاع البلاد، لينشروا ما تعلموه من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لهم في ذلك أماكن خاصة، وطلابا يأتون إليهم في أماكن نشرهم للعلم.

فمن أماكن دور النشر في هذا العهد ما يلي:-

المسجد:

المسجد له دور كبير في نشر العلم، فله مكانة كبرى في تاريخ الإسلام من هذا الجانب، وذلك أنه تخرج منه أعظم جيل من الصحابة الكرام على يد النبي صلى الله عليه وسلم، واستمر عطاؤه في جميع العصور الإسلامية.

وقد أصبح الجامع الأموي في دمشق أهم مكان لتعليم الناس حيث يلتف الناس حول الصحابة والتابعين في حلقات منظمة ليستمعوا لقراءة القرآن وشرح تفسيره[١].

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم حلقات في مسجد دمشق، أبو الدرداء رضي الله عنه القاضي في دمشق؛ حيث كانت له حلقات لتعليم الناس أمور دينهم ونشر العلم، فهذا أحد تلاميذه[٢]يقول قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندنا في مجلسنا هذا، قال: فعددت ألفا وستمائة ونيفا، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة لكل منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء قائما يستفتونه في حروف القرآن يعني المقرئين فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يبتدئ في كل غداة إذا انفتل من الصلاة فيقرأ جزءًا من القرآن وأصحابه محدقون به يسمعون ألفاظه، فإذا فرغ من قراءته جلس كل رجل منهم في موضعه وأخذ من العشرة الذين

---

(١) سمية بنت محمد: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص: ٧٠.

(٢) وهو أبو عبيد الله مسلم بن مشكم.

أضيفوا إليه[1].

وهكذا بقية المساجد في الدولة الإسلامية كانت حلقات الدروس ونشر العلم مستمرة فيها من علماء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، من ذلك مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر، فقد كان منارًا للعلم منذ تأسيسه، ومن العلماء والمحدِّثين الذين كانوا في هذا المسجد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فلاغرو فهو من أكثر الصحابة حفظاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت له رقعة اسمها "الصادقة"[2]، قد اشتملت على أحاديث كثيرة سمعها من النبي صلى الله عليه سلم؛ ولاشك أنه كان يُحدث منها في حلقته في جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد التف حوله الكثير من طلبة العلم الذين أخذوا عنه[3].

ومن المساجد التي كان لها دور كبير في نشر العلم أيام معاوية رضي الله عنه، مسجد عقبة بن نافع في القيروان؛ فمنذ اللحظات الأولى لتخطيط المسجد شرع يمارس دوره العلمي والثقافي بجانب وظيفته التعبدية، حتى أنه قيل في هذا المسجد "يُخيلُ إلى أنه عندما يسأل المرء عن الوقت الذي بدأت فيه دراسة العلم بالقرويين فكأنما يسأل عن الوقت الذي بدأت الصلاة فيها، لأن تلك من هذه لا فرق بينها إطلاقا في نظر الإسلام"[4].

بيوت العلماء:

من دُور العلم التي اشتهرت في تلك الفترة، منازل العلماء، فقد كان لها دور كبير في نشر العلم، وتعليم الناس، واجتماع الناس إليها، وكانت بيوتهم رحمهم الله مفتوحة لكل من يريد العلم، وكيف لا وقد فتح العلماء صدورهم لطلبة العلم قبل

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١/٣٢٨.

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، ص: ٨٤.

(٣) أبو سديرة: الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص، ص: ٤٧-٤٨.

(٤) حوالة: الحياة العلمية في إفريقية، ١/٢٠٣.

بيوتهم، لينهلوا من علومهم في شتى المجالات.

من ذلك أن ابن عباس رضي الله عنه كان من العلماء الذين اعتاد الناس على مقابلته في بيته، وخاصة أنه بعد عودته من العراق التي كان فيها مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تفرغ للعلم في الحجاز، وقد كان الناس يَفِدون إليه من كل مكان يستفتونه عن العلم وقد كان رضي الله عنه بحرا زاخرا يُفتي الناس في شتى العلوم من القرآن، والحديث، والتفسير، واللغة، والأدب، وفتاوى أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم.

من ذلك أن أحد تلاميذه يقول: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال: لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: "إخوانكم" فخرجوا، ثم قال: " اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل " قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: " إخوانكم" فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: "إخوانكم " فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: "إخوانكم" فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية، والشعر، والغريب من الكلام فليدخل قال: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم

مثله، قال الراوي: فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس[(1)].

ومن هذا يتبين كيف أن الطلاب يتوافدون إلى العلماء في دُورهم، والعلماء نظرا للمسؤولية الملقاة على عاتقهم لم يبخلوا بهذا العلم وجعلوا دُورهم مفتوحة لكل طالب علم، وفي القصة الماضية تبيان لمكانة ابن عباس العلمية، فلا تحتاج إلى تعليق، ولا غرو في ذلك فقد كان معاوية رضي الله عنه يبعث إليه بكل ما ستعصى عليه، وقد كان يسأله المسائل أيضا عندما يفد إليه.

دار الخلافة والإمارة:-

من الأماكن التي تُعد من دُور العلم مجلس الخليفة وأمراؤه حيث كان يدور فيها نقاشات علمية، ويحضرها عدد من العلماء.

فقد أصبحت قصور الخليفة وأمراء الولايات، تحوي على العديد من مجالس العلم في شتى العلوم والفنون ولقد تعددت أغراضها وأهدافها من مجلس لآخر وقد حظيت الشام بالحظ الأوفر من هذه المجالس وذلك لأنها عاصمة الخلافة، فشهدت دار الخلافة الكثير من العلماء، والشعراء، والأطباء والحكماء من الشام وخارجها[(2)].

وقد جرى بين معاوية وعدد من العلماء والأشراف كثير من مجالس الحوار، والمناقشات ربما قد أثبت فيها معاوية قدرته على إقناع غيره بالحجة والبرهان، وبما أعطي من الحلم وسعة البال[(3)]، وقد يسأل العلماء على ما أشكل عليه من أمر الدين وتفسير آيات القرآن، وكل ذلك كان فيه فائدة عظيمة.

من ذلك قصته مع ابن عباس رضي الله عنه عندما سأله عن الآيتين، وجواب

---

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/٣٢٠، وابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٤/٧٣.

(٢) سمية بنت محمد: التعليم في الشام في العصر الأموي، ص: ٨١.

(٣) الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية، ص: ١١٠.

ابن عباس له[١]، وغيرها فقد كان له مع ابن عباس مجالس وكان يتقرب منه.

وأيضا الحوار الذي جرى بينه وبين المسور بن مخرمة رضي الله عنهما، وذلك لما وفد عليه وقد سأله معاوية عن الأمور التي ينقم بها عليه، ثم بين له معاوية، أنه لا يَبرأ من الذنب لكن ما يلي من الإصلاح وإقامة الصلاة للمسلمين، والجهاد في سبيل الله، والحكم بين الناس، وأنه لو خير بين أمرين أمر الله وغيره، اختار أمر الله على ماسواه، وأنه على دين يقبل الله فيه العمل ويجزي فيه بالحسنات، فقال: المسور فعلمتُ أنه قد خَصمني، فلا زال يذكره بخير ويدعو له[٢].

وقد ذكرنا فيما سبق أنه كان يخصص وقتاً لتداول أخبار الماضين وقراءة سيرهم بواسطة رجال اختصوا بقراءتها بين يديه[٣].

وقد كان رضي الله عنه من أدبه أنه كان يتحرج أن يقول للعلماء انصرفوا لمكانتهم عنده، ولهذا طلبوا منه أن يعطيهم إشارة لو رأوها منه ينصرفون عنه، فقال علامة ذلك أن أقول إذا شئتم[٤].

ومما يضاف إلى دُور العلم في تلك الفترة الكتاتيب[٥]، وهي من أقدم الأماكن لتعليم العلم ونشره، بعد المساجد، وأسهمت في نشر العلوم والمعارف، الإسلامية على وجه الخصوص، فدورها مذكور في العالم الإسلامي كله منذ عصور الإسلام الأولى

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٩/٧٣.

(٢) نفس المصدر ١٦٨/٥٨.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٨/٣.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥/٢.

(٥) الكتاتيب: جمع كُتَّاب، وهو سهم مصغر مدور الرأس يتعلم به الصبي الرمي، وهو موضع التعلم، أو مكان مصغر لتعليم الصبيان، (الجوهري: الصحاح، ٢٠٩/١، ابن منظور: لسان العرب، ٦٩٩/١، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٩٠٣/٣)

وحتى يومنا هذا[١].

وقد ظهرت الكتاتيب في الشام بعد الفتح، وتعلَّم فيها أبناء الفاتحين، يقول أحدهم، أنا أول مولود بحمص من المسلمين وأول مولود رُئِي في كتف، يعني يحمل كتفا مكتوبا فيه القرآن، وأنا أختلف إلى الكُتَّاب[٢].

ولا شك أنها استمرت أيام معاوية رضي الله عنه، وقد تخرج منها عدد كبير من التابعين وأبنائهم، وخاصة إذا نظرنا إلى اهتمام معاوية رضي الله عنه بالعلم ونشره.



(١) حوالة: الحياة العلمية في إفريقة، ١/٢٢٦.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/٤٦٤، وأكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ص: ٢٩٩.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

أهم النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد هذه الدراسة التي بذلت جهدي من خلالها في إيضاح نُظُم الحكم التي عمل بها أمير المؤمنين الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ومن خلال دراسة هذه النظم، توصلت إلى بعض النتائج؛ ومن أهم تلك النتائج:

- إن معاوية رضي الله عنه الراجح في ولادته أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأما في إسلامه الذي ترجح عندي أنه أسلم قبل عام الفتح في عمرة القضاء في السنة السابعة من الهجرة، والراجح في عمره أيضا ثمان وسبعون سنة.
- برزت على معاوية رضي الله عنه بعض السمات القيادية، منذ صغره، ونمّى هذه الصفات، وربما هذه الصفات برزت في بعض الأحيان للناس، وتوقعوا له قيادة المجتمع، وهذه السمات أهلته للقيادة، فتولى زمن أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة الجيوش، وصار واليا على الشام أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلى أن صار خليفة للمسلمين.
- مرت النظم بعدة مراحل في الدولة الإسلامية منذ نشأتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ يتطور في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مع أخذ الاعتبار بالمبادئ والأسس التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم، حسب ما تقتضيه مصلحة الدولة واتساع رقعتها، واستفاد المسلمون في تطوير بعض الأنظمة من البلدان التي فتحوها مادامت لا تخالف الشرع الحكيم، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر من طور في النظم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سواء كان إداريا، أو اقتصاديا أو سياسيا.
- نظم معاوية رضي الله عنه بلاط الخلافة واتخذ كُتابا بارعين في الكتابة، وكان يوجههم من حين إلى آخر، وليس بالضروري عنده أن يكون الكاتب مسلما، بل ربما كان من النصارى؛ ولكن أهم شيء أن يُؤدي الدور الذي عليه ويقوم به حق

القيام، كما اتخذ حاجبا ينظم له الداخلين عليه حسب منازلهم، مع توجيهه للحاجب بأن يأذن لكل من يطلب الإذن من ذوي الحاجات، وليس الحاجب عنده أن يقف حائلا بينه وبين رعيته.

- جعل معاوية رضي الله عنه ولاية العهد لولده يزيد، مما أثار جدلا واسعا في الدولة، ولكن بحنكته السياسة، ومقدرته في التعامل مع الناس، أداه اجتهاده أن يأخذ البيعة ليزيد، من أغلب المجتمع، وتبين لنا أن هذا النظام صحيح أنه أول من أنشأه لكن ليس بالضروري أن يتحمل تَبِعاته من بعده، حيث إنه اجتهد في أن يختار للأمة، لئلا يختلفوا وتحصل معانات الفرقة مرة أخرى، وله بإذن الله أجر الاجتهاد على الأقل.
- كان لمعاوية رضي الله عنه بعض شارات الخلافة التي تميز بها عصره، منها المقصورة للصلاة، والسرير، والدعاء على المنابر في الخطبة، والخاتم، وكان نقش خاتمه، (لكل عمل ثواب) وقيل (لا قوة إلا بالله).
- حج معاوية رضي الله عنه بالناس في خلافته مرتين، أما بقية السنوات فكان يُرسل أميرا للحج، مع الاهتمام بالبيت الحرام وإرسال كل ما يمكن أن يساعد على تيسير الحج مع أمير الحج.
- كانت لمعاوية رضي الله عنه نظرة اقتصادية ثاقبة، إذ إن المال هو أهم شيء في توطيد الملك، ولهذا عمل بكل جهده لتنوع المصادر المالية للدولة، حيث إنه أضاف موارد جديدة عما كانت عليه من قبل، ومن ثم استعان به في إعادة الأمور السياسية في الدولة إلى نصابها.
- تنوعت الموارد المالية في عهد معاوية رضي الله عنه فشملت الزكاة، والخراج، والعشور والصوافي، والغنائم، والتجارة، والزراعة، وكل واحد من هذه الموارد كان فيه تطوير عما كان عليه من قبل، ومن ثم كل مورد كان يُثري بيت المال بنصيب وافر من المال.
- قُدرت ميزانية الدولة أيام معاوية رضي الله عنه من الخراج فقط حسب

الإحصاءات (٦,٠٨٠,٠٠٠) دينار، و(٢١٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم تقريبا، في العام الواحد وهذا من مورد الخراج فقط، فضلا عما كانت تُدره الموارد الأخرى.

- إن مصارف الدولة ونفقاتها لم تكن أقل شأنا عن الموارد، فقد تعددت المصارف وشملت النفقات العسكرية، والإدارية، ومصارف الزكاة، ونفقات الضمان الاجتماعي، وغيرها وكل واحدة من هذه كانت له ميزانية خاصة.
- يُلاحظ في عصر معاوية رضي الله عنه أن بعض الولايات كانت مواردها كثيرة ومن ثم يقوم الوالي بإخراج مصارف الولاية من النفقات وحوائج الولاية، ثم يُرسل الباقي إلى بيت المال المركزي في العاصمة دمشق، بينما بعض الولايات كانت تُرسل ميزانيتها من بيت المال المركزي.
- دخل بعض التطور في أنظمة وسائل النقل في عهد معاوية رضي الله عنه، مما كان له الأثر الكبير في سرعة التنقل، ووصول الرسائل في أقصر وقت ممكن، إضافة إلى ركوب السفن البحرية بصورة أكثر مما كان عليه من قبل وتطوير صناعتها.
- كان لمعاوية رضي الله عنه رؤية عسكرة واضحة لم تختلف كثيراً عما كانت في ولايته على الشام؛ بل إنه لما صار خليفةً، صار يملك القرار الأخير ويفصل فيه بالسياسة التي يريدها، فبعد أن ثبت الأمور الداخلية وجه الجيوش الإسلامية بمواصلة الفتح برا وبحرا، وكانت أقوى الجبهات التي ركَّز عليها هي جبهة الروم لقربها من مقر الخلافة، ولقوة هذه الجبهة عن غيرها، فشدد عليها الخناق برا وبحرا، وأما من جهة الشرق فقد كان تثبيت الإسلام وتوطيد الأمن فيها أكثر من فتح بلاد أخرى.
- أدخل في الجيش نظما جديدة عما كان عليه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وطور النظم التي كانت تسير عليها الجيوش في السابق، وأهم شيء فيه نظام التعامل في البحر، ولاشك أن المسلمين كونهم جديدي عهد في ركوب البحر فإنهم في حاجة ماسَّة لذلك النظام وتطويره.
- كان الجيش الإسلامي في خلافة معاوية رضي الله عنه يمتلك معدات حربية

متنوعة منها ما تمت صناعته في داخل الدولة، ومنها ما تم الاستيلاء عليه من العدو، وفي كلا الحالتين عاد ذلك بالنفع على الجيش الإسلامي؛ حيث تواصلت عمليات الفتوح برا وبحرا.

- اهتم معاوية رضي الله عنه ببناء أسطول إسلامي قوي يُنافس الأسطول البيزنطي في البحر الأبيض المتوسط، وعمل على هذا بحيث استعان بصناع السفن وأغدق عليهم الأموال، وجلب المواد اللازمة من كل أنحاء الدولة الإسلامية، وتم التنسيق بين مصر والشام في ذلك، وبمرور وقت قصير صار الأسطول الإسلامي يُنافس الأسطول البيزنطي؛ ويتفوق عليه في كثير من المعارك، ونجد إن المسلمين في عهد معاوية حاولوا ولأوَّل مرة فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية.
- كانت الدولة في عهد معاوية رضي الله عنه تنقسم إلى عدة ولايات كبرى منها الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة، ومصر، وكان تحت كل ولاية من هذه، ولايات أخرى فرعية، يُشرف عليها والي الولاية الكبرى؛ وتتفاوت أهمية كل ولاية من الولايات الكبرى حسب مركزها الديني والإداري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي.
- استعان معاوية رضي الله عنه على إدارة شؤون الدولة برجال أكفاء كان لهم دور كبير في توطيد الأمن والاستقرار السياسي، والإداري، فكان يختار لكل ولاية حسب حالها وأهميتها، فمثلا العراق عموما كان ولاته يتسمون بالقوة والشدة والحزم، بينما الحجاز غالبا ما كان يختار لهم ولاة يتسمون بالحلم والحكمة والرحمة، وأغلب الأحيان يكون الوالي على الحجاز من بني أمية أقاربه.
- كان الولاة أيام معاوية رضي الله عنه يتمتعون بصلاحيات واسعة أكثر مما كان عليه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فإن معاوية يوجه ولاته توجيهات عامة من حين لآخر غير تفصيلية، ويترك لهم التصرف، خاصة من حيث التصرف في تولية الولاة والقادة التابعين لولايته، والتصرف في الأموال، والإدارة، والمعاقبة على الجرائم، وإضافة إلى ذلك كان أمير المدينة غالبا يقوم بإمرة الحج إذا

لم يحج الخليفة أو من يُرسله من هناك.

- شهد عهد معاوية رضي الله عنه إنشاء بعض الدواوين الجديدة مثل ديوان الخاتم، ونظام البريد، وطور نظم الدواوين التي كانت من قبل وجعل لها تنظيم معين تسير عليه ويناسب ذلك العصر؛ ومما يلاحظ في هذا الشأن أن بعض الدواوين كانت تُكتب بلغات غير العربية، فمثلا في العراق وما حولها بالفارسية، وفي الشام ومصر ونحوها بالرومية.
- أدت الظروف التي عاشها معاوية رضي الله عنه والأحداث التي سبقته، أن يتخذ حرس شخصي يقومون معه، وأُوكلت تلك المهمة على أشخاص قاموا بهذا الواجب، وقد اتخذ بعض الولاة أيضا حراسا يقومون عليهم.
- اهتم معاوية رضي الله عنه بإنشاء المدن وتعميرها واتخذ في ذلك نُظما متعددة مثل تسكين الناس فيها،وتوزيع الأراضي فيها، بالإضافة إلى منح الأعطيات والأرزاق لمن يسكن هذه المدن؛ وأيضا شهدت الدولة إنشاء مدن جديدة وتخطيطها، ويلاحظ في تخطيط المدن الجديدة التي ينشئها المسلمون ثلاثة أشياء البدء ببناء المسجد، ودار الإمارة، والسوق، وحولها يبنون مساكنهم بعد ذلك.
- اهتم معاوية رضي الله عنه بالمساجد من عدة اتجاهات، وهي: الاهتمام بالحرمين الشريفين بالاعتناء بهما من حيث النظافة، والتطييب، والإضاءة، وإرسال خدم يخدمونها، وإجراء العيون عليها؛ ومن جهة أخرى الاهتمام بالمساجد الأخرى من حيث تجديد المساجد السابقة وتطويرها، وأيضا بناء مساجد جديدة؛ وهذا الاهتمام بالمساجد ليس غريبا على الدولة الإسلامية فإن المسجد بالإضافة إلى كونه مكان إقامة الصلاة، فإنه كان مركز الإدارة، ومكان العلم، ومقر القضاء، وغير ذلك.
- أن النظام القضائي في عهد معاوية رضي الله عنه لم يختلف كثيرا عما كان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين، وذلك لقرب العهد، وأن بعض القضاة كانوا قضاة من قبل، واستجدت بعض الأمور في هذا الجهاز في هذا العهد مثل تدوين الأحكام

القضائية، ونظر القاضي في الجراح.

- كان لنظام الشرطة أهمية كبرى في عهد معاوية رضي الله عنه أكثر من غيره، حيث ألقيت مهامه على رجال أكفاء، وظهر بعض التطور في جهاز الشرطة وهذا يرجع إلى التطور الذي حصل في كثير من الإدارات في الدولة من بينها جهاز الشرطة، وصار لصاحب الشرطة أهمية كبرى عند الخليفة، والولاة.
- كان لجهاز الشرطة مهام كثيرة، من أبرزها، حراسة الخليفة أو الأمير، وحفظ الأمن في المدينة أو الولاية، والقبض على الجناة، وإعانة القضاة في تنفيذ الأحكام وإحضار الخصوم وتنظيم مجالس القضاة، وحراسة بيت المال ومراكز الدواوين، وإدارة السجون، ومساعدة أهل الخراج ومراقبة الأسواق.
- اهتم معاوية رضي الله عنه بالشورى، وكان يستشير الأكفاء من رجال دولته، ويراسلهم إن بعدوا عنه، ولا يبرم أمرا دون مشورتهم، ويوصي ولاته باتخاذ مستشارين، ويرشح لهم مستشارين أكفاء، ويلاحظ في عهد معاوية رضي الله عنه أنه لم يكن يطرح الأمر على المنبر إلا نادرا، خلافا للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فإنهم كثيرا ما كانوا يطرحون الأمر على المنبر.
- جاءت الشريعة الإسلامية بأسس اجتماعية تكفل الحق لكل البشرية، وعلى هذه الأسس بنى معاوية رضي الله عنه نظامه الاجتماعي، ومن هذه الأسس إنزال الناس منازلهم، والتعامل بالصفات الحميدة كالعفو عند المقدرة والصفح والحلم والكرم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها.
- كانت معاملة معاوية رضي الله عنه مع الرعية يغلب عليها اللين أكثر من الشدة، و تعامله معهم له عدة نواحي، منها: الحلم وهي الصفة الرئيسية في تعامله مع الرعية، الإصلاح بقدر الإمكان بين المتخاصمين، إكرام الصحابة ومعرفة حقهم وسابقتهم ومكانتهم عند الأمة الإسلامية، صلة الأقارب والأرحام، وكان يوكل من يرفع إليه حوائج من لا يستطيع الوصول إليه، وصيته لولاته بتعاهد رعاياهم، ومن سياسته في التعامل معهم أنه كان يرى التوازن في المعاملة بين تعامله وتعامل

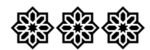
الولاة مع الرعية.

- نال أهل الذمة في خلافة معاوية رضي الله عنه عدة امتيازات منها: أنه وفَّى لهم بالعهود السابقة، واتخذ منهم أطباء، ونالوا مراكز ووظائف إدارية في الدولة.
- شهد عهد معاوية رضي الله عنه حركة علمية كبرى في شتى النواحي، منها:- حثه الناس على تعلم العلم، مذاكرة العلم، المكاتبات بينه وبين العلماء في مسائل العلم، القراءة في سياسات الملوك وتاريخ الأمم السابقة، والاهتمام باللغة العربية وبداية وضع القواعد لها، بالإضافة إلي الدور الذي كان يبذله الصحابة في نشر العلم.
- اهتم معاوية رضي الله عنه بالعلماء وعرف لهم منزلتهم، ولا شك أن عهده كان زاخرا بكثير من العلماء يأتي في مقدمتهم جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فكان يكرم من وفد إليه منهم، سؤالهم عما استعصى عليه من مسائل العلم، وطلب النصيحة منهم، وصلتهم بالهبات والعطايا.
- لم تختلف دُور العلم في عهد معاوية رضي الله عنه عما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، إلا ما لوحظ من كثافة الجهود في نشر العلم بسبب اتساع الفتوحات ودخول الناس في الإسلام، ومن ناحية دُور العلم التي وجدت في ذلك العهد، المسجد، بيوت العلماء، والمساجد، يضاف إليها ما كان يدور من منا قشات علمية في دار الخلافة أو الإمارة.

أهم التوصيات:

مما يوصي به الباحث بعد هذا:-

- العناية بدراسة نظم الحكم في الدولة الإسلامية بصفة عامة والدولة الأموية بصفة خاصة.
- الاستفادة من هذه النظم في وقتنا الحاضر، حيث إن هذه النظم تمثل حقبة من ماضي أمتنا الإسلامية التي قادت الأمم في عصر من العصور، ولا شك أن الاستفادة منها يربط حاضر الأمة بماضيها العريق، ويعيد لها مجدها.
- أن من يتصدى لدراسة النظم يجب عليه أن يكون صاحب إطلاع واسع فيما يتعلق بهذا الخصوص، وبالذات المعرفة التامة باللغة العربية، والقراءة المكثفة في كتب الأدب حتى تكون له الملكة.



الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الغريب.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة المؤمنون		
﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾	٧٢	١٠٩
سورة القصص		
﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ ﴾	٢٦	٢٨٧
سورة سبأ		
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾	١٠-١١	١٩٠
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٣٢٢، ١٦٣
سورة فاطر		
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	١٨	٧٥
﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾	٢٨	٣٥٣
سورة ص		
﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾	٢٦	٢٧٩
سورة فصلت		
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾	٣٤	٣٣٢
سورة الشورى		
﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	٣٠٨
﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	٣٠٩
سورة محمد		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	١٦٥
سورة الحجرات		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾	١٣	٣٦، ٣١٧، ٣٢٣
سورة الحديد		

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس غريب الكلمات

فهرس الأماكن

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، إعداد: سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
- أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، تأليف د عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية:أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، (٣٧٠-٤٥٠)، خرج أحاديثه: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٤٥٨هـ)، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- أخبار القضاة، تأليف:أبوبكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقه الضبي البغدادي الملقب ب(وكيع) (ت: ٣٠٦هـ)، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها مصطفى محمد الطبعة الأولى: ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .
- الأخبار الموفقيات، تأليف: الزبير بن بكار (ت:٢٥٦هـ) تحقيق: سامى مكي العاني عالم الكتب، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، المؤلف: العباس بن بكار أو(ابن الوليد بن بكار) العنبي (ت:٢٢٢هـ)، تحقيق:سينة الشهابى، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تأليف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن

محمد بن الوليد بن عقبه بن الأزرق المكي المعروف بالأزرقي،(ت:٢٥٠هـ)، تحقيق: رشيدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس بيروت.

- الإدارة في العصر الأموي، نجدة خمايش، دار الفكر دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، تأليف: عبد القادر شيبة الحمد من مطبوعات الجامعة الإسلامية.
- الاستخراج لأحكام الخراج، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(ت٧٩٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي،(ت:١٣١٥هـ)، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري،الناشر: دار الكتاب – الدار البيضاء.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية، والاجتماعية والاقتصادية والفنية، تأليف: أنور الرفاعي، دار الفكر، دمشق الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الإسلام وأهل الذمة، تأليف الدكتور علي حسين الخربوطلي، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- الإشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت٣٢١)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- الإصابة في تمييز الصحابة: لإبن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن

التركي، مركز البحوث والدراسات العربية و الإسلامية، بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى:١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ — ١٩٩١م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، المؤلف: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر ابن نقطة الحنبلي، (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر جامعة أم القرى مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ابن ماكولا(ت:٤٧٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١١هـ
- أمن الحج قبل العهد السعودي، العقيد سعد بن عودة الردادي، دار المآثر المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٠م.
- الأموال في دولة الخلافة، تأليف: عبد القديوم زلوم، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدي النبوي مصر، دار الفضيلة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .
- الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ)، دار البشير، طنطا، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- البحرية في النظم الإسلامية وآثارها الباقية، سعاد ماهر، دار المجتمع العلمى، جدة، الطبعة: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- بدائع السلك في طبائع الملك، تأليف: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق،(ت: ٨٩٦هـ)، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام، العراق الطبعة الأولى.

- البداية والنهاية، للحافظ بن عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١-٧٧٤هـ) تحقيق: عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدارهجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
- البصائر والذخائر، تأليف: أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت: ٤٠٠هـ)، تحقيق: داود القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي. تحقيق: ج.س. كولانبروقنسا، دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: ١٩٨٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسين الزبيري، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، راجعه: مصطفى حجازي مطبعة حكومة الكويت،من إصدارات وزارة الإعلام في الكويت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبد الرحمن بن خلدون –(٧٣٢-٨٠٨هـ)-(١٣٣٢-١٣٠٦م) ، ضبط المتن ووضع الهوامش والفهارس: خليل شحادة ، مراجعة: سهيل زكار دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -١٤٣١هـ -٢٠٠١م.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة الطبعة السابعة:١٩٦٤م .
- تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨)- حققه وضبطه نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- التاريخ الإسلامي، محمود شاكر المكتب الإسلامي،الطبعة الثامنة: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- تأريخ التمدن الإسلامي، تأليف جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان.

- تاريخ الحج من خلال الحجاج والمعتمرين دراسة تاريخية ميدانية، إعداد سليمان عبد الغني المالكي، و سعد الدين أو نال، من مطبوعات جامعة أم القرى مركز أبحاث الحج، مكة المكرمة.
- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة العاشرة: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- تاريخ الخلافة الأموية بين الحقائق والأوهام، تأليف:أحمد عوض أبو الشباب، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- تاريخ الخلفاء الراشدين، تأليف الدكتور محمد بن إبراهيم بن صالح أبا الخيل، دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- تاريخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
- تاريخ الدولة الأموية، تأليف: محمد علي مغربي، مطبعة المدني، مصر القاهرة الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، .
- تاريخ القضاء في الإسلام، محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر دمشق، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، (ت:٢٥٦هـ)، طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المجيد خان.
- تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدنتها، تأليف: حسين عبد الله باسلامة،الطبعة الأولى.
- تاريخ المسجد النبوي الشريف، محمد إلياس عبد الغني، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- تاريخ المغرب الكبير، تأليف: محمد علي دبوز، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة

الأولى: ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

- تأريخ الموالي ودورهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صدر الإسلام والدولة الأموية، تأليف الدكتور محمد عمر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م
- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية : فتحية النبراوي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة :١٤٢٤هـ_٢٠٠٤م .
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، (ت: ٢٨٤هـ)، دار صادر للطباعة والنشر- بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي،تأليف: أحمد إسماعيل علي دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
- تاريخ خليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تصنيف: الأمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ) دراسة وتحقيق: محي الدين أبي سعيد عمر بن غزامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تأليف: الأمام أبى البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكنى الحنفي، (ت:٨٥٤هـ)، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، وأيمن نصر الأزهري، منشورات دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تاريخ واسط، تأليف: أسلم بن سهل ابن أسلم بن حبيب الرزار الواسطي أبو الحسن بحشل(ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق:كوركيس عواد، الناشر:عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تأليف أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقييق: أبو القاسم إمامي، الناشر سروش، طهران، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.
- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تأليف: علي بن محمد الخزاعي، ابن ذي الوزارتين،(ت:٧٨٩هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ.
- تقييد العلم، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي(ت٤٦٣)، الناشر إحياء السنة النبوية- بيروت.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي(ت٦٧٦)عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو المنصور(ت٣٧٠)، تحقيق، محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، دار المعارف- القاهرة.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري(ت٣١٠)، تحقيق، أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أ حمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- الجرح والتعديل: تأليف أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلى الرازي بن أبى حاتم (ت:٣٢٧هـ) الناشر:طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد (الدكن) الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى:١٣٧١هـ –

١٩٥٢م.

- الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك)، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادى المعروف بابن سعد(ت٢٣٠)، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله السلومى، الناشر : مكتبة الصديق- الطائف –السعودية، ١٤١٦هـ.
- الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ.
- جمل من أنساب الأشراف، تأليف: أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري،(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار، ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر،بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الجندية في عهد الدولة الأموية، وفيق الدقدوقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخري لابن حزم، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبي الظاهري(ت٤٥٦)، المحقق: إحسان عباس، الناشر:دار المعارف-مصر، الطبعة الاولى:١٩٠٠م .
- الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة، السيد طه أبو السدير، الناشر: دار الفكر العربي –القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، شكر فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة: ١٩٨٢م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي)، (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

- حضارة العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصفهاني (ت٤٣٠)، الناشر: السعادة -بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، تأليف: الدكتور محمد ضيف الله بطاينة،
- حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسي بن عيس بن علي الدميري أبو البقاء ، كمال الدين الشافعي(ت٨٠٨)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ .
- الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري "٩٠/٤٥٠"، يوسف أحمد حوالة، من مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، تألف: خالد محسن حسان الجابري، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.
- الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر، شرح وتحقيق: الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.
- الخراج، للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة ت ١٨٣هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة، تأليف: الدكتور جمال أحمد السيد جاد المراكيبي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ١٤١٤هـ.
- خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، عمر سليمان العقيلي، الطبعة الأولى الرياض، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- دراسات في الحضارة الإسلامية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة،

الطبعة:١٩٨٨م.

- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، تأليف: أحمد محمد أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدارسات الإسلامية، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تأليف عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الجزيري الحنبلي، أعده للنشر: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي دراسة تحليلية، تأليف الدكتور عدي سالم عبد الله حمد الجبوري، دار ومكتبة حامد للنشر والتوزيع عمان ، الطبعة الأولى ٢٠١٢م ١٤٣٣هـ.
- الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، تأليف الدكتور حمدي شاهين، الناشر: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
- الدولة الأموية دولة الفتوحات، د علاء عبد العزيز أبو زيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداء من فتنة عثمان: يوسف العش، دارالفكر دمشق سورية، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، تأليف عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ديوان حسان بن ثابت، حققه: وليد عرفات، درا صادر- بيروت ١٩٧٤م.
- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، المؤلف: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق وتعليق: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية،

بورسعيد- مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٠م.

- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي، (ت٨٣٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروتن لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، (ت: ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، طبع على مطابع دار السراج الطبعة الثانية: ١٩٨٠م.
- روضة القضاة وطريق النجاة، للعلامة أبي القاسم علي بن محمد بن أحمد الرحبي السمناني، (ت:٤٩٩هـ)، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة بيروت، ودار الفرقان عمان، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م.
- رياض النفوس قي طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تأليف: أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي حققه: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- السلاح، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي(ت٢٢٤)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سلسلةالأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام، نصر فريد محمد واصل، مطبعة الأمانة، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.
- سنن أبي داود، تصنيف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني،(:٢٠٢_٢٧٥هـ) حكم على أحاديثه، الألباني،إعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية : ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م
- سنن النسائي: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، (٢١٥,٣٠٣)،

حكم على أحاديثه، الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

- السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام أبن تيمية الحرانى، (ت ٧٢٨)، وزارة الشؤن الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.
- السياسة المالية في الإسلام وصلتها بالمعاملات المعاصرة، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت .
- سير أعلام النبلاء، تصنيف: الأمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ-١٩٨١م والثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- سير السلف الصالحين:لأبي إسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني،(ت:٥٣٥هـ)، تحقيق :كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض.
- السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين،(ت:٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية: ١٣٧٥-١٩٥٥م .
- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، تأليف: عبد الشافي محمد عبد اللطيف، الناشر دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ.
- شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد زهير شاويش، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة، تأليف: محمد إبراهيم الأصيبعي، الناشر المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تأليف: محمد بن أحمد بن على تقي الدين أبو الطيب

المكي الحسني الفاسي، (ت:٨٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، تأليف: عز الدين التميمي، الناش: دار البشر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- الشورى فريضة إسلامية، تأليف الدكتور علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
- الشورى وأثرها في الدمقراطية دراسة مقارنة، تأليف: عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ، الطبعة الثالثة.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد ب ن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت: ٨٢١هـ) مطبعة دار الكتب العلمية- بيروت.
- الصحاح: (تاج اللغة وصحاح العربية) تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى: القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م الطبعة الثانية: بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
- صحح ابن حبان بترتيب:ابن بلبان محمد بن حبان أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم،الدارمي البستي، (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر،تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى:١٤٢٢هـ .
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل، مسلم بن الحجاج أبو الحس القشيري النيسابوري،(ت: ٢٦١هـ)تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح وضعيف تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، حققه وخرج رواياته وعلق عليه: محمد بن طاهر البر زنجي،بإشراف: محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى:١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- الطبقات الكبرى،الطبقة الخامسة من الصحابة، تأليف: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ) دراسة وتحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف الطبعة الأولى: ١٤١٤-١٩٩٣م.
- العالم الإسلامي في العصر الأموي ودراسة سياسية، تأليف عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- عبقرية الإسلام في أصول الحكم، تأليف: منير العجلاني، دار النفائس بيروت –لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥.
- العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، تأليف جمال يوسف الحلفان، وبهاء الدين محمد أسعد، مكتبة المنار الزرقاء، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية، تأليف: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ.
- العسكرية العربية الإسلامية، عقيدة وتأريخا وقادة وتراثا ولغة وسلاحا، تأليف: اللواء الركن محمود شيت خطَّاب، طبعة خاصة بالحرس الوطني السعودي، ١٤٠٣هـ.
- العصر الأموي، صلاح طهبوب، دار أسامة، الأردن، عمان، الطبعة الأولى:٢٠٠٤م.
- عصر الخلافة الراشدة، تأليف أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان.
- العقد الفريد، تأليف: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير المعروف بابن عبد ربه الأندلسي،(ت:٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.
- علم الجغرافية عند العرب "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية"، شاكر خصباك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- عيون الأخبار، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، (ت: ٢٧٦)، دار الكتب العلمية بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تأليف: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف ب ابن أبي أصيبعة، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- فتوح مصر والمغرب، لابن عبد الحكم،(ت: ٢٥٧هـ) ، تحقيق: عبد المنعم عامر الذخائر، شركة الأمل للطباعة والنشر.
- الفروسية المحمدية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، بإشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام "مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية"، جمال محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- الفن الحربي في صدر الإسلام، تأليف عبد الرؤوف عون، دار المعارف بمصر ١٩٦١م.
- قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، تأليف: اللواء ركن محمود شبت خطاب دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- قادة فتح المغرب العربي، تأليف: اللواء ركن محمود شيت خطاب دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ناشرون، بإشراف: محمد نعيم العرقسوس، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولى:١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- القري لقاصد أم القرى، تأليف: الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محي الدين الطبري، (ت: ٦٩٤هـ)، عارضه بمخطوطة مكة والقاهرة: مصطفى السقا، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان.

- القضاء في الإسلام، تأليف: محمد سلام مدكور، الناشر: دار النهضة العربية.
- القضاء في عهد عمر بن الخطاب، تأليف: الدكتور ناصر بن عقيل بن جاسر الطريفي، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، تأليف: عبد الرحمن إبراهيم الحميضي، من مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.
- قطوف من النظام السياسي في الإسلام، إعداد الدكتور سليمان بن قاسم العيد، ١٤٢٢هـ.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- كتاب الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت:٢٣٠)، تحقيق: علي محمد عمر،الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (١٠٠-١٧٥هـ) تحقيق:مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الشؤون والثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام العراق بغداد، ١٩٨٦م.
- كتاب المعارف المؤلف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري،(ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٢م.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور:(٦٣٠-٧٢١هـ) اعتنى به: أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- المؤتلف والمختلف، تأليف: أبو الحسن علي بن عمر أحمد البغدادي الدارقطنى، (ت:٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، محمد الصادق عفيفي، دار الاعتصام، القاهرة،

الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، تأليف: شكري فيصل، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، دار العلم للملايين، طبعة خاصة، المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، المكتبات المدرسية، ١٣٩٨هـ ١٩٨٧م.
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، تأليف محمد الحضيري بك، تحقيق محمد العثماني دار القلم بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- المحبر، تأليف: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت:٢٤٥هـ)، تحقيق:إيلزه ليحتن شنيتر، الناشر: دار الأفاق الجديدة بيروت.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي(ت٣٦٠)، المحقق: محمد عجان الخطيب، الناشر :دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة:١٤٠٤هـ .
- المحيط في اللغة ، أبو القاسم إسماعيل بن عماد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني (ت٣٨٥)، تحقيق : محمد حسن أل ياسين، الناشر: عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦)، تحقيق، يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة المصرية –الدار النموذجية، بيروت-صيدا، الطبعة الخامسة:١٤١٥هـ-١٩٩٩م.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري،(ت: ٧١١هـ)، تحقيق روحة النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٤م.
- المخصص: تأليف أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- المدخل لدراسة النظم ، تأليف: عبد الرزاق حسن فراج، ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- المدرسة العسكرية الإسلامية، تأليف: محمد فرج، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
- المدينة في العصر الأموي، دراسة سياسية وإدارية واجتماعية واقتصادية وفكرية، تأليف: محمد محمد حسن شُرَّاب ، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- مراتب النحويين، لأبي الطيب عبد الواحد بن على اللقوي،(ت: ٣٥١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار النهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تأليف: عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين، (ت: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦هـ، شرحه وقدم له الدكتور مفيجد محمد قميحة ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- مرويات خلافة معاوية رضي الله عنه في تاريخ الطبري دراسة نقدية مقارنة، تأليف خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية-جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- المسالك والممالك، تأليف: أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، (ت: ٤٨٧هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، عام النشر ١٩٩٢م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، (ت:٣٠٧)، تحقيق: حسن سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى:١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- مسند الشاميين، أحمد سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمى (ت٣٥٤)، حققه وعلق عليه: مرزوق علي ابراهيم، الناشر دار الوفاء للطباعة والنشر–المنصورة، الطبعة الأولى :١٤١١هـ–١٩٩١م.
- مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي، تأليف: حجازي حسن طراوة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٣م.
- المعالم الأثرية في السنة والسيرة، تأليف: محمد بن محمد حسن شراب، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق،– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- معاوية الرجل الذي أنشأ دولة، إبراهيم الأبياري، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت–لبنان.
- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأسرته، محمود شاكر، المكتب الإسلامي الطبعة الأولى:–١٤١٩هـ–١٩٩٨م .
- معجم الأمكنة الواردة ذكرها في صحيح البخاري، تأليف سعد بن عبد الله بن جنيدل، دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩م.
- معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي،(ت:٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٥م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيميه، القاهرة الطبعة الثانية.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، تأليف: عاتق بن غيث بن زويرالبلادي الحربي، (ت: ٢٠١٠)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تأليف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي،(ت:٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥)، تحقيق، عبد

السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، ت ٨٠٨م، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ١٤٣١هـ ٢٠٠١م .
- الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرتاني،(ت: ٥٤٨هـ)،صححه وعلق عليه: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الثانية :١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- منا قب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تأليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق حلمي بن محمد بن إسماعيل، دار بن خلدون.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبى الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ) دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا،مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى:١٤١٢هـ١٩٩٢م.
- المنمق في أخبار قريش، تأليف محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء أبو جعفر البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبي زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي ت: (٦٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ.
- الموارد المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموية: ألبان بن محفوظ الإدريسى، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة –عمادة البحث العلمي، الطبعة الأولي:١٤٢٧هـ.
- مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية(٦٠-٦٤هـ)، محمد بن عبد الهادي الشيباني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، تأليف: عماد علي عبد السميع حسين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ
- الموسوعة الجغرافية للوطن العربي ، إعداد المهندس كمال موريس شربل، الناشر: دار الجيل –بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، عبد اللطيف عاشور، الناشر– القاهرة .
- موسوعة المدن العربية والإسلامية، إعداد: يحي الشامي، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.
- موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون لبنان بيروت، الطبعة الأولى:٢٠٠٠م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف ابن تغري بردي عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين، (ت:٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- نسب قريش، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير، (ت ٢٣٦هـ)، تحقيق، أ.ليفي بروفنسال، دار المعارف– القاهرة، الطبعة الثالثة.
- النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم إلى نهاية عصر بنى أمية، مصطفى الهمشر، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- النظام الاقتصادي في الإسلام، محمود ابراهيم الخطيب، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي–الحياة الدستورية–، ظافر القاسمي،دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة:١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
- النظام السياسي في الإسلام، النظرة السياسية نظام الحكم، تأليف الدكتور: عبد العزيز عزت الخياط، دار السلم للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- النظام السياسي في الإسلام، نعمان عبد الرزاق السامرائي، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع، تأليف محمد شريف الرحموني، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
- النظام المالي في الإسلام، حسين حامد محمود، دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .
- النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، تأليف عبد الإله محمد بن أحمد الملا، و عزت شحاتة كرار، مطابع الحسيني الحديثة، الطبعة ٣ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.
- النظريات السياسية الإسلامية، تأليف الدكتور منير حميد البياتي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ٢٠٠٧م.
- النظريات السياسية الإسلامية، محمد ضياء الدين الريس، مكتبة دار التراث –القاهرة الطبعة السابعة: ١٩٧٩م.
- النظم الإسلامية، عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م .
- النظم الإسلامية: حسن إبراهيم حسن، وعلي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولي: ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.
- النظم الإسلامية، أنور الرفاعي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة: ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.
- النظم الإسلامية، تأليف منير حميد البياتي، دار البشير عمان الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م.
- النظم المالية في الإسلام دراسات وقراءات مختارة، عيسى عبده، معهد دراسات الإسلامية، القاهرة، للعام الجامعي ١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ .
- النظم المالية في الإسلام، تأليف قطب إبراهيم محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٨٩م.
- النفقات العامة في الإسلام دراسة مقارنة، تأليف: يوسف إبراهيم يوسف، دار الكتاب

الجامعي – القاهرة، ١٩٨٠م .

- النفقات المالية للدولة الإسلامية في العصر الأموي، حسين هادي محمد العواجي، رسالة ماجستير في قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤١٤هـ.
- النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، تأليف الدكتور عبد السلام الجعماطي، دار الأمان الرباط، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري(ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- الوزراء والكتاب، تصنيف: أبى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت:٣٣١هـ) حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى: ١٣٥٧-١٩٣٨م.
- وضع الموالي في الدولة الأموية، تأليف: عبد العزيز بن محمد اللميلم، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تأليف: على بن عبد الله بن أحمد الحسنى الشافعي نور الدين أبو الحسن السمهودي، (ت:٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف:أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الأيلي(ت:٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس دار صادر –بيروت الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.
- ولاية الشرطة في الإسلام دراسة فقهية تطبيقية، تأليف: نمر محمد الحمداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات